المفقود

الكتاب: المفقود
المؤلف: كارولين إريكسون
ترجمة: سامية علي
تصميم الغلاف: أحمد وهبة
تدقيق لغوي: إسلام أبو المعاطي
رقم الإيداع: 2018/22657

20 عمارات منتصر – الهرم - الجيزة
ت: 02-338560372
info@noonpublishing.net
جميع حقوق الطبع والتوزيع محفوظة للناشر

المفقود

رواية

للكاتبة/ كارولين إريكسون

ترجمة

سامية علي

للنشر والتوزيع

إهداء

إلى جدي وجدتي الأحباء

إلى الليالي الصيفية

إلى الأكلات الشهية

إلى كل من يدعم كتاباتي

و إلى كل شيء آخر

(1)

كانت الشمس في طريقها للغروب، والقارب الصغير يشق المياه مثل سهم لتوّه فارق الوتر، كنت أجلس في القارب مغمضة عيناي تلافيًا لرذاذ الماء المتناثر، أقاوم بقوة ذلك الشعور بالغثيان مع الميل المفاجيء للقارب والذي يجعلني أميل معه، قلت لنفسي «ليته يبطيء سرعته»، وكأنما سمعني «أليكس» فأبطأ السرعة بالفعل.

التفتُّ لِأَراه، كان أليكس يمسك بِمِقْوَد القارب وعلى جبهته علامات التركيز العميق، في كل مرة كنت أنظر إليه كنت أجده يفيض بالرجولة الحقيقية، برأسه الحليق والذي أضفى عليه مهابة كبيرة. أنا لا أعرف .. هل يُوصَفُ الرجال بالجمال!، في الحقيقة لا، لكن أليكس كان جميلًا بالفعل.

وفجأة قام أليكس بإيقاف الموتور، هذه الحركة المفاجئة جعلت القارب يلف على شكل دوائر أخذت تتسع كلما ابتعدت، كانت «سميلا» الصغيرة تترنّح من الدوار، لذا حاوطُتها بذراعي واحتضنتها بقوة، وبشكل غريزي امتدت يدها الصغيرة لتمسك بيدي، فسَرَتْ مَوْجة دافئة بداخلي، وأخذ الصمت يلفُّ كل شيء بعد سكوت موتور القارب تمامًا.

كان شعر «سميلا» ينسدل بنعومة على وجهها ويتطاير حين تحركه الريح بالقرب من وجهي، كنت على وشك أن أتكيء للأمام لكِ أدفن رأسي في شعرها الناعم. لكني فوجئت بأليكس وهو يمسك مِجداف القارب ..

«هل ترغبين في التجديف؟»

ردت سميلا على الفور«بالطبع» وقفزت سريعا.

«تعالي»

ابتسم أليكس وتابع

-«بابا سوف يعلمك كيف تجدفين»

ومـدّ يـده، فأمسـكتها فسـاعدها لـكي تمـشي بحـذر ناحيـة مؤخـرة القـارب، وراح يعلمهـا كيـف تَجـدِف، ثـم أخـذ يجدفـان معـا.

أثنـاء التجديـف كانـت «سـميلا» تضحـك بصـوت عـالٍ وصرخـات صغـيرة مليئـة بالسـعادة، حدقـت في البثـور الصغـيرة الموجـودة عـلى خدهـا الأيـسر، ثـم تلاشـت رؤيتـي لهـا حـين التفـتُّ لـكي أرى البحـيرة واتسـاعها الرهيـب، يقـول أليكـس إن هـذه البحـيرة « ليـس لهـا اسـم في الوثائـق العامـة»، ولكـن الجميـع هنـا يطلقـون عليهـا بحـيرة «الخبـث».

ليـس هـذا كل مـا قالـه ولكنـه حـكى لنـا قصصـا عـن البحـيرة ومـا يقولـه السـكان المحيطـين بهـا، وكل قصـة كانـت أكـثر رعبًـا مـن التـي قبلهـا، تقـول الروايـات أنّ هنـاك لعنـة مـا قـد أصابـت ميـاه البحـيرة منـذ زمـن بعيـد، وأن شرور هـذه اللعنـة تسـتعبد النفـوس وتجعـل النـاس يرتكبـون أفعـالًا مخيفـة رغـمًا عنهـم.

وبـدا الأمـر أشـبه بالأسـطورة، ودعمتهـا الكثـير مـن الحكايـات مثـل اختفـاء أطفـال بالغـين دون أن يعـثر لهـم عـلى أثـر، وحكايـات أخـرى ملخصهـا أن الكثـير مـن الدمـاء قـد سـالت هنـا.

وراح صـوت جنائـزي بلحـن موجـع ينطلـق في الفضـاء المحيـط بنـا، التَفَـتُّ تجـاه الصـوت، ولاحظـت أن «أليكـس» و«سـميلا» فعـلا نفـس الـشيء، كان واضحـا كَـمُّ الوجـع في الصـوت، أنـين قـوي وكأنهـا صرخـات موسـيقية تعـوم

في الفضاء القريب، وراحت أنظارنا تحاول الكشف عن مصدره، ورأيناه، وعلى بُعد مسافة بعيدة كان هناك خيال مظلم يتحرك، كان يصرخ بين الحين والآخر، وراحت زوبعة هوائية خفيفة تحيط بنا، وفي اللحظة التالية اختفى تماما كأن لم يكن له أثر، كما لو أن مياه البحيرة ابتلعته تماما. وضع أليكس ذراعاً حول «سميلا» الصغيرة خوفًا عليها وأمسك المحرك بذراعه الآخر، وقال «ياله من وغد»، وراح يشرح الأمر محاولًا التخفيف من وطأته في نفوسنا « يُعتقد أن يكون من الجوارح التي تواجدت من زمن ما قبل التاريخ وذلك بسبب الصوت الذي صدر منه. لذلك يعتقد الكثير من الناس أنه شيء مخيف.».

التفتَ «أليكس» نحوي، ولكني تَحاشيْتُ النظر إليه من الخوف الذي كان يَلُفُّني تماما، وحوّلت نظرتي إلى «سميلا» وسميلا نفسها كانت تحدق في المكان الذي اختفي فيه هذا الشيء، التفتَتْ «سميلا» نحو «أليكس» وسألته بتوتر مليء بالخوف عما إذا كان الطائر سوف يخرج من الماء للتنفس. فضحك «أليكس»، ومسح علي شعرها وقال أنه يستطيع البقاء تحت الماء لعدة دقائق.

وعليها فلا داعي للقلق.«لأنه نادرا ما يظهر في نفس المكان الذي اختفي فيه»، التقط مجداف القارب ليستكمل التجديف لبقية الطريق. وعادت «سميلا» الصغيرة إلى منتصف القارب و جلست، و لكن من الغريب أنها ابتعدت عني.

رُحتُ أنظر إليها وأتَفَرَّسُ في ملامحها الناعمة وهي تدور بعينها في سطح البحيرة في محاولة لرؤية الطائر الأسطوري .

إنها لا تستطيع التوقف عن التفكير في الطائر. وتتساءل ببراءة «أين هو الآن؟» وعما إذا كان حقاً يمكنه البقاء على قيد الحياة لفترة طويلة تحت الماء..

وضعت يدي على ظهرها لأطمئنها، في تلك اللحظة أبدلت «سميلا» مكانها فلم أستطع رؤية وجهها. نظرت إلى «أليكس» فوجدتُهُ يضحك لها؛ فأيقنت أنها تبتسم له ثقةً به واعتمادا عليه. ثم قالت «بابا يقول أنَّ الطائر سيكون بخير، وبابا رأيُه سديدٌ».

ثلاثين قدمًا تفصلنا عن الجزيرة الواقعة في منتصف بحيرة «الخبث» و هذا هو المكان الذي نتّجه إليه .

أثناء سيرنا كنت أنظر إلى سطح ماء البحيرة، محاولة إزالة الأعشاب الطافية والعيدان الطويلة للقصب ليتضح لي القاع بسهولة، ماء البحيرة أصبح أكثر ضحالة. تطفو على سطحه الطحالب التي تَلْتَفُّ حوْل الهيكل مثل الأصابع الخضراء الطويلة شديدة اللزوجة، بزيادة سرعة القارب. ترتطم بنا عيدان القصب الطويل، وننحني برؤوسنا عندما يجنح القارب. قفز «أليكس» ناحيتي أنا و«سميلا» يمنعنا من الوقوع، تحركاته تجعل القارب يهتز بنا. أمسكت بالحافة العليا للقارب وأغلقت عيني حتى يتوقف، ربط «أليكس» الحبل على شكل حلقات حول أقرب جذع شجرة بإحكام شديد، وخلعت «سميلا» سترة النجاة وغادرت القارب قبلي بحركة سريعة تدل على خوْفٍ، داست على قدمي ووكزتني بكوعها في ثديي الأيمن، حتى إنني من ألم الصدمة صَرَخْتُ بصوتٍ عالٍ، ولكنها لم تلاحظ وحتى إذا لاحَظَتْ فإنها لا تهتم.

إنها حريصة أن تصل لأبيها ولا يهمها أي شيء آخر، أي شخص يراهما معا يقول أن «سميلا» تحب «أليكس» أكثر من أي شيء في العالم.

عند مغادرتنا القارب اتّجَهْنَا نحو المَرْسَى، كانت تُصِرُّ على المشي، أو الوثب بجانبه. أطلّت أشعة الشمس المائلة من خلال فروع شجر «التَنُّوب» على طول مسار الغابة الضيق ؛ كانت «سميلا» الصغيرة تثرثر بسعادة

بالغـة. وسرعـان مـا اتّجَهَـتْ هـي وأبيهـا إلى شـاطيء الجزيـرة، تمامـا مثـل القراصنـة الحقيقيـين، كانـت «سـميلا» الصغـيرة أمـيرة القراصنـة، و بابـا هـل كان مـن الممكـن... أن يكـون ملـك القراصنـة ؟ ضَحِكَـتْ «سـميلا»، وجـرت يـد «أليكـس» بقـوة، لم تسـتطع الوصـول للبحـيرة بسرعـة كافيـة بينـما كنـت أنـا آخـذ عـدة خطـوات إلى الـوراء، ألقيـت عليهـم نظـرة وهـم بجـوار بعضهـم البعـض كانـت تميـل عـلى «أليكـس» وتطوقـه بذراعيهـا الصغـيرة الناعمـة الملفوفـة حـول سـاقيه.

كلاهـما عـلى الشـاطيء بينـما أنـا لا أزال جالسـة في القـارب. هـذه المرة، أشـار «أليكـس» لي بيـده، و رفـع حاجبًـا واحـداً.. تـرددتُ في النِّـزول حتـى أنّـه لاحـظ ذلـك وقـال في وجـوم: هيـا .

مـن المفـترض أن تكـون هـذه نُزهـه عائليـة، «حبيبتـي»، فنظـرت «لسـميلا» الصغـيرة، كانـت تُكَـشر لي بغرابـة. أشـحتُ بيـدي وصِحْـتُ فيهـما «إذهبـا أنتـما الاثنـان » .سـوف أنتظركـم هنـا.

أعـاد «أليكـس» طلـب حضـوري معهـم بفتـور، وعندمـا رفضـت، تجاهلنـي، و نظـر «لسـميلا» التـي ظهـرت تكشـيرتها عـلى وجههـا، و لمعـت عيناهـا بالإثـارة. وهنـا صـاح «أليكـس» إلى كل مـن في الجزيـرة احترسـوا! لقـد أتى بابـا القرصـان و «سـميلا» الأمـيرة القُرصانـة!

مـا إن انتهـى «أليكـس» مـن الصّيَـاح حتـى أمسـك ب «سـميلا» وحملهـا عـلى ظهـره و بـدأ بالركـض عـلى المنحدر.

لقـد رسى بنـا القـارب في مـكان كل جانـب منـه أكـثر حـدة مـن الآخـر، ولكـن وبالرغـم مـن المنحـدر لكـن ذلـك لم يجـبر «أليكـس» عـلى الإبطـاء مـن ركضـه.

وصـل إلى قمـة التـل واختفـى عـن رؤيتـي. جلسـت أسـتمع إلى أصواتهـما حتـى بـدا صـدى أصواتهـما يتـلاشى ببـطء .

حاولت أن أميل قليلا وأدوس بيدي بلطف على أسفل ظهري، شيء ما جعلني أنحني للأمام لأنظر حولي، الماء بلا حراك تقريبا تحت القارب، البحيرة مظلمة أمام عيني . دققت النظر ولكن لم يعد بإمكاني رؤية ما هو موجود أسفل سطح الماء الشيء الوحيد الذي كان يحدق بي هو انعكاس هيئتي المتشققة والمظلمة. وأخيراً، سمحت لأفكاري أن تذكرني بما حدث مساء أمس وأثناء الليل .

أتذكر كل كلمة، كل حركة، بينما أحدق على كل ما تعكسه لي عيني، مع كل شيء يذكر، يزداد تحديقي، ويصبح أكثر ظلمة وسوادا، وبطريقة لا إرادية لففت يدي حول رقبته. مرت لحظات، دقائق. دهراً بأكمله. يبدو الأمر كما لو أنني استيقظت من عالم الغيب، إحساسي بالرقود أصبح معدوما تماما. و تساءلت، كم من الوقت قد مكثت هنا؟ ارتجفت و لففت ذراعي حول جسمي . تغرق الشمس تحت قمم الأشجار، ترسل أشعتها الشبيهة بالدم في الأفق. داهمني نسيم المساء البارد، وأحسست ببرودة تجتاحني. استلقيت على ظهري وحاولت أن استمع لأي صوت، ولكن للأسف لم يأتيني صوت «أليكس» المفضل لي و لا صوت «سميلا» الصغير والمبهج، الصوت الوحيد الذي أسمعه هو صوت الخراب المقفر من حولي، أنا أرتجف من الرعب، ربما هم يلعبون لعبة القراصنة و يستكشفون الجزيرة الآن. أكاد أتخيل مدى الإثارة التي ستنالها «سميلا» بعد ذلك، وربما لا تكون مستعدة للتخلي عن هذه المغامرة الجنونية، ربما يسيرون في جميع أنحاء الجزيرة أو حتى يلعبون «الغميضة» على الجانب الآخر، وهذا يفسر عدم سماع أي صوت لهم. أغمضْتُ عيني وتذكرت كيف كانوا متماسكين في الصباح، فكرت في طاقة «أليكس» وصبره التي تتيح له أن يلعب لمدة طويلة بدون تعب، مقارنة بالآباء الآخرين الذين يتعبون من اللعب مع أبنائهم. هيا يا حلوتي، لنعد إلى القارب. ماما تنتظر، «أليكس»

لا يقـول هـذا أبـدا، إنـه أب جيـد، فتحـت عينـاي مـرة أخـرى وأمّلـت إلى أسـفل القـارب أستشـعر بنظـري سـطح البحـيرة الداكـن.

كان أليكس أبًا جيدًا، أبًا جيدًا فعلًا.

عندمـا اعتدلـتُ مـن مَيـلي عـلى سـطح البحـيرة، لم يكـن يوجـد صـوت. لا أصـوات، لا ضحـكات، لا حتـى آنـين، جلسـت للحظـة بـدون حـراك أسـتمع فقـط. ثـم، فجـأة، أيقنـت أنـه لا داعـي للقيـام بجولـة حـول الجزيـرة أو حتـى نـداء أسـماءهم. ليـس عـلي حتـى القيـام والخـروج مـن القـارب لمعرفـة مـاذا حـدث، كان هنـاك شيء يخـبرني أنهـما لـن يرجعـا ثانيـة، مـا رأيتـه كان كفيـلا لإيقاعـي بهـذا، أخـذتْ ضربـات قلبـي تتصاعـد بعنـف، لا يمكـن أن يحـدث هـذا، لا يمكـن أن يعيـب أليكـس وسـميلا، كيـف سـتمر حيـاتي بدونهـم، لا يمكـن أن يضيعـا، ربمـا يلعبـان في مـكان مـا وتعبـا، ربمـا .. لا لا يمكـن أن يغيبـا أبـدا، ولكـن كان ذلـك الحـس يتصاعـد بداخـلي..

«أليكس» و «سميلا» لن يرجعا ثانية لقد ذهبا .

(2)

كان هنـاك شـعور يـسري بداخـلي أنـه لا فائـدة، ومـع ذلـك قمـت جريـا للبحـث عنهـما، أخـذت قميـص أليكـس الأزرق الداكـن الملقـى في مؤخـرة القارب، ونزلـت وسـحبت القـارب إلى الـبر، ووجـدت نفـسي وحيـدة عـلى الشـاطيء، تقدمـت ونـاديـت بقـوة عـلى أليكـس وسـميلا، ولكنـي لم أتلـق إجابـة كـما توقعـت، وضعـت قميـص أليكـس فـوق رأسي فانسـدل عـلى وجهـي، كانـت لـه رائحـة أليكـس التـي أحبهـا، أحسسـت بـآلام حـادة في الأمعـاء، ولكنـي تجاهلـت الألم وبـدأت في التوجـه نحـو المنحـدر، لم أخـط بضـع خطـوات حتـى أحسسـت بضيـق في صـدري وبالـكاد أتنفـس، أعمـق مـما كنـت أتصـور، كان جسـدي ثقيـلًا وبطيئًـا، ورافضًـا تمامًـا للحركـة، لكنـي ضغطـتُ عـلى أسـناني وأجـبرت نفـسي عـلى الاسـتمرار.

انزلقـت قدمـي في مسـتنقع موحـل، ثبّـتُ يـدي حتـى لا أسـقط وأنزلـق، وأخـيرًا، اسـتطعت الوصـول إلى قمـة المرتفـع. حاولـت مـرة أخـرى النـداء عليهـما، ولكـن دون جـدوى، كان حلقـي يـكاد يحـترق، وشـعرت لوهلـة أن قفـصي الصـدري قـد انقسـم إلى نصفـين صغيريـن، وبالرغـم مـن هـذا قمـت بمجهـود كبـير حتـى أن الهـواء كان شـحيحا ورئتـاي لم تعـد تحتمـل .

وكأننـي كنـت أحـاول الـصراخ في منتصـف كابـوس مخيـف. بـدأت معـدتي في التقلصـات التـي تتبعتهـا تشـنجات واحـدة تلـو الأخـرى.

حاولت أن أصرخ ثانية، ولكن تعب جسدي لم يسعفني، تجشّأْتُ بصوتٍ عالٍ، وخرج من فمي سائل عفن أصفر اللون. ساقاي ترتعشان وأنا أميل إلى جانب واحد، مسحت فمي بكمي القميص. وجلست على الأرض للحظة، كما لو أنني سقطت في مطاردة لعدو ما.

تَسَنَّدْتُ ووقفت مرة أخرى، و لكن شعرت بضعف جسدي مرة أخرى بالرغم من أنني قادرة على المسير. وبدلا من محاولة الصِّياح التي لا جدوى منها، قررت استكشاف الجزيرة.

لا توجد العديد من الأماكن المفتوحة في الجزيرة، فقط أشجار مورقة، ونباتات تصل إلى مستوى خصري، لا يوجد مكان يسمح بالمرور بسهولة من خلاله. خصوصا لفتاة مثل سميلا تبلغ من العمر 4 سنوات.! لا أستطيع رؤيتها و «أليكس» في أي مكان.

تعثّرْتُ للأمام، أعلم ما عليّ أن أقوم به ولكن إلى أي اتجاه أذهب ومن أين أبدأ، هناك بقعه تم دفع العشب فيها جانبًا، و كان واضحًا أنّ هناك من خطى على الأرض، قلت في نفسي سأتوجّه من هنا، ولكن خفت أن يكون خيالي قد هيأ لي هذه الخطوات وأنها ليست حقيقية، وأردت أن أردد أسمائهم مرة أخرى، على الرغم من عدم توقعي لأي إجابة.

اجتاحني شعور أن ما أفعله مألوفًا، كما لو أنني أتصرف وفقا لخطة مُسبقة. أنا ببساطة أتصرف بالطريقة التي يجب أن أتصرف بها. كما لو أنني أقوم بدوراً إلزاميا، وليس اختياريا.

الصمت يخيم على المكان، صمت مشؤوم و ثقيل، وفجاة؛ شعرت بحركة بين الأشجار على بُعد خطوات مني. أقحمت يداي وسط العشب لأفتّش عن شيء. لمحت قنفذًا يجري بعيدًا بأسرع ما تقدر ساقيه الصغيرتين. نظرت أمامي مرة أخرى، العشب لا يدل على أنه دفع بالأيدي

أو صار عليه أحداً. ليس هناك ما يشير إلى أن رجلًا وطفلة صغيرة قد مروا من هذا الطريق. كنت أدور وأنظر حولي.

ثم مضيْتُ قدمًا مرة أخرى، وأنا أنظر على جانبي الطريق ولكن ليس هناك أي أثر لأشخاص، أو حتى من طريقي الخاص. إنني أقف وسط بحر من العشب الطويل يحيط بي من جميع الأطراف . صامتا لا يتحرك .

انتابتني موْجة من الدوار، حاولت أن أحافظ على توازني فقمت بإغماض عيناي قليلا . ثم رفعت يدي عن عيني و فتحتهما مرة أخرى. أواخر أشعة الشمس القرمزية تنغمس و راء قمم الأشجار عبر البحيرة. أنا وحدي في مكان غير مألوف، وحدي مع السكون و الظلام، الذي بدأ يسقط بسرعة.

اخترت اتجاهًا بشكل عشوائي و بدأت في التحرك من خلال طريق وعر.

رجل و فتاة صغيرة يذهبان إلى الشاطيء على جزيرة، ولا يعودان. ما الذي يمكن أن يكون قد حدث لهما ؟. همهمتُ لنفسي ببعض التفسيرات المعقولة. ربما انغمسوا في لعبة ونسوا كل شيء عن الوقت، أو ربما ببساطة..

كنت بشكل أو بأخر أحاول الخروج بسيناريوهات أخرى محتملة، أسباب طبيعية تمامًا، ربما تهديء من روعي قليلا، و لكن المشكلة أنه لا يوجد تبرير يوضح لي لماذا «أليكس» و «سميلا» مازالا مفقودين، و لماذا لا يستجيبان لنداءاتي. فتحت فمي لأَصيحَ من جديد.

أثناء تعثري، كنت أنظر بعيني على الأرض والأشجار . أخذَتْ قدمي تتحرك بشكل أسرع، وتحركاتي أصبحت أكثر فوضوية. أمشي بلا هدف، لم أعد أعلم من أين أتيتُ أو إلى أي اتجاه أذهب . أنا متوترة جدا لدرجة أنني لا أستطيع توجيه نفسي بشكل صحيح، لا أرى أي أثر لبشر في أي مكان. «سميلا»! أشعر أن صرخاتي تخرج وترجع ليكتمها صدري.

في تلك اللحظة، شدّ انتباهي شيء ما. الرعشة تهزُّ كياني. توقفت ! كانت صخرة على بعد ياردتين مني. وعلى بعد مسافة قصيرة منها، يوجد شيء ما آخر. شيء مظلم، ولكني لا أعرف ما هو بالتحديد. تطلعت إليه، إنّه ينتمي إلى شخص. في هدوء مليء بالرعب مما قد أجده، اقتربت أكثر، فتّشت في العشب بحذر. إنها فردة حذاء أسود ممزقة و باهتة. التوتر الذي كان في صدري بدأ يتلاشى قليلا: لم أرى هذا الحذاء من قبل إنه لايخص «سميلا» أو «أليكس».

لا أفهم لماذا شعرت بقوة خارجية تتحكم في إصبعي، وكأن هذه القوة ترتفع من الأرض، ارتديت إلى الوراء ثم سحبت يدي ووقفت مرة ثانية.

سألت نفسي ما هذه الأفكار الغريبة والمفاهيم التي تستمر في الزحف نحوي ؟ بقايا قصص «أليكس» المتعلقة بالأشباح ما تزال عالقة في ذهني. القصص حول بحيرة «الخبث» و قواها الملعونة.

و بسرعه قلت لنفسى أن تلك القصص ليست أكثر من خوارق للطبيعة ممزوجة بخرافات قديمة. استمريْت في المشي أسرع و أسرع، حتى وصلت للركض. انغمست بين جذوع الأشجار، ظلالها تزداد أكثر فأكثر، فروعها النحيفة تلتف حول جسدي مثل الأذرع الطويلة. شيء ما يمسك بي، أغصانه تكشط في فروة رأسي كالمخالب، فصرخت بأعلى صوت لا إراديًا من شدة الألم .صوت خوفي كان كثيرا بالنسبة لي .

الأوهام تملأ عقلي، لم أعد أستطيع السيطرة عليها، موجات عاطفية تزداد أكثر فأكثر بداخلي.

لن أجدهم .

لن أجدهم أبداً.

في تلـك اللحظـة وكأننـي سـمعت شيء مـا يقـول لي، عليـك القيـام بمكالمـة هاتفيـة . بالطبـع إنـه أول شيء نلجـأ إليـه عنـد فقـدان شـخص مـا. لمـاذا لم أفكـر في ذلـك مـن قبـل ؟ أبطـأت مـن سـيري، أخـذت نفسًـا عميقًـا، أدخلـت يـدي في جيـب السـروال لكننـي لم أجـد شـيئا، تفقـدت الجيـب الأخـر لم أجـد شـيئا أيضـا. أيـن يمكـن أن يكـون؟ هـل فقدتـه في مـكان مـا عـلى الجزيـرة؟ أم أننـي تركتـه في القـارب ؟ ذاكـرتي تجمـع ببـطء.

أنـا لم آخـذ الهاتـف معـي عندمـا تركـت الكابيـة. لقـد كان قـراراً متهـوراً أن نقـوم بهـذه الرحلـة. و في الواقـع لم أكـن أنـوي القيـام بهـا، ومـع ذلـك فعلـت. أحـس بضيـق في صـدري مـرة أخـرى، ولكـن هـذة المـرة ليـس مـن مشـقة التنفس . مـرة أخـرى أنظـر حـولي، وأنـا فاقـدة الأمـل. ولكننـي لم أجـد شـيئا اسـتدل بـه عليهـما، يـا إلهـي أكاد أجـزم أننـي تركـت الهاتـف في حقيبتـي.

ومـع ذلـك، لا يبـدو هـذا صحيحًـا، كيـف يمكننـي مغـادرة الجزيـرة بـدون العثـور عـلى «سـميلا و أليكـس» ؟ كيـف يمكننـي ببسـاطة تركهـم لحتفهـم ؟ يوجـد شيء مخيـف حـول هـذه الكلـمات. هنـاك شيء غـير صحيـح .

لا! لقـد طـردت الهاجـس المخيـف و بـدأت في السـير بسرعـة. بمجـرد حصـولي عـلى الهاتـف، كل شيء سـوف يكـون عـلى مـا يـرام. سـأتمكن مـن الاتصـال «بأليكـس»، أو سـيتصل بي. مـن يـدري، وربمـا يكـون حـاول بالفعـل مكالمتـي. يجـب أن أتجـاوز السرعـة أكـثر مـن ذلـك، متجاهلـة كـم أنـا متعبـة. أنـا في أشـد الحاجـة لوضـع يـدي عـلى الهاتـف. السـؤال الوحيـد الآن، هـل أسـتطيع العـودة إلى نقطـة البدايـة حيـث قمنـا بتقييـد القـارب؟.

أتقـدم خطـوة أخـرى للأمـام، وأسـقط في الظـلام مـرة أخـرى، تختفـي الأرض مـن تحـت قدمـاي، في أخـر لحظـة حاولـت أن أقـف، لكـن أمعـائي تتأرجـح، عندمـا هـدأت، كنـت مـا أزال واقفـة في مـكاني لفـترة طويلـة، أحـدق في المشـهد

الـذي أمامـي، إنـه التـل الـذي أتيـت منـه، إنـه أشـبه بمنحـدر مزيـف، كيـف يمكـن أن أعـود هنـا مـرة ثانيـة؟

في حالتـي المشوشـة هـذه، مـن المسـتحيل معرفـة مـن أي طريـق أتيـت منـه. و لكنـي أسـتطيع رؤيـة الخطـوط العريضـة للقـارب، حدقـت فيـه بعواطـف مختلطـة، بوضـوح، «أليكـس وسـميلا» ليسـا هنـاك، ولكـن عـلى الأقـل القـارب لا يـزال موجـوداً .

للمـرة الثانيـة تخطـر في بـالي تلـك الأفـكار الغريبـة وهـي مـاذا سـيحدث لـو أن القـارب لم يكـن موجـودا؟ هنـاك شيء يزعجنـي، عـدم ارتيـاح معـين، أم أنـه نـدم ؟ إذا رجـع بي الزمـن للـوراء فسـوف أفعـل الأشـياء بشـكل مختلـف، أحـاول التخلـص مـن هـذا الشـعور، مـرة أخـرى لـكي أهـون عـلى نفـسي.

الظـلام دامـس الآن، كل شيء مطمـوس في الظـلام . شـاهدت خيالـين أحدهـما طويـل والآخـر قصـير، يقتربـان منـي، وسـط الصّيـاح و الضحـك ولكـن لايوجـد أحـد هناك.عصفـور يغـرد بالقـرب منـي، إننـي أسـتطيع الإحسـاس بـه، لمحـت هيئـة لجسـم مخيـف ذو منقـار، كـما لـو أنـه خنجـر، ومـا لبـث هـذا الكائـن أن غطـس في ميـاه البحـيرة، حدقـت النظـر بـه للحظـة، وبعدهـا خطـوت عـلى الحافـة.

(3)

بطريقة ما تمكّنت من إيجاد طريق عودتي، أدرت القارب وابتعدت بأقصى ما سرعه بعيداً عن الجزيرة، عبر البحيرة توجد الكثير من المراكب الفارغة المصنوعة من الألياف الزجاجية على ذلك الرصيف المتهالك، يدي ترتعش، و أصابعي لا تطاوعني لأربط القارب. أشعر بصلابة جسدي و توتره، أتنفس بصعوبة حيث تعثرت في الطريق الضيق للخروج من البحيرة، لقد أفقدني جذع شجرة في الأرض توازني، الألم القديم في فخدي عاد من جديد، و لكنني ضغطت على أسناني بقوة و مضيت في التسلق، هاهي الكابينة بسكونها المعتاد، هي الأخيرة في صف المنازل على الطريق، محمية بسياج من حديد، و على الجانب الأخر جبل شديد الانحدار، المفتاح موجود كما تركته أسفل الدواسة، أصابعي باردة كالجليد، أتعثّر في فتح الباب، لا بد لي من أخذ عدة أنفاس وأضغط بقوة، ونجحت في فتح الباب.

وحين كنت أَهُمّ بإغلاق الباب خلفي، رأيت مخلوقا فروياً ينزلق بين ساقي إلى داخل الكابينة. سمعت مواءاً غاضباً كما لو أن القط انتظر عقودا لكي يقول لي أنه ساخط.

لم أعط اهتماما للقط أو حتى أزعجت نفسي بخلع حذائي، أضأت كل الأنوار وفحصت جميع الغرف. ناديت على «سميلا و أليكس»، ولكن لا أحد يُجيب. نظرت إلى الكابينة كل شيء كما تركناه عندما غادرنا. كما لو

أنّ الزمـن توقـف بعـد ذهابنـا.

الجرائـد كـما هـي موضوعـة عـلى الطاولـة بالمطبـخ، إلى جانـب صحـن زبادي الـذي تعفّـن. عرائـس «سـميلا» متناثـرة عـلى الأرض. تخيلـت كيـف كانـت تلعـب بهـم هـذا الصبـاح، وشـعور بـالأسى يجتاحني .

لاحظـت علامـة عـلى الأرض. علامـة مظلمـة تـدل عـلى أنهـا مـن نعـل الحذاء. هـل دخـل شـخص مـا للكابينـة في غـير وجودنـا؟ هـل هنـاك أحـد بالداخـل؟، ارتعـدت خوفًـا، هـل يوجـد أحـد هنـا الآن ؟ هـل هنـاك أحـد يختبـيء تحـت السريـر أو داخـل الخزانـة، وربمـا سـيهاجمني الآن؟ إنتابتنـي تلـك الرجفـة .ثـم لاحظـت أثـر قـدم، وأخـرى، وأخـرى كلهـم يأتـون مـن نفـس الاتجـاه. نظـرت إلى قدمـي، وألقيـتُ نظـرة عـلى حـذائي الـوردي – ثـم إلى جميـع الأحذيـة التـي خلعتهـا و نحـن في عجلـة مـن أمرنـا. كان هنـاك حـذاء رديء و الأخـر ملطّـخ ببقـع بنيـة اللـون. رفعـت قدمـي ورأيـت كـم هـو الوحيـد القـذر. أشـم رائحتـه في الهـواء، رائحـة سـيئة تمـلأ أنفـي. طـين. مـن الممكـن أن تكـون قدمـي قـد غاصـت فيـه، تذكـرت كيـف كنـت أجـري عـلى الجزيـرة وأتسـلق المنحـدر. هـل يمكـن أن يكـون طـين مـن الجزيـرة وقـد لطـخ الأرض؟، الأن طـين مـن الجزيـرة التـي بهـا «أليكـس و سـميلا» هنـا.

مـرة أخـرى أديـر عينـي عـلى آثـار الأقـدام فأشـعر بالغثيـان. كيـف يمكـن أن أتـرك الجزيـرة بدونهـم؟

شـدت انتباهـي حركـة في الغرفـة.» تيريـث» يقـف أمامـي. فـرو رقبتـه مهـوش. ذيلـه يتأرجـح ببـطء ويلـف مـن جانـب إلى جانـب آخربينـما يحـدق في وجهـي، يضيـق عينـاه.. كـما لـو أنـه يتسـاءل عـما أفعلـه هنـا، وحـدي .

كنـا ننظـر إلى بعضنـا وأنـا ارتـدي قميـصي، ثـم تحوّلـتْ عينـا القـط للنظـر إلى آثـار الأقـدام، أتخيلـه يريـد تفسـيرا لتلـك الآثـار، مـا معنـى مفقـود ؟ كيـف اختفـوا ؟ دفنـت رأسي بـين ذراعـي و كتمـت الـصراخ .

الأفكار التي تدور في رأسي تدفعني نحو دوّامة غليظة محفوفة بالمخاطر، حاولت السيطرة على نفسي. وكأنني أرى نفسي شخصية مهزومة يُرثى لها، أمسكِ نفسك بعض الشيء كنت أقول بصوتٍ عالٍ «يجب أن أتّصل بأليكس» رفعت يدي من وجهي . لقد جئت إلى هنا لهذا، قلتها وكأني أوجه حديثي للقطة.

كنت أنطق الكلمات بحدة ووضوح، هذا هو سلاحي ضد السكون الذي يلفنا. هذه الأفكار ليست جديرة بالثقة إذا تركت نفسي لها. سوف أغوص في الظلام الدامس إذا نظرت إلى الصور بأكملها، سوف يشلني الخوف. يجب أن أنظر إلى كل التفاصيل، أن أركز على شيء واحد فقط. هذه هي الطريقة الوحيدة للحفاظ على عقلي.

لا يوجد خط أرضي في الكابينة، لذلك يجب أن أجد الهاتف الجوال.

خلعت حذائي وضعته في المدخل. سوف أؤجل مسح الأرضية. وبحزم، اتجهت إلى غرفة النوم في نهاية القاعة. غرفة نومي أنا و «أليكس» بها سرير مزدوج. قلبي يتأرجح كلما تذكرت أخر مرة كنا سويا على هذا الفراش.

تمكنت من السيطرة على الدوار والغثيان الذي يؤرق أمعائي. كل شيء جميل ومرتب على جانب «أليكس» من الغرفة. ثيابه معلقة في خزانة الملابس أو مطوية بعناية في الأدراج. حتى إنه جعل سريره إلى الجانب الذي يفضل النوم عليه عادة. ولكن أين هو الآن؟

أما جانبي من الفراش فكان مغطى بفساتين صيفية وجينز وقمصان .

شنطة يدي ملقاة على كرسي بجانب السرير، بجانبها رزمة من الورق واثنين من أحمر الشفاة، و حمالة صدر حمراء اشتريتها عندما قررت وأليكس القيام بهذه الرحلة، كان ذلك في نفس اليوم الذي اشتريت له الكرافتة السوداء الحريرية .

ابتلعت ريقي بصعوبة «لا تفكري في هذا الأمر الآن». لا تفكري فيه أبداً. فقط ركزي على القيام بما يجب أن يفعل بسرعة.

بحثت في شنطة يدي وأخرجت كل ما بها، لم أجد الهاتف الخلوي بها. كم هذا غريب ! أين يمكن أن يكون؟ أسرعت إلى المطبخ .القط «تيريث» يحن للماضي، يتّجه إلى صحنه، على أمل أن أطعمه. يدور حول الصحن عدة مرات، ثم يجلس ويلعق أطرافه .«كل شيء سوف يكون على مايرام، لا بد لي من العثور عليه ..».

كنت أهمهم لأهديء من نفسي، اتجهت إلى المطبخ حركت الصحف جانبا والأطباق غير النظيفة، بحثت أسفل عرائس «سميلا»، خلف ماكينة القهوة الموضوعة على الرف فوق الموقد. لا يوجد هاتف جوال .لدرجة أنني بحثت في الثلاجة ومسحت الأرفف بيدي قبل أن أتجه لغرفة المعيشة. وبينما أبحث أتخيل ما سوف أقوله «لأليكس». كيف سيكون حوارنا، و كيف سيضحك عندما أتصل به. لن أستطيع تخمين ما سوف يحدث! سوف أعرف منه على الأقل كيف أختفى هو و«سميلا» .سوف يعطيني تفسيرا ساخرا و ليس توضيحا طبيعياً .لأنه يجب أن يكون هناك توضيحا لازما. المشكلة الوحيدة في الوقت الحالي هي أنني لا أستطيع تخيل حياتي..... هذا جنون.

إنها الأفكار التي تمر بعقلي بينما أفحص بيدي وسائد الأريكة. لقد فُقدوا. و لكن ليس من الممكن أن يختفوا هكذا. من جزيرة. فتحت كل الستائر للنظر على جميع النوافذ. وأثناء سيري بسرعة ارتطمت بتمثال من الزجاج. طار في الهواء ببطء. كأنه تصوير بطيء .ثم ارتطم بالأرض و انكسر إلى مئات القطع.

المنهج العقلاني والدعوة للتركيز الذين كافحت من أجل الحفاظ عليهم تلاشوا تدريجيًا .

اليأس يحتلني من كل الجهات، رنين حاد في أذني صريخ دفعني للعودة مرة ثانية إلى غرفة النوم، فحصت الشنطة ثانية ولكنني لم أجد شيئاً . وبطريقة شديدة الانفعال ألقيت الملابس على السرير، وأحمر الشفاه على الكرسي. و لكنني أيضا لم أجد الهاتف. جريت إلى حجرة «سميلا» وبحثت في كل أشيائها دُمَىً، ودببة، عرائسَ، كتب أنشطة، و ملصقًا . أتحرك بسرعة، لقد فاقت حركاتي الهوس. أنا أعرف أنني أبحث عن شيء ما، ولكن الآن لا أعرف ما هو. كل ما أفكر فيه هو «سميلا» حبيبتي الصغيرة. الأفكار تعصف برأسي وكأنها ورقة في مهب ريح.

مفقودين!. إنهم في عداد المفقودين. ولكن هذا مستحيل! كيف لرجل ناضج و طفلة عمرها لم يتعدى أربع سنوات أن تبتلعهم الأرض. لا، لم تبتلعهم الأرض، ولكنها مياه البحيرة المقترنة بالشر. كلما تذكرت كلمات «أليكس» عن اختفاء الناس، و سفك الدماء، يدب الهلع و الرعب داخل جسدي. وبعيدا عن زاوية رؤيتي لمحت شيئا يتحرك، تبعه انفجار مدوي. استدرت وصرخت. صوت مئات من حبات الخرز الصغير يتدحرج على الأرض، سمع فيها القط «تريث»، صراخي، وجعله يتجمّد في وسط الغرفة، تبدو عليه ملامح الخوف الشديد.

عاد الصمت مرة أخرى إلى الغرفة، اتجهت نظراته نحو كمية الخرز المبعثر على الأرض. ربما تبعني إلى حجرة «سميلا» واعتقد أن بحثي بين أشياء «سميلا» هو نوع من الألعاب وأراد أن يلعب أيضا. وربما ارتطم بالصدفة بصندوق الخرز الموجود على الرف.

وضعت أصابع يدي على صدري، وضغطت عليه لأتنفس كثيرا. ومددت

يـدي الأخـرى نحـو القـط. اقـترب منـي بعـد قليـل مـن الـتردد، ربّـت عـلى ظهـره ببـطء، كمحاولـة لتهدئـة كلانـا. حـك فروتـه بي، فأخذتـه في حضنـي والدمـوع تنهمـر مـن عينـي، وصرخـة ترتفـع في حنجـرتي وتتسرّب مـن شـفتاي.

قلـت لنفـسي «سـوف يعـودون» بالتأكيـد سـوف يعـودون قريبـاً. مـن الواضـح أننـي لا أصـدق مـا أقـول، هـل أدرك القـط هـذا ؟ دفنـت وجهـي في فـروه، وعندمـا رفعـت رأسي ضاقـت عينـاه واقـترب منـي بأنفـه، بـدأ يلعـق وجنتـي، ويديـر لسـانه عـلى وجهـي. كـما لـو كان يريـد مواسـاتي وتشـجيعي أن أسـتمر.

جلسـنا لفـترة مـن الوقـت حتـى أفلـت مـن قبضـة يـدي ونـزل، نهضـت واتجهـت إلى غرفـة المعيشـة مـرة أخـرى، وضعـت يـدي عـلى جانبـي وسـألت نفـسي أيـن هـذا الهاتـف اللعـين؟ يجـب أن أعـثر عليـه الآن! لـو أننـي اسـتطعت أن أجـد «أليكـس» فـإن كل شيء سـيكون عـلى مـا يـرام. بحثـت في غرفـة المعيشـة مـرة ثانيـة، في كل مـكان يمكـن أتصـور أنـه موجـود بـه، في كل ركـن، وكل زاويـة، حـول و تحـت الأثـاث، و لكـن يبـدو أن الهاتـف قـد تبخـر، أكاد أسـمع نبضـات قلبـي التـي تـدق بصـوت عـالٍ في أذني. كل مـا أريـد فعلـه هـو الـصراخ بشـكل هسـتيري . لقـد سـمعت شـيئا !. سـكت وعـاد مـرة أخـرى. لا شـك أنـه رنـين صـوت تليفـون. إنـه هاتفـي. يبـدو أنـه قـادم مـن غرفـة النـوم. وقفـت وقلبـي يـدق .أريـد سـماع رنينـه. لـن أتـرك الأمـر في أن يتحـول الرنـين إلى بريـد صـوتي ! إنـه يـرن مـرة أخـرى، إن الصـوت يـأتي مـن غرفـة النـوم، مـن السريـر نفسـه.

جريـت إلى الداخـل، الصـوت يـأتي مـن الجانـب الـذي ينـام فيـه «أليكـس». انتزعـت اللحـاف فانتـشر الصـوت ووضـح. لقـد وجدتـه. أنـا لا أعـرف كيـف وصـل الهاتـف إلى هنـا. و لكننـي لا أريـد أن أضيـع الوقـت في التفكـير. يـضيء الهاتـف يرن مـرة أخـرى .التقطـه وحدقـت في الشاشـة. رأيـت كل الأرقـام مألوفـة. لا أعـرف لمـاذا أتلقـى مكالمـة الآن . كل مـا أعرفـه هـو أننـي أغمضـت عينـي بشـدة.

(4)

كانـت أمـي التـي تتصـل، تتنفـس بصعوبـة، أمعـائي تطبـق عـلى بسـبب الرعـب المسـتمر والمزعـج منـذ طفولتـي. هـل حـدث شيء ؟ لقـد وقعـت الكارثـة بالفعـل منـذ وقـت كبـير. يمكـن أن يكـون هنـاك أسـبابًا كثـيرة لسرعـة تنفـس والـدتي ربمـا تكـون قـد أنهـت للتـو تمشـيتها المسـائية، عـلى الرغـم مـن أننـي لا أعـرف إذا مـا كانـت مـا تـزال مغرمـة بالمـشي أم لا. وأنـا لا أهتـم. كل مـا أفكـر فيـه هـو «أليكـس». ربمـا كان يحـاول الاتصـال بي في هـذة اللحظـة بالـذات.

«مامـا، يجـب أن – « لكنهـا لا تسـمعني .لا يهمهـا أن تسـمعني، بـدأت تتحـدث و تقـول لي كـم هـي متعبـة. كان لديهـا عـدة أيـام صعبـة للغايـة. وأنّ أحـد الزمـلاء هـدد إحـدى زميلاتهـا. إنّـه النّـوع المعتـاد مـن الأشـياء. أنـا أعـرف مـكان إقامتـك و مـكان مدرسـة الأطفـال. و لكـن هـذه المـرة قلبـت الطاولـة عـلي. أردت أن أصرخ و أقـول لهـا أننـي كـبرت وأصبـح لـدي مشـاكلي الخاصـة، وأشـياء تحـدث في حيـاتي أكـثر إثـارة للخـوف مـما تتحـدث عنـه الآن.

لم أقـل شيء مـن ذلـك بالطبـع، توقفـت أمـي عـن الحديـث، ثـم همهمـت بـكلام مـا، وانتقلـت إلى نقطـة أخـرى مـن الحديـث، عـن الطقـس الصيفـي الجميـل، بـدأ الغثيـان يرتفـع داخـلى. لمـاذا فعلـت هـذا ؟ نتظاهـر بعنـاد بأننـا فقـط أم وابنـه عاديـين. حيـث مـن الممكـن لنـا أن نتواصـل مـن جديـد بعـد كل هـذه السـنوات، ونتذكـر مـا كان بيننـا في المـاضي، وأبي الـذي اختفـى. مـددت

جسـدي عـلى سريـري، ومسـحت جبينـى بيـدي. سـكتت أمـي، و أدركـت أنهـا سـألتني سـؤال ما.غـيرت نـبرة صـوتي و قلـت لهـا أعيـدي السـؤال. «هـل أنـتِ وحـدك ؟» اجتاحـت جسـدي موجـة مـن العواطـف الحزينـة. هـذا السـؤال لا يصلـح لهـذا التوقيـت. كان يمكـن أن يصلـح عندمـا يكـون «أليكـس» موجـود. لقـد عـدت إلي المنـزل الخـالي، لأجلـس وحـدي عـلى طاولـة المطبـخ، عندمـا يتمـدد السـكون حـول المـكان، وليـس هنـاك إلا شـمعة مضـاءة كرفيـق لي. هـذا الاحتيـاج الشـديد للرفقـة والقـرب والخـوف الشـديد مـن تسـلل أي شـخص مـن خـلال الجـدران الحاميـة. هـل أنـتِ وحـدكِ؟، كررتهـا أمـي للمـرة الثانيـة، تنهمـر الدمـوع مـن عينـي، أحـاول منعهـا بهـز رأسي. لسـت أنـا التـي تكـون عاطفيـة عـلى الإطـلاق. لكنـي لم أعـد أنـا نفـسي منـذ الموعـد الـذي أخذتـه في العيـادة قبـل إسـبوعين وبعدمـا حـدث الليلـة الماضيـة، كيـف يمكـن لأي شيء أن يسـتمر كالمعتـاد ؟، تصـورت بحـيرة «الخبـث»، ومياـه البحـيرة المسـحورة، الجزيـرة في المنتصـف، المنحـدر الحـاد عـلى أحـد الجوانـب، تيجـان الأشـجار المظلمـة المحفـورة باتجـاه السـماء أليكـس و سـميلا «. «نعـم أنـا وحـدي».

تنهّدَتْ أمي، إنكِ مجرد خائبة، لم تقل لي ذلك، ولكننى

أحسسـتُ بذلـك . ابتلعـت ريقـي وقلـت. «أمـي، لا أسـتطيع... حقـا أنـا في أشـد الاحتيـاج إلى....»

سألتني: صوتك ليس كالمعتاد، هل حدث شيء؟

ماذا لو أخبرتها بالوضع؟ ماذا لو أخبرتها بكل شيء؟ ماذا سيحدث بعد ذلك هل سوف تقفز إلى سيارتها وتأتي إلى وتضمني إلى صدرها بحنان ؟، هل تتولّى كل شيء كما كانت تفعل منذ أيام الطفولة ؟ تجلسني و تقول لي ما يجب أن أفعله و كيف أفكر؟، تواصل أمي، وكأنها في حالة تَأَهُّب « أين أنت بالتحديد؟» أخذت نفسا عميقا. ثم أنهيت المكالمة. رن الهاتف مرة أخرى وظهر نفس الرقم على الشاشة. فقمت بإغلاق صوت رنين الهاتف.

(5)

تركت غرفة النوم وساقاي لا تقدران على حملي، ليس لأن المكالمة التي أجريتها مع والدتي كانت هادئة للغاية، ولكن لأنها أزعجتني كثيرا، .تلك الكلمات، تلك الجمل المبتذلة، كل هذا يتناقض بشكل صارخ مع الظروف المخيفة، والمربكة التي أجد نفسي فيها الآن.

أقف في منتصف الطريق بين غرفة المعيشة والمطبخ، أحسست باهتزاز الهاتف للمرة الثالثة كم من الوقت الذي ستستغرقه أمي لتتوقف عن الاتصال؟.

«تيريث»، جالس على الأريكة، رافعا رأسه لأنظر له، همهمت «سأفعل، سأفعل » ليس لدي فكرة عمَّا أعنيه بذلك. يجب القيام بشيء ما، ولكن لماذا؟ المحادثة مع أمي أفقدتني توازني .يجب أن أعيد تركيزي للبدء من جديد. أولا العثور على الهاتف، ثم ... ثم ماذا؟ ماذا يجب أن أفعل الآن؟، حدقت في الهاتف، لقد كان موجود على جانب «أليكس» من السرير طوال الوقت، مطوي بعيدا تحت اللحاف. كما لو أن شخصا وضعه عن قصد. هل هو من أخفاه ؟ هززت رأسي لأبعد فكرة غامضة تطرقت إليّ وكادت أن تتكون.

«كيف ولماذا يوجد الهاتف هنا » ليس هو الموضوع. الذي يهمني الآن هو أنني أستطيع الاتصال بالعالم الخارجي.

الآن يمكنني الاتصال «بأليكس». نعم بالطبع . هذا ما أريد القيام به. بأصابع مرتجفة، أضغط على الرقم و أنتظر.

لجزء من الثانية، أعتقدت أنني أستمع «لأليكس» وهو يتحدث معي على الهاتف. بعدها أدركت أنني أستمع إلى بريده الصوتي .أستمع مرة ثانية إلى الكلمات السريعة المنطوقة بصوته، كان يشبه رجل مبيعات محترف. اتصلت أربع أو خمس مرات وكل مرة أسمع نفس التسجيل الصوتي، وعندما يأتيني صوت الصفارة، لأترك رسالتي الخاصة، لا أقول شيئاً. ماذا أقول؟ ليس لدي أي فكرة، لماذا تغيب الكلمات الصحيحة عندما نريد توضيح الأشياء التي لا يمكن تفسيرها ؟ «مرحبًا، أنا «أليكس»... التحية تعيدني مرة أخرى لأول لقاء بيننا، لقد أتى إلى المتجر برفقة زميل له.

«كاتينكا» كانت أول من لاحظته.

«أنتِ، انظري»، ووكزتني في جانبي. استدرت، ورأيته. يرتدي بدلة مصممة بشكل مثالي، رأسه حليق، وقميصه كان مضبوطا بدقة، ولكن عندما كنت أمسك يده انزلقت ثنية الكم، وكشفت عن أوشمة متداخلة مع بعضها البعض على ذراعه، كان هناك تناقض شديد سلبني عقلي. قال لنا أنه يقدم مجموعة من منتجات التجميل الخاصة بمطرب مشهور. ربما قال صديقه شيء أيضاً، ولكنني لم أنتبه له ولا أعرف ما الذي حدث عندما نظر إليّ بعيونه الزرقاء.

«جريتا ؟ أهو اسمك ؟»

في ذلك الوقت ظهر صاحب المتجر، ابتسم له و صافحه. كانا متواعدان على اللقاء كما يبدو من مصافحتهما.

مال برأسه وذهب مع المدير إلى مكتبه الصغير في نهاية المتجر.

كنت متأكدة من أنه يحس بنظراتي الموجهة إليه أثناء سيره. كنت أعتقد أنه سيدير رأسه لكي يبتسم لي و لكنه لم يفعل ذلك.

إطلاق حملة الدعاية للمطرب تتطلب ترويجات باهظة الثمن. وضع الكثير من القطع الكرتونية المجسدة للمطرب في أفضل أماكن بالمتجر، كاسات طويلة مملوءة بالنبيذ الوردي الممتلىء بالفقاعات والخالي من الكحول، والشوكولاتة الفاخرة الموضوعة على صواني مُذهّبة.

بخصوص الجمهور، قمت أنا و «كاتينكا» بعرض كيفية استخدام المكياج أمامهم، لاحظت أن «أليكس» كان موجودا بين الجموع المكتظّة تحت المنصة. نظرات عينيه أرسلت لي الكثير من الرغبات، كان انجذابي إليه كبيرا لدرجة إنني فقدت صوتي بعد ذلك.

عندما انتهينا من العمل وأثناء إعادة ترتيب المكان، ظهر فجأة إلى جانبي وهمس «جريتا»، «مثل جاربو» أو «جريتل»، على ما أظن.

اسمي كان تقريبا نفس اسم فتاة في خرافة حول بيت الزنجبيل والساحرة الشريرة في الغابة. و لكنني لم أقل ذلك، لم أقل أي شيء . و هذا يدل كم كان تأثيره قويا عليّ . وكان كل ما استطعت فعله هو إيماءة صغيرة. فابتسم وقال لي لقد أعطتك والدتك اسم بعد مشاهدة فيلم لنجمة سينمائية؟ «في الواقع والدي هو الذي أعطاني الاسم».

ندمت على الفور لذكري اسم والدي .لا تسأل من فضلك لا تسأل .

لكن «أليكس» لم يسأل أي أسئلة عن والدي، بدلا من ذلك اتكأ بلا مبالاة على رف العطور وأخذ رشّه من إحدى الزجاجات.

حسنا، إنها تناسبك على أي حال، «غاربو» كانت جميلة جدًا.

كان يحدق فيّ بعينيه الزرقاوتين، لذا كنت أنظر بعيدا. رتبت التيشيرت الأسود الذي كنت أرتديه، مدركة نظراته التي تتبع حركة يدي على القماش.

« لكنها لم تكن جميلة فقط، بل كانت لغزا أيضا، مثلك تماما».

شيء دافيء يفرك ساقي نظرت إلى أسفل، إنه «تيريث»نظرت إليه نظرة مشتتة .

بعد فتره كلمت «أليكس» عن والدي.

لمست رأس القطة و باليد الأخرى أمسكت بالهاتف، مال «تيريث» وأغمض عينيه بوداعه، خبط رأسه في أصبعي، بحثت في البريد الصوتي الخاص بي و لكن لا يوجد شيء من «أليكس».

مرة ثانية ضغطت على الرقم، هذه المرة هل أترك رسالة؟ ولكن كيف ستكون الرسالة؟.

قمت لأتجوّل في المطبخ، أخذت قطعة قماش وحاولت إزالة الطين من الأرضية، ثم أزلت كل قطع التمثال المكسورة في جحرة المعيشة، وأفكر في ما سأفعله بعد ذلك؟، مشيت في الكابينة كلها، أدخل حجرة تلو الأخرى، ثم وقفت في المدخل لفترة طويلة، كنت أظن أنني سأسمع أي أصوات لأقدام أو أي خطوات تقترب، كنت أنتظر رؤية مقبض الباب وهو يدور ويدخل لينادي اسمي ويقول نحن هنا! ولكن لا شيء .

قمت وذهبت أنظر في المرآة المعلقة على الحائط بين حامل المعطف ورف القبعة.

نظرت قليلا إلى وجهي، ثم أخذت أفكر، ما الذي كان سيفعله أي شخص عادي، شخص عاقل، وطبيعي في وضعي هذا؟، أنا أعرف الإجابة حتى قبل أن تأخذ هذه الكلمات شكل الفكرة في رأسي.

أطلب المساعدة. هذا ما سيفعله أي شخص عادي وعقلاني و طبيعي، كيف أسمح بمرور هذه الساعات الطويلة دون الإبلاغ حول اختفاء «أليكس وسميلا»؟ لماذا لا أمسك الهاتف فورا و أتصل بالشرطة؟

أشـعر بـأن وجنتـي تحترقـان وأنـا أمسـح دمعـي، أنظـر إلى وجهـي في المـرآة مـرة أخـرى. اسـتدعاء الشرطـة يعنـي الاعـتراف باحتماليـة وقـوع شيء فظيـع. أسـوء مـن كل السـيناريوهات المحتملـة، رفضـت التفكـير عـلى هـذا المنـوال ،. «أليكـس وسـميلا» سـالمين آمنـين. هـذا مـا أريـد أن أصدقـه. بـل مـا أحتـاج أن أصدقـه .لكـن لمـاذا ليسـوا هنـا؟ أنـا الآن أحتـاج للعـودة إلى الجزيـرة .

عندمـا حاولـت أن أرتـدي حـذائي تمايلـت وكـدت أن أقـع، لقـد أيقنـت إلى أي مـدى وهـن جسـدي بسـبب عـدم زيـارة أي أكل لمعـدتي، لكـن عـلى الأقـل يجـب أن أشرب شـيئا مـا، تعـثرت في المطبـخ وضربـت بيـدي عـلى الخزانـة فـوق الحـوْض ولكنهـا لم تنفتـح، فقمـت بقتـح الخزانـة السـفلية وتفحصـت زجاجـة بهـا مـشروب، أغلقـت بـاب الخزانـة و جلسـت عـلى كـرسي، أنـا لا أسـتطيع تنـاول مشروبـا، ليـس الآن .بالتأكيـد ليـس الآن . تـتراءى أمامـي الخطـوط العريضـة لوجـه يحـوم أمامـي. أسـتطيع أن أكـون شـكل لإنسـان، شـعر متسـاقط عـلى جبينـه، وذلـك الميـل في الشـفاه،» أليكـس»؟ أليكـس إن هـذا كثـير. البقايـا الأخـيرة مـن الثقـة مـن النفـس تتـسرب منـي، دفنـت وجهـي بـين يـدي، اللعنـة عليـك «أليكـس»!

(6)

استيقظت لأجد شيئا ساخنا و فروي يضغط على وجهي. أحاول أن أستعيد وعيي ولكنه يضغط عليّ. عندها مددت يدي تلقائيا- لن أسمح لك، فأنا لا أريد ذلك- وجدت جسمًا نحيفًا، وعندما استيقظت رفعت رأسي كانت رقبتي متصلبة، جزء من وجهي كان مخدرا، فركت خدي نظرت إلى طاولة الملابس، هل غلبني النوم هنا؟ «تيريث» إبتعد عني، وعلى إثر الكلمة وجّه لي نظرة اتّهامية، أنا آسفة كنت فقط أفرك وجنتي، لم أكن أعرف أنك أنت. اعتقدت ... وهنا تذكرت. تحاملت على نفسي واتجهت إلى غرفة النوم، كل شيء كما هو منذ ليلة أمس. في غرفة «سميلا» كل شيء فوضوي من بحث الأمس .

لكني بالكاد لاحظت ذلك الشيء الوحيد الذي آراه الآن، السرير. إنه فارغ. لاتوجد ضفائر ذهبية على الوسادة، لا يوجد جسم فتاة تحت الأغطية. ركعت على ركبتي طمست وجهي في لحافها استنشق رائحتها، لا يمكن أن يكون هذا حقيقياً. لابد أنني أحلم ؟ يا الله أتوسل إليك أن تخبرني أنني أحلم.

أشعر أنني على وشك البكاء، شيء ما يفصل بيني و بين تلك المشاعر. صوت قبيح أسمعه في رأسي . ويهمس لي «منافقة»، ترنّحت على قدمي، وجففت عيوني. بإقدام شديد ألقيت نظرة خاطفة على غرفة النوم الكبيرة

- واستنتجت أن لا أحد قد نام على الفراش. أشعر بالثقل في رأسي كما لو أنني قد شربت ليلة أمس. وكأنني شربت زجاجة تلو الأخرى، كل الزجاجات اللعينة التي جلبها «أليكس»،على الرغم من أنني أعلم أن هذا لم يحدث أبدا.

كيف يمكننى أن أكون متأكدة من كل شيء؟ يهمس الصوت الصغير داخل رأسي.

كيف يمكنكِ أن تكوني متأكدة من أي شيء؟، كان «تريث» في المطبخ، أخذ يهز ذيله بألفة عندما رأني أمسك كيس الطعام لأضع له بعضا منه في الطبق، بالطبع جوعه هو الذي جعله يوقظني، وضعت قطعتين من الخبز الفرنسي في التوستر، وعلى غير عادتي أضفت وعاء كبيراً من الزبادي. أحاول تجنب التفكير في مدى السخف المزعج من الروتين العادي في هذا الوقت.

أنا في أشد الاحتياج إلى الطعام، لذلك أجبرت نفسي على الأكل، كان الطعام عبارة عن خبز مقرمش، وكان يجرح حلقي عند ابتلاعه. لمست رقبتي بحذر. ثم نظرت إلى طاولة الطعام حيث كانت تجلس «سميلا» منذ أربعة وعشرين ساعة .لقد كانا معا، يمسكها بيده ويضمها لصدره، و اليد الأخرى على أرجلها تتطوح مثل طائرة، صياح مصحوب بضحك كلما ألقاها في الهواء، وتدور، و لكن في لحظه كاد رأسها أن يرتطم في الخزانة و كاد هو نفسه أن يفقد توازنه. رغم ذلك لم أتدخل او أعترض أو أثير أية ضجة، أخيرا، أنزلها «أليكس» على الكرسي و بدأت تأكل إفطارها. ثنت قدميها تحت قميص نومها، تنظر إليه والإعجاب في عينيها.

كانت سعادة سميلا وبراءتها هي التي حسمت الأمر.عندها قمت بتثبيت القرار الذي اتخذته ليلة أمس .أب جيد.

أب جيد .

أب جيد.

لا زلت أشعر بوجود «سميلا» بجانبي، و لكن ملامح وجهها لتمكن واضحة، كأنها جالسة هناك على كرسي المطبخ أمامي، ولكنها ليست كذلك. فجأة، إنها أنا التي أراها . و الرجل الذي يتحرك حول المطبخ، المسؤول عن الألعاب، الغليظ، إنه أبي. الرجل الذي منذ لحظات سمح لي بالتسلّق، ودار بي في الهواء، وحملني بأمان، بجسمه القوي وقبضته الثابتة. الرجل الذي يفتح كل شيء، الأدراج والخزائن، ظاهريا يبدو كأنه يحضر وجبة الإفطار، ولكن في الحقيقة هو يحاول تحويل كل شيء إلى لعبة. يوازن لوحة على رأسي ويتظاهر أنه يضع الزبد على منديل بدلا من قطعة الخبز المحمّص. وعندما مال ليُقبّل خدّي، شممت رائحة الصباح، صباحًا من فمه وعطر امرأة أخرى على جلده.

ناديت على أمي : ماما تعالي، لا تزال غارقة في النوم و شعرها في حالة من الفوضى .كانت تكتم التثاؤب بيدها، وأبي يرقص حولها، وأخذ يعزف لها لحنًا من النغمات السخيفة. مازالت واضعة يدها على فمها، و لكني أستطيع أن أرى وجهها يتلألأ بإبتسامة مكتومة. لديها أكثر زوج مجنون بالعالم، تبادلا القُبُلات الحارّة لفترة طويلة وعندما أدرك أني لا أسمعه - أو أنني لا أفهم شيئاً- شكرها على ليلة أمس. تضحك أمي، وتشعر بالحرج وتداري عينيها ولكنها وسط هذا كله.. كانت سعيدة.

أرى عيناها مشرقة، وأشعر بالسعادة والدفء داخلي أيضاً، عائلتي يحبون بعضهم البعض ويحبونني، لدي كل ما يمكن لأي شخص أن يتمناه .

رفَعْتُ الملعقة نحو فمي، ترتعش يدي قليلاً، كانت ذكريات طفولة جميلة.

آه لو أنّ مزاج أمي كان جيداً عندما أتت إلى المطبخ بدلا من أن تكون

صامتة وكئيبة، لو أن رائحة فم بابا لم تكن بها روائح يوم أمس، لو أنني استطعت أن أتظاهر أنني لم أفهم. أنا أعرف أن العطر الموجود على جلد والدي يخص امرأة أخرى. وأن تلك المرأة ليست أمي بالطبع. قطع الخبز تنتفخ في فمي، أحدق في القطعة التي في يدي، وألاحظ أن يدي لازالت ترتعش، تنقبض معدتي ثم تتحرك بسرعة، استغرقت وقتا لكي أفهم ما سوف أفعله، عندما أدركت ذلك قفزت من الكرسي الذي ارتطم على الأرض محدثا صوتا عاليا، اندفع «تيريث» كالصاروخ تحت الأريكة، ولكن ليس لدي وقت لأنتبه لقط خائف، أسرعت إلى الحمام في الوقت المناسب قبل أن يتدفق القيء من فمي.

(7)

يالـه مـن صبـاح صـافٍ، تتـلألأ فيـه أشـعة الشـمس عـلى طـلاء السـيارة المركونـة عـلى الطريـق خـارج الكابينـة، إنهـا سـيارتي. السـيارة التـي اسـتخدمناها للوصـول إلى هنـا تقـف هنـاك، المصابيـح الأماميـة تبـدو كعيـون مفتوحـة عـلى مصراعيهـا، وكأنهـا تـصرخ في وجهـي، أنقـذي نفسـك، اهربـوا قبـل فـوات الأوان.

بالطبـع لم تكـن فكـرة حيويـة، مـن المسـتحيل الفـرار مـن هنـا، لـن أتـرك المدينـة قبـل أن أجـد «أليكـس وسـميلا»، أتحـرك قليـلا، أميـل بـرأسي إلى جانـب واحـد وأنـا أتقـي الآثـار التـي تركتهـا سـيارة أخـرى كانـت تجـري بطريقـة عنيفـة، رحـت أنـا وبكياسـه وتعقـل تتبعـت آثـار السـيارة إلى أن اندمجـت مـع السـيارات الأخـرى عـلى الطريـق، تذكـرت مـا حـدث بالأمـس عندمـا سـمعت أصواتـا في الخـارج و لم أجـد «أليكـس» في الفـراش.

صـوت عـالٍ مضطـرب اخـترق النافـذة التـي كانـت مفتوحـة قليـلا، وبعـد ذلـك ارتطـام حـاد لبـاب سـيارة تبعـه صـوت إطـار سـيارة يحـترق مـن شـدة الاندفـاع.

الشـمس كانـت حارقـة، تلسـع ذراعـي، و لكننـي مازلـت واقفـة أحـدق في الطريـق، كنـت أفكـر في تلـك السـيارة الأخـرى والشـخصين اللذيـن كانـوا بداخلها.

حـول الشـخص الـذي ظـل هنـا و الأخـر الـذي رحـل. أخـيرا، لقـد أدرت ظهـري للطريـق، لا أريـد التفكـير أكـثر مـن ذلـك. وبعـد فـترة وجـدت نفـسي عنـد الرصيـف، أحـدق بعينـي في البحـيرة عـبر سـطحها الرمـادي الصلـب، ثـم أعـود للقـارب وسـط بحـيرة الخبـث.

فعلـت مـا فعلتـه بالأمـس، وبـدون ترتيـب خرجـت إلى الشـاطىء، ثـم صعـدت المنحـدر، وألقيـت نظـرة حولـه، اثنـا عـشرة سـاعة مضـوا منـذ أخـر مـرة وقفـت فيهـا في نفـس المـكان بالضبـط، ليـس هنـاك وقتـا لأضيعـه، وبعـزم كبـير، انطلقـت هـذه المـرة وقمـت بالبحـث بطريقـة منهجيـة، أفحـص الجزيـرة شـجيرة شـجيرة، مـازال الحـذاء الأسـود موجـودا حيـث تركتـه الليلـة الماضيـة، ولكـن هـذه المـرة لم أشـتت تفكـيري بالطبـع.

الجزيـرة أقـل رعبـا في وضـح النهـار ولكـن جغرافيتهـا مـن الصعـب اجتيازهـا، الأشـجار المتسـاقطة والنباتـات المتضخمـة، والمختلطـة بـبرك مـن المسـتنقعات والطـين. حـذائي يغـوص باسـتمرار في الوحـل، وكنـت أحـاول بالـكاد أن أغـادره.

بالتأكيـد «أليكـس و سـميلا» واجهـا نفـس الصعوبـات عندمـا كانـوا يستكشـفون الجزيـرة، يمكـن أن تكـون أكـثر صعوبـة عـلى «سـميلا» لأن الجزيـرة سـتكون بالنسـبة لهـا أكـثر رعبـا بالرغـم مـن حماسـها، يجـب أن تكـون قـد تعبت مـن المغامـرة بسرعـة كبـيرة، ومـع ذلـك اسـتمرت في اللعـب مـع «أليكـس» بـدلا مـن العـودة.

لـو كان الأمـر كذلـك، فأيـن ذهبـا؟ هـل منعهـما شيء مـن العـودة؟ هـل مـن الممكـن حـدوث ذلـك؟ هنـاك شيء في صـدري يحتـج و يقـاوم كل الأسـئلة التـي تسـألها بطريقـة مـا، كل الأسـئلة التـي تسـألها تبـدو زائفـة مثلـما أحـاول تضليـل نفـسي.

جلسـت عـلى جـزع شـجرة، أمسـكت بالهاتـف وطلبـت «أليكـس» مجـرد

شيء أفعله لإلهاء نفسي، إنه لم يرد و للمرة الثانية أستمع إلى رده المهذب عبر البريد الصوتي، أنهيت المكالمة، من الأفضل عدم محاولة الاتصال به أكثر من ذلك.

في كل مرة أستمع فيها إلى صوت «أليكس» أشد نفسي لذكريات مؤلمة، ثنيت ساقي تحتي وعلى الفور بدأت الأفكار تتدفق في رأسي. كيف بدأ كل هذا؟

بعد بضعه أيام من حفل إطلاق المنتجات التجميلية الجديدة، ربما أسبوع على الأكثر، تركت العمل باكرا و اتجهت نحو موقف السيارات بجانب مركز التسوق ومعي سترتي، كانت معظم الثلوج قد ذابت والشمس قد قطعت عهدا بحلول الربيع، لكن الرياح كانت سريعة، ولم يكن هناك أي دفء في الهواء، لاحظت سيارة مظلمة كانت رابضة عند المدخل، لكني لم أمنحها اهتماما، إلى أن قام أحدهم بضرب «كلاكس» السيارة وفتح شباك إحدى نوافذها .

لقد كان «أليكس». أزحتُ بعض الشعيرات تلقائيا من وجهي واتجهتُ ببطء إلى السيارة و أملتُ رأسي قليلا إلى النافذة وقلت له :ماذا تفعل هنا؟ .

ضحك بصوت أجش وابتسم لي وسألني عما إذا كنت قد مررت بيوم سيء أم لا؟

في البداية لم أفهم، احمر وجهي خجلا حيث أدركت أن سؤاله يمكن أن يكون تم تفسيره على نحو مغلوط، قبل أن يعتذر أو يشرح قال «لقد كنت في انتظارك، أنت السبب في وجودي هنا».

بسببي أنا؟ هل يمكن أن يكون هذا صحيحاً، لكن لماذا؟ لم أستطع أن أنطق بكلمة.

كنت أفكر في أن أُوَصِلُكِ إلى البيت، اركبي، قالها بهدوء وثقة، كانت الطريقة الأكثر طبيعية لرفع معنوياتي؛ بالرغم من أننا لا نعرف بعضنا

البعـض، رفعـت نظـري لإلقـاء نظـرة خاطفـة نحـو محطـة الأتوبيـس، في بعـض دقائـق الأتوبيـس سـوف يغـادر، ويقلنـي إلى البيـت، إلى طاولـة المطبـخ حيـث الهـدوء و الوحـدة، «كيـف عرفـت متـى أخـرج مـن عمـلي»؟.

«لدي طرقي الخاصة».

انحنـى «أليكـس» أخـيراً وفتـح بـاب السـيارة لي، ولأنـه اتخـذ القـرار بالنسـبة لي ،و بالـكاد جلسـت، وتمتمـت بعنـواني، وقبـل أن يميـل عـليّ شـعرت بارتفـاع الـدم في وجنتـي، ثـم أدركـت أني أسـأتُ فهمـه، لقـد كان يسـحب حـزام الأمـان ويمـرره لي، لم يفعـل أحـد معـي هـذا مـن قبـل، أنـا أحـب ذلـك جـداً، وضـع «أليكـس» نظارتـه الشمسـية، ومشـينا عـلى الطريـق السريـع، اسـتدار ونظـر إلى، تلاشـت ابتسـامته و تحـول الجـو العـام إلى نـبرة أكـثر حـدة، كنـت أرغـب في قـول شيء ذكي و مثير للاهتـمام، و لكـن كل مـا قلتـه كان تفاهـات حـول الطقـس، لقـد كان قلبـي ينبـض، وريقـي جـفّ تمامًـا.

عندمـا وقفـت السـيارة تحـت البيـت، وضعـت يـدي برفـق عـلى ذراعـه، و قلـت لـه «شـكرًا عـلى التوصيلـة»، لم يـرد أو حتـى نظـر لي، لم يتحـرك عـلى الإطـلاق، و باسـتهجان قليـل كانـت يديـه عـلى عجلـة السـيارة وعينيـه مصلوبتـين للأمـام كأنـه تمثـال شـمعي، أو كأنـه يريـد أن يذهـب بأقـصى سرعـة، ربمـا لم يعجبـه عطـري، وربمـا لم أكـن رقيقـة معـه بمـا يكفـي، أو ربمـا كانـت رحلـة السـيارة القصـيرة كافيـة لإثبـات أن شـخصيتي غـير مثـيرة، كنـت أرغـب في الـصراخ داخليـا، كيـف لي أن أفكـر أن واحـدة مثـلي سـتكون جذابـة إلى رجـل مثلـه؟، موجـات مـن الحـرارة تجتـاح جسـدي. مهـما كان مـا أتخيلـه أو أريـده كلـه كان وهـما، اهتـزت يـدي عندمـا أمسـكت بمقبـض البـاب، أريـد أن أذهـب إلى بيتـي إلى الفـراغ والصمـت.

« أرجوكِ لا تذهبي» .

أمسك يدي و شدني للوراء. ببطء، التفت. «أليكس» كان وجهه قريبا جدا من وجهي لدرجة أنني أحسست بأنفاسه الدافئة في وجنتي عندما فتح فمه ليتكلم .

هناك شيء يتعلق بكِ. لا أعرف ما هو، شيء يجعلني أهتم بكِ، لبعض الأسباب.

بسبب ترددد الهاديء، قبل أن يقول هذه الكلمات كان في اعتقادي أنه ينوي أن يقول شيئا آخر. كنت أرغب أن أنظر في عينيه ولكن كانتا مختبئتين خلف نظارته الداكنة. حرك إصبعين بخفة فوق كفي، تسببت في إثارة لجميع أنحاء جسدي. «أليكس» دعني أذهب وألمح إلى المقعد الخلفي. التفت لأرى اثنين من أكياس التسوق اللامعة من الماركات الفاخرة. استطعت أن أرى مناديل ورقية تخرج من كل منهما . استغرق الأمر بعض الوقت قبل أن أستعيد السيطرة على صوتي .

«ما هذا» ؟

ملابس داخلية. لكِ .

هل أضحك؟ هل أعتقد أنه كان يمزح معي؟ أو أتاكد أنه جاد للغاية؟ على أي حال، استغرق الأمر بضع ثوان بعض أن أقول أنني لست معتادة على مثل هذه الأشياء. قبول الهدايا. لم أكن معتادة على هذا النوع من المواقف على الإطلاق.

خلع «أليكس» نظارته الشمسية أخيراً ونظر في وجهي . دعيني أقوم بهذا. «اسمحي لي أن أهتم بك» .

وقالها مرة ثانية .تلك الكلمات التي هيجت شُجُوني وجعلت هناك شعورا دافئا يسري في ملامحي، أهتم بكِ .هناك شيء ما تحرر بداخلي، تخيلت أني سمحت لشخص ما أن يهتم بي، لست مضطرة للاعتماد على

نفسي وحدي، ربما وجود شخص ما سيجعلني أتجاوز الماضي، هل يمكن أن يحدث هذا؟ هل أجرؤ؟

كيف عرفت مقاسي؟ كان صوتي بالكاد أكثر من مجرد همس.

نظر «أليكس» في عيني، وعيناه لا ترمش «لأنني رأيتك بالفعل، رأيتك، وأريدك أن تعرفي ذلك» .

لم يكن الأمر مجردا كما قاله، ولكن كيف قال ذلك. لقد قالها بكامل تركيزه، أسكتني تماما، لم أستطع نطق كلمة واحدة. حدقت في عينيه بينما كان يحدق هو أيضا في عيني. كأنّه كان يغوص بداخلي، يتسلل إلى أعماق روحي كما لو أنه فهم تماما من أنا، وما مررت به. أخذت نفسا عميقا، و تحرك جسدي من تلقاء نفسه، طوقت عنقه بيدي، وقبّلْتُهُ، اصطحبته إلى شقتي، أسدلنا الستائر. و من هنا بَدَأَتْ قصتُنا . وفي الظلال سوف تكتمل.

***

إنني أرتجف لا تستطيع أشعة الشمس اختراق أوراق الشجر السميكة. النور هنا في الجزيرة ليس دافئا وذهبيا مثل الكابينة، بالعكس إنه رمادي ممزوج بالضباب، وكأن قدمي قد وقعت من التعب، فقمت بتغيير الموقف، ووضعتها مرة أخرى في الأرض الموحلة.

أحسست بتيار يسري في باطن قدمي.في باديء الأمر اعتقدت أنه نتيجة تدفق الدم إلى قدمي، وبعد ذلك قمت بحركة خفيفة ارتفعت فيها طاقة كبيرة من الأرض أحاطت بكاحلي و كعبي وأمسكت بي .صرخت و أبعدت قدماي بعيدا، صوت همس يأتي من مكان ما، يتبعه صوت صفير طويل كلما يبتعد الطين.

انطلقت بعيدا عن وسط الجزيرة محاولة أن أهديء من روعي، ولكن الأمر ليس سهلاً، بالرغم من سخونة جسدي إلا أنني كنت أرتجف، هل

يمكـن أن يحـدث هـذا هنـا؟ هـل حـدث بالفعـل؟ هـل «أليكـس و سـميلا بالأسـفل» بـدون مسـاعده وصرخاتهـم مكتومـة - في مـكان مـا هنـا، وربمـا تحـت قدمـي بالضبـط. بقايـا قصـص «أليكـس» الخرافيـة عـن بحـيرة (الخبـث) تحـدث صـدى صـوت في أذني .مـرة أخـرى مـن خـلال تفكـيري.

لا ! أنـا أبـذل قصـارى جهـدي لأزيـح هـذه المشـاهد المخيفـة التـي تزحـف رغـما عنـي إلى وعيـي.لا، لا، لا .

فجـأة، وجـدت نفـسي عـلى حافـة المـاء. هـذا الجانـب مـن الجزيـرة مـليء بالصخـور مختلفـة الأحجـام. بعضهـا عـلى السـطح والآخـر تحـت المـاء، مغطـاة بالطحالـب تبـدو للناظـر لهـا أنهـا جذابـة و لكنهـا خطـيرة، أنظـر عـبر ميـاه البحـيرة، وأقيـس بعينـي المسـافة مـن هنـا إلى الشـاطيء، وجـدت أن المسـافة بعيـدة، لا تسـتطيع «سـميلا» أن تسـبح. إنهـا لم تتعلـم السـباحة بعـد .لكنهـا تحـب أن تلعـب في المـاء، مثـل أي فتـاة صغـيرة متهـورة. نظـرت إلى الـوراء، إلى الصخـور الصامتـة. هـل قـررت «سـميلا» الخـوض و المغامـرة بعيـدا؟ هـل خلـع «أليكـس» حـذاؤه وغـاص وراءهـا، ثـم ارتطمـت رأسـه في الصخـور مثـلا؟.

أغمضـت عينـي لأمنـع هـذه الأفـكار الكارثيـة ولكنهـا تـزداد سـوءا. نفـس القـوة التـي واجهتنـي ليلـة أمـس عندمـا كنـت أنظـر عـلى جانـب القـارب في البحـيرة في انتظـار «أليكـس و سـميلا» أن يعـودا، انجذابهـم إلي البحـيرة أعماهـم، وقادهـم مبـاشرة إلى المـوت غرقا.يبـدو أننـي أهلـوس. صفعـت وجهـي لطـرد كل هـذة الأفـكار الرهيبـة. و لكـن هـذه المـرة اسـتغرق الأمـر بعـض الوقـت حتـى تباطـأت نبضـات قلبـي، والآن بعـد أن بحثـت في جميـع أنحـاء الجزيـرة تقريبـاً، أصبحـت أكـثر اقتناعـاً أكـثر مـن أي وقـت مـضى أنهـم لم يعـودا هنـا.

بـدأت في المـشي ببـطء عـلى طـول الشـاطيء، لا أريـد أن أسـمح لنفـسي

الشعور باليأس. الطين الذي التصق بقدمي كان مجرد خيال .البحيرة لا تملك قوى شر، ولا الجزيرة .

فكرة أن رجلا بالغا و بنت تبلغ من العمر أربعة سنوات - يتم ابتلاعهما داخل الكثبان الرملية أو مياه البحيرة بواسطة قوى شريرة، هي أمور وأفكار تتداول في الأفلام و الكتب الرديئة.

إذن فلماذا أشعر بالقلق الشديد؟

أنا أدرك السبب. توقفت بجوار منطقه تشبه المخيم، وجاءني الجواب.

إذا لم يكن هناك شيء غير طبيعي فلابد أن يكون هناك تفسير منطقي لاختفاء «أليكس و سميلا « وهذا أكثر إثارة للخوف.

نظرت إلى الأرض، كان هناك قماش من «القنب» الأخضر وعليه مرتبة قديمة قذرة، ورأيت كومة من الخشب المتفحم متناثرة حول حفرة النار البدائية، كما كان هناك أعقاب سجائر، وعلب من البيرة الفارغة، وسكينا ذو شفرة ملطخة، اقتربت أكثر، و انحنيت قليلا، لأدرس المكان بعناية.

في الواقع أنا لا أعرف ما الذي أبحث عنه. ربما شيء ما يقودني إلى «أليكس و سميلا» .على جانب المرتبة رأيت « واقي ذكري» تدفقت الذكريات إليّ، وتذكرت ما فعله معي «أليكس» تلك الليلة.

رجعت خطوة للوراء، خطت قدماي على شيء إسفنجي، وأنا أنظر إلى الأسفل، أتوقع مزيدا من الطين. بدلا من ذلك، وجدت نفسي أحدق في زوج من العيون الزجاجية بحجم حبات الفلفل .أرجل صغيرة تلتصق بحذائي. ارتعشت قدمي وأنا أنزلق،و لكن لا يمكنني أن أتوقف عن التحديق في مزيج الأمعاء البني - الأحمر الملقى على الأرض.

عندما أدركت أخيراً ما أنظر إليه، بدأت في الغثيان. إنه سنجاب منزوع الأحشاء.

(8)

استدرت و تقيأت في شجيرة «العرعر» وهربت مسرعة، ثم أبطأت سرعتي فجأة في منتصف الجزيرة، أغلقت محرك القارب واتجهت إلى أحد جوانبه، خلعت الحذاء ورحت أغسله بالماء، قلت لنفسي أن حيواناً ما قد هاجم هذا السنجاب. ربما ثعلب أوقط. لا أريد أن أفكر في السكين المتواجد بجانبه .تقيّأتُ مرة أخرى، هذه المرة في البحيرة، القيء يجرح حلقي كما لو أن له مخالب قط، مسحت فمي بظهر يدي ثم غسلتها.

بجهد شديد، أجبرت نفسي على التركيزعلى ما ينبغي عليّ فعله بعد ذلك. كان بحثي بلا جدوى، لكنني أرفض الاستسلام لليأس. مرة أخري، تصورت وجه «سميلا» المبتسم، غمزاتها، وخدودها المنتفخة. شعرت بقبضة باردة تعصر صدري، فردت ظهري لأستعيد المزيد من القوة. ثم حاولت استكشاف المنطقة المحيطة بي، بحيرة «الخبث» الكبيرة جدا بالنسبة لي، عليّ أن أراها من مكاني، ولكن ما أراه لا يمكن أن أصفه إلا بأنه جنة الصيف. أشعة شمس الصيف البراقة، التموجات الخفيفة على الماء، والعديد من الأرصفة حيث توجد الزلاجات والقوارب الصغيرة على المرسى، ومنطقتان منفصلتان للسباحة، واحدة منهما مزودة ببرج مراقبة.

كل الجزيرة توجد بها أكواخ و كبائن بمختلف الأحجام، البعض منها

قريب جدا إلى الشاطيء؛ لدرجة أنني أستطيع أن أرى الجمالونات المطلية باللون الأحمر، وصواري أعلام الأكواخ مثل الكابينة التي تخص عائلة «أليكس». استدرت حولها لكي أنظر أولا في اتجاه واحد ثم الأخر. مسحت الشاطيء بعيني وانتقلت من منزل إلى منزل، و لكنني لم أرَ شيئا، لا إشارة للحياة في أي مكان. وعشاق الشمس قد ذهبوا. بالنسبة لأغلب الناس ففصل الخريف يعني العودة إلى الروتين اليومي، المدرسة ووظائفهم فيها. وهذا أحد أسباب قدومنا أيضا في هذا التوقيت لنكون وحدنا حيث السلام والهدوء، النسيم المنعش، والذي ينشر قطرات من الندى الباردة على ذراعي. أشعر بارتجافة تسري في بدني، وكأن هناك انشقاق في معدتي، هل يمكنني أن أقاوم كل ما يحدث؟ أم أنني سأهزم؟ مِلْتُ إلى أحد جوانب القارب، ورحت أدقق النظر إلى مياه البحيرة المظلمة، شيء ما يجذبني لأسفل، ولا أستطيع أن أنظر بعيداً، ثم سمعت شيئاً، أنه يرتفع تدريجيا، يأتي وكأنه طنين مكتوم تحول إلى همس، ثم وسوسة، يشبه صوتا بعيدا، صوتا نابعا من عمق الماء، يصبح أكثر رعبا، أكثر شؤماً، إنني أرتجف، أدرك أنني لابد أن أذهب من هنا يجب أن أضع يدي على أذني و أغمض عيني تماما.

هل فقدت كل السيطرة عن فعل أي شيء، يدي قابضة على السلاح بإحكام، ومن زاوية رؤية عيني أرى مفاصل أصابعي، بيضاء و متعبة، وعندها قمت، رفعت جسمي حتى لم أعد جالسة، مِلْتُ للأمام على الجانب، أنا أتحرك جسديا، ولكنني لست أنا الشخص الذي يقرر، شخص ما أو شيء ما- أخر هو الذي يحركني، أشعر باهتزاز تحت قدمي، وزني يتوجه بجانب القارب، إلى دوّامات بحيرة الخبث المظلمة، بما أن الجزيرة متاحة لي الآن فإن القرار سيكون أسهل، حركة طفيفة ستكون كافية.

خطـوة للأمـام، وربمـا قفـزة في الهـواء، ذلـك سـيكون كافيـا، سـوف أنـزل إلى سـطح المـاء ثـم اسـتمر في العمـق. هـذا كل مـا أريـد القيـام بـه. لـن أفعـل شـيئا أكـثر مـن ذلـك، سـوف أسـقط ببسـاطة، سـقوطا بحريـا تامـا مـن الزمـن، مثـل أبي تمامـا.

(9)

الليلة الماضية، الليلة حين اختفي فيها أبي، عندما سقط من عالم الأحياء، وبالنظر إلى مدى تأثير ذلك عليّ، أعتقد أن الصور التي في عقلي ستكون أكثر تفصيلا ووضوحا، شفرة حادّة كلما كانت التفاصيل أكثر أهمية من تلك الليلة، كلما اقتربت من معرفة حقيقة ما الذي حدث ليلة أمس، كلما كان من الصعب اختراق الضباب المحيط بالأحداث.

ما أتذكره هو ما حدث بالفعل، الأشياء الصغيرة. على سبيل المثال، كان هناك تغير في الجو منذ بضعة أيام، وأصبح أكثر برودة، من المكان الذي كنت أختبيء فيه في غرفة نوم ماما وبابا في الظلام، شعرت بنسيم بارد يتسلل إلى الشقة، ثوب نومي لم يكن كافيا لتغطية باقي أجزاء جسمي الظاهرة مثل قدمي وبسرعة اشتد الهواء، ثم اختلط الهواء النقي برائحة الدخان، لم أكن بحاجة إلى النظر إلى ما بداخل الغرفة، كان والدي قد فتح النافذة المطلة على الشاطيء، وراح يدخن السجائر، وربما على الأرجح يحمل شراباً في يده. كان صوته عاليًا و ساخراً، وكان صوت أمي منخفضا ومريرا، كانا يكرران نفس الاتهامات ونفس الشكوى القديمة.

لماذا يجب عليك ذلك...؟

أنت لا تفهم كم هو مهين بالنسبة لي عندما تقول لي أنني فقط مجرد...؟

«عضو تناسلي».

أمسكت دميتي تحت ذراعي، منذ شهور مضت أتممت الثامنة، لقد أصبحت فتاة كبيرة، كل البالغون يقولون لي ذلك، ولكني مازلتُ أنام كل ليلة وأنا أحتضن «مولي» .كان في باديء الأمر من الصوف، ولكن الأن أصبح رديئا و قبيحا، عندما استلقيت على السرير حلمت بوجوده بالرغم من أنني لم أستطيع تذكره حقا، وقت أن كان أبي وأمي سعداء مع بعضهم البعض،كان ذلك في الوقت الذي سبق عودة أبي إلى المنزل في وقت متأخر من الليل مع بعض الروائح الغريبة على جسده وملابسه، قبل أن أسمع أمي وهي تبكي، وأبي يوبِّخُها بصوت عالٍ، أنتِ لست إلا مجرد «مِهْبَل».

كنت أضغط بـ»مولي» على وجهي وأغلق عيني، بينما أبي يكرر الكلمة كلما عجز عن إيجاد حجج مقنعة، هذه الكلمة تتسلل إلى أمي وتقلل منها، كانت تدمرها، وكان أبي يتعمد أن يكررها بالرغم من معرفته أنه يؤذيها، لم يكن اختيار الكلمات البذيئة هو الشيء الوحيد الذي يكرره، مشاجرات والداي مع بعضهما تتبع النمط نفسه، عندما نطق والدي بتلك الكلمات كان ذلك يعني أن النهاية كانت قريبة. وتسبب ذلك في فرض صمت كبير.

في البداية بدأت حجج بابا وماما في تلك الليلة بالذات وكأنها تتكشف بشكل متوقع، لم يكن هناك ما يشير إلى أن هذا الجدال سوف يكون الاستثناء المصيري للحكم.

بدأت ماما بالهجوم عندما وجدت بقعة على قميصه، وأجابها أبي باستنكار، طلبت منه تفسيرا واعتذارا، لكنه رفض.

عندما ضغطت عليه، تَفَوَّهَ بكلماته القاسية، ومرة أخرى هُزمت ماما، وهنا رجعت إلى غرفتي حيث أن المعركة بينهما أخذت شكلا آخر.

استمرا في الشجار، بالرغم من أنه كان يفترض أن ينتهي كل شيء، أصواتهم بدت مشوهة و غير مقبولة بكل الطرق.

أنا أعرف ما فعلته لجريتا. أيعقل ضربك لجريتا ابنتك الصغيرة؟

صدى الكلمات مثل دويّ طلقات نارية، بعدها ساد الهدوء، تجمّدْتُ في مكاني، وراحت الكلمات تندفعُ إلى أذني، ورأيت ذلك مرة أخرى: ارتفعَتْ يده في الهواء و صفعني على وجهي بقسوة، الصورة. الحدث. سوف أخرجهم من ذهني. والآن عادت الصورة مرة أخرى، لقد سحقني، ضربني بقوه، تركت «مولي»، ووقعت على الأرض، وضعت يدي تلقائيا على خدي وضغطت لأبعد عنه الصفعات، ولكن بعد فوات الأوان. أحسست بحدة الصفعة على و جهي، شعرت بمئات الإبر الحادة توخز وجنتي .

«جريتا»، حبيبتي أنا لم أقصد فعل هذا، لم أكن أقصد، اعتقد أنه سيكون من الأفضل أن لا تخبر أحدا بذلك؟ و أدركت على الفور من كان يقصد . لم يكن هناك حاجة للقول بصوت عال، كان هناك شخص واحد لا يمكن إخباره بما حدث، كانت عيني مليئة بدموع الصدمة والإذلال، وأنا أعده أنني سأتكتم، ولكن الآن اكتشف الأمر، استدرت و بدلا من الذهاب إلى غرفتي وقفت في الضوء، بالضبط وقفت عند مدخل غرفة نوم أبي و أمي استغرق الأمر لحظه قبل أن يلاحظا وجودي، وانتهى صمتهما، ثم ارتفع مرة أخرى، أعتقد أنني سمعت أسئلة حول كيف ولماذا، ومن قال، ولكن عقلي يحاول أن يقاوم ما حدث بعد ذلك، الفوضى التي تبعت ذلك جعلتني أهرب. إنه بالفعل ما أريد وصفه ولكن هذا ليس ما قلته بعد ذلك مباشرة. عندما يسألني أصدقائي الفضوليين أو أقربائي عما حدث، أقول لهم لا شيء، ولا كلمة واحدة، لأنني لم يكن لدي كلمات، لا شيء يقال.لقد تأخر الوقت عليّ قول أيّ شيّ.

مـع مـرور السـنوات كَـبُرْتُ، وبـدأت أفهـم أنّ مـا حـدث لا يمكـن أنْ يسـقط طَـيَّ النسـيان، مـرت السِـنُون وأنـا و أمـي ننتقـل مـن مـكان إلى آخـر، تغـيرت الوظائـف، وتغـيرت المـدارس، والنـاس ظلّـوا يسـألون، و أخـيراً أدركـت جملـة واحـدة تسـكتهم وتعطيهـم بعـض الإثـارة.

ليـس لـدي أصدقـاءًا مقربـين، لكنـي أسـتخدم هـذه العبـارة مـع زمـلاء العمـل وفي الأماكـن الاجتماعيـة. اسـتخدمتها مـع علـماء النفـس الذيـن رأيتهـم وحتـى عندمـا رويـت القصـة «لأليكـس».

إنها مَخْرَجِي، قلتها لنفسي.

(10)

عندما رجعت إلى الرّصيف، كانت الشمس قد تراجعت وراء الغيوم، أوثقتُ القارب بقدر ما استطعتُ، شعرت بالارتباك على خط المَرْسَى، تصورتُ يد «اليكس»، كم كانت ماهرة في تدوير الحلقات و العِقد، شيء ما يبرقُ بين أصابعه، ربطة عنق من الحرير الأسود، ارتجف جسدي؛ فقمت بارتداء سترة، ووضعت يدي على حلقي، وأخذت عدة أنفاس عميقة، وبدلا من اتخاذ الطريق الضيق المؤدي إلى الكابينة، قررت أن ألتف على طول الطريق المليء بالحصى الملتوي حول البحيرة، أحتاج إلى توسيع رقعة البحث الخاصة بي، مررت بعدة كبائن مطلية باللون الأحمر، ذهبت إلى المنزل وصِحْتُ مرحباً، و لكن لا أحد يجيب. كانت الغرف تبدو من خلال الستائر الداكنة مظلمة و فارغة، بالرغم من ذلك أستطيع رؤية أحواض الزرع و أثاث الفناء في الخارج .

في نهاية الأسبوع سوف تمتليء هذه الكبائن مرة أخرى بالأنشطة النابضة بالحياة، السيارات سوف تملأ الساحات و الأبواب ستفتح مرة أخرى، الأصوات المشرقة و الضحكات سوف تملأ جنبات المبنى، الأطفال، وسيحمل البالغون حقائبهم بينما الأطفال يتجولون وهم يضحكون و يركضون.

ولكـن حتـى الآن هـي هادئـة ومهجـورة، وكمَثَـلِ لـصٍ، تسـلّلْتُ أكـثر لم أسـتطع أن أوقـف نفـسي، نظـرت خـلال أجـزاء النافـذة المتّسـخة أحـاول أن أجـد مقبـض البـاب الخارجـي، ولكـن هـل يمكـن أن أرى أي أثـر «لأليكـس وسـميلا» أو حتـى إشـارة أنهـم كانـوا هنـا، بالطبـع لا.

اسـتمرَّيْتُ عـلى طـول الطريـق، وتوقفـت عنـد الكابينـة، خيـالي أصبـح أكـثر شراسـة، تصـورت أن «أليكـس وسـميلا» مقيديـن ومكممـين، لدرجـة أن صراخـي أصبـح أكـثر علـوا، وخطـواتي أصبحـت سريعـة، اندهشـت وشـعرت بالفظاعـة، كـما لـو أن هنـاك وهْـمٌ يؤثـر عـلى أفـكاري و أفعـالي. كـما لـو أن بحثـي لا جـدوى منـه، كـما لـو أن كان لـدي الحـق للوصـول للحقيقـة، ولكننـي اخـترت عـدم رؤيـة ذلـك.

أمـام أحـد الكبائـن المزينـة بالزخـارف الجميلـة، توجـد أرجوحـة بلاسـتيكية صفـراء اللـون معلقـة عـلى شـجرة صفصـاف كبـيرة، تتمايـل بلطـف مـع الريـح، «سـميلا» تحـب أن تتأرجـح، حلقـي يتقلـص، تحـب أم لا، عـاد الغثيـان مـرة أخـرى، أحـاول أن أتقيـأ ولكـن دون جـدوى، جسـدي يشـعر بالغضـب و الحنـق، كـما لـو أن كل حيـاتي عبـارة عـن حـرب لا نهايـة لهـا، وليـس هـذا بسـبب اختفـاء «أليكـس و سـميلا»، ولكـن بسـبب خروجـي مـن العيـادة مشوشـة ومدمـرة مـن كلام الطبيـب الـذي كان يـرن في أذني. وعـلى الرغـم مـن ذلـك لا أسـتطيع أن أرى الجزيـرة مـن هنـا، اسـتدرت إلى الاتجـاه الآخـر، لقـد تصـورت نفـسي عندمـا كنـت في القـارب منـذ فـترة قصـيرة، وكيـف جـاءت لي فكـرة الانضـمام إلى «أليكـس»، أكـون أو لا أكـون هـذا هـو السـؤال، والـذي يحتـاج الآن إلى إجابـة.

أمـشي وأنـا أنظـر بعينـي إلى الأرض، لا أريـد أن أرى أشـياء تتـدلى وهـي تتأرجـح مـن الأشـجار، بـدلا مـن ذلـك ركـزت عـلى أن أضـع قـدم أمـام الأخـرى، وحـذائي الـوردي يتابـع المسـير إلى الأمـام.

مازلـت مسـتمرة في السـير، أمـر بالكثـير مـن الكبائـن و الحدائـق، ثـم، مـع منحنيـات الطريـق المـليء بالحـصى، ثـم أواصـل السـير بـين الأشـجار. أبي سـوف يُعجـب بصنـدلي، إنـه يقـدر الأشـياء الثمينـة، إن لـه عـين تعـرف كيـف تـرى الجـمال، في كل مـرة كنـت أرتـدي ملابـسي كأمـيرة- كان يصفـق لي ويقـول لي بفخر كـم أبـدو جميلـة، ماما، كانـت ببسـاطة تهـزُّ رأسـها و تضغـط عـلى شـفتيها معـاً، كان والـدي يجلـب لي تيجانـا لامعـة وأقراطـا أو حتـى أحمـر شـفاه، ماما كانـت تأخذهـا و تحتـد عـليّ بشـدة، هنـاك الكثـير مـن الأشـياء الأكـثر أهميـة بالنسـبة للفتيـات الصغـيرات يمكـن التركيـز عليهـا أكـثر مـن أحمـر الشـفاه .

في تلـك المناسـبات التـي يتعـارك والـداي فيهـا، كان أبي يطلـب منـي أن أرتـدي إحـدى الفسـاتين التـي أحضرهـا لي، ويتظاهـر أننـا ذاهبـون إلى حفلـة، وبعـد كل جـدال سـاخن كانـت أمـي تنسـحب إلى مـكان مـا لتكـون وحدهـا، إلى الحـمام أو غرفـة النـوم، ولكنهـا كانـت تفضـل أن تذهـب للتمشـية لمسـافة طويلـة، إذا عرضـت عليهـا الصنـادل ذات الكعـب العـالي فسـوف تسـخر منـي وتقـول لي كيـف سـأمشي بهـا، إنهـا تـؤذي قدمـاي؟ .

خيبـة أملهـا في كانـت دائمـا تختبـيء تحـت سـتار الاهتـمام المحفـوف بالقلق، بالرغـم مـن أنهـا لم تقـل لي ذلـك و لكننـي كنـت أعتقـد أنهـا تعـرف أننـي كنـت أسـتطيع فعـل الأفضـل. في بعـض الأحيـان كانـت تخجـل منـي ومـن اختيـاراتي، كانـت وظيفتهـا تتضمـن التعامـل مـع المشـاكل الإنسـانية والنزاعـات و حيـاة النـاس. وهـذا النـوع مـن الأشـياء لـه قيمتـه الحقيقيـة، ومـع ذلـك لديهـا ابنـة مهنتهـا في الحيـاة هـي الاهتـمام بالمظاهرالخارجيـة. ابنـه تتبـع خطـوات والدهـا المريـب، عندمـا يتعلـق الأمـر بحياتهـا الشـخصية.

أفكر ب«أليكس» . بأبي و أمي، وفي نفس الوقت يزيد عدم ارتياحي.

في بدايــة علاقتنــا أخــبرت والــدتي عنــه، لم تســتطع مســاعدتي، ولكنهــا في الواقــع لم تبــد أي نــوع مــن البهجــة؛ نتيجــة لهــذه العلاقــة.

لم يكن لديها أي تعاطف نحوي.

كيف استطعتِ جريتا ؟ كان كل ما قالته.

حركـة خفيفـة أفقدتنـي تـوازني عـلى الطريـق. توقفـت فجـأة، و لمحـت شـيئا أسـودا يتجمـع في حفـرة قبـل أن يظهـر شـيئا فشـيئا أمـام عينـي، الشـكل يبـدو لي عـلى هيئـة إنسـان، أرى سـاقين وذراعـين وشـعرا طويـلا، ولكـن لا توجـد عيـون، لا وجـه عـلى الإطـلاق. أحسسـت بجسـدي يتجمّـد مـن الخـوف، أصابعـي تلتـوي بشـكل لا إرادي، ثـم يتحـول المخلـوق إلى شيء شـاحب، ربمـا شـبح، أصبـح مرئيـا لي عـلى هيئـة شـعر. وجـه فتـاة.

(11)

مـن هـي هـذه الفتـاة؟ لا يبـدو أنهـا أكـثر مـن عـشرة أو اثنـي عـشر عامـا. أجـبرت نفـسي عـلى المـضي قدمـا، كلـما اقتربـت أكـثر أجـد أن الفتـاة في سـن مراهقتهـا، جسـمها نحيـل، كباقـي أجسـاد الأطفـال، إنهـا شـاحبة اللـون، بالرغـم مـن أننـا في نهايـة فصـل صيـف طويـل ومشـمس بشـكل غـير عـادي، كانـت ترتـدي قميصـا فضفاضـاً وبنطلونـا طويـلا، كل الملابـس سـوداء تمامـا، يتـدلى شـعرها إلى أسـفل ظهرهـا، لا يسـعني إلا أن أفكـر في أنـه سـيكون جميـلاً لـو أنهـا لم تصبغـه باللـون الأسـود الـذي جعلـه بـلا حيـاة .

إنهـا تبـدو قلقـة و في حـيرة، حدقـت فيهـا، وأدركـت أنهـا أول مخلـوق أراه بعـد «تريـث» منـذ اختفـاء «سـميلا و أليكـس»، اقتربـت منهـا شـيئا فشـيئا، كنـت عـلى وشـك أن أقـول لهـا مرحبـا، عندمـا رأيـت مجموعـة مـن النـاس عـلى بعـد أمتـار مـن الغابـة، بالقـرب مـن الشـاطيء. زوجـان يتحـركان ذهابـا وإيابـا، ينظـران إلى أسـفل المـاء ثـم يخرجـان عـبر البحـيرة، كـما لـو كانـا يبحثـان عـن شيء مـا، الآخـرون يواجهـون بعضهـم البعـض ويتحدثـون بصـوت عـالٍ، الشـمس تظهـر في السـماء وتتـلاشى معهـا الغيـوم، ترسـل أشـعتها وتـضرب الـشيء اللامـع والحـاد الـذي يمسـكه أحدهـم. ومضـة مـن الضـوء، ثـم رجعـت خطـوة للـوراء.

لابـد أننـى فعلـت شـيئاً مـا، أو صرخـت لأنهـم اسـتداروا جميعـا، وجـوه شـاحبة، خمـس أو سـتة أزواج مـن العيـون تحـدق في اتجاهـي .أولاد مراهقـين.

هـذا مـا فكـرت فيـه مـن قبـل. يبـدو أنهـم قادمـين نحـوي عـبر الأشـجار. شيء بداخـلي قـال لي أن أهـرب، أهـرب بسرعـة، قـدر المسـتطاع. أحسسـت أن سـاقي ثقيلتـان و متذبذبتـان، و ملتصقتـان بـالأرض. الأولاد لم يكونـوا مسرعـين، كانـوا يتحركـون ببـطء وربمـا عمـدًا.

أخـيرا وصلـوا إلى طريـق الحـصى و التفـوا حـولي، أحدهـم وقـف خلـف ظهـري، آخـر ولـد منهـم هـو مـن كان يحمـل السـكين، كان يتحـرك بثقـة واضحة، تجاهـل وجـودي، ووقـف إلى جانـب الفتـاة. وقـال لهـا «كان عليـك أن تشـاهدي» شـعره كان مثلهـا أسـود ولكنـه كان حليـق الجانبـين، مالـت الفتـاة عـلى كتفـه في إيمـاءة تـدل عـلى الخضـوع أكـثر مـن الحنـان، وضـع يـده عـلى راسـها، ولـف الثانيـة حـول عنقهـا، وطـوال الوقـت كان ممسـكا بالسـكين، ربمـا كان نوعـا مـن العطـف و لكنـه يبـدو شـيئا آخـر، تقـدم منهـا أكـثر حتـى تواجهـا تمامـا، إنـه أكـبر مـن الأخريـن، كان هـذا واضحـا، كان وجهـه أخشـن وعريـض، ولديـه بعـض الشـعيرات المتفرقـة حـول فمـه، لحيتـه هزيلـة في ذقنـه، وشـعره مضفّـر، ويربـط نهايتـه، ولكـن مـا كان بـارزا منـه هـو عينيـه، شـعرت أن عينيـه ينبـع منهـا شي فظيـع ،عـلى مـا يبـدو أنـه ليـس أكـثر مـن عشريـن عامـا.

مـن أنـتِ ؟ ومـاذا تفعلـين هنـا؟ نـبرة صوتـه تشـير إلى أنـه اعتـاد أن يُطـاع مـن الجميـع. نظـرت إلى الفتـاة وكانـت تقـف وراءه وأكتافهـا منحنيـة.

ربمـا يكـون صوتـه، أو ربمـا الطريقـة التـي تنحنـي بهـا البنـت أمامـه. لكـن شـيئا مـا يحصـل لي، جعلنـي أقـف أمامـه مسـتقيمة، و قلـت لـه مـن أنـت؟ وبـدون تـردد، رفـع السـكين وصوبهـا نحـوي، تراجعـت إلى الـوراء و لكننـي اصطدمـت بجسـم هزيـل اسـتدرت لأرى العيـون البـاردة، الضيقـة. أدرت رأسي بطريقـة أخـرى فأجـد ذقنـا بـارزا، نظـراتي هربـت بعيـدا، ذقـون ناعمـة، وبـارزة حمـراء، يرتـدون تي شـيرتات، بنطلونـات جينـز باليـة مـع تشـققات في الركبتـين،

الأطفال، على ما أعتقد، إنهم مجرد أطفال، أولاد ثائرون في مكان لا يحدث فيه أي شيء. إنهم فقط يحاولون إخافتي هذا كل ما في الأمر، ولكنني لم أقتنع ولا حتى الفكرة هدأتني.

لماذا أنت خائفة؟ أنا فقط بحاجة إلى طلاء أظافري، الولد أنزل السكين إلى أسفل وأستخدم السكين لتنظيف الأوساخ تحت أظافره، الأطفال الذين من حوله أعطوه مكافأة على هيئة سخريات متناثرة و مرة ثانية غير من تعبيره، دعونا نحاول مرة أخرى .

من أنت ؟ وماذا تفعلين هنا؟

نظر إليّ و هذه المرة كانت عيناه المظلمتان شديدتي القسوة، كما لو أنه لا يرى شيئا أمامه، كما لو كنت جمادا.

«لقد سألتك سؤالا. إذا عليك أن تجيبني».

ضربني ضربة حادة في كتفي جعلتني أرتعد. الأطفال يقتربون مني أكثر، فجأة سمعت صوت أمي في رأسي، التجريد من الإنسانية، تقولها في لهجة استنكار خاصة بها، يوجد تقارب بين التجريد من الإنسانية والجريمة العنيفة، يمكن أن تؤذي شخصا عندما لا تتعامل معه بإنسانية، عندما لا تتعاطف معه، لذلك قررت أن الجدال المعاكس هو الطريقة السليمة، بدأت أقول لهم من أنا وأنني كنت في رحلة.

بالطبع لم أتوقف عند هذا الحد، أضفت أيضا الموقع التقريبي للكابينة بالتفصيل، وأخبرتهم عن «أليكس و سميلا» وأننا - نحن الثلاثة- كنا في نزهة، وأنني سوف أرجع لهم الأن لأنهم ينتظرونني وسوف يقلقون لتأخُّري، و فجأة توقفتْ الكلمات في حلقي وانتظرتُ، لم يهتم الصبي ذو اللحية، لقد خدش زراعه، و نظر في ساعته. لم أعرف.. هل سمع شيئا مما قلته؟ .

أم تأخذي شيئا يخصنا؟ أم تفعلي؟

في الحقيقة خُيل لي أنني لم أسمعه، ماذا كان يقصد بهذا السؤال؟، غضبت وهززت رأسي نفيا، على أمل أنه يدرك أنني في حيرة من أمري بالكامل. اقترب الصبي ذو اللحية قال لي، هل أنتِ متأكدة؟ .

قبل أن أجيب على سؤاله قفزت الفتاة بجانبه وهمست في أُذنيه، استمع إليها بعدم صبر ثم دفعها بعيدا، خارج زاوية عيني، رأيت بقية الأطفال يذهبون ويأتون ملقين نظرات استفسار للشاب ذو اللحية، ماذا يحدث هنا؟ .

الثواني تضيع، لا أسمع إلا صوت الطيور، جفّ فمي، وجسدي أصبح كالحزام المشدود. أخيرا فعل الصبي ذو اللحية حركة غير مفهومة بيده، وأدار ظهره لي، يتحرك على بعد مسافة قصيرة، الوقت يقف مرة ثانية، ثم، ببطء، أحسست أن الحلقة الحديدية المحيطة بي بدأت في التلاشي شيئا فشيئا، شعرت ببعض الارتياح والطمأنينة لعدم انسحاب الأولاد، ولكن على ما يبدو كانت خيبة أمل نابعة من أجسادهم القليلة، خيبة أمل ناتجة عن إطلاق سراح أسيرتهم، من الواضح أن ذو اللحية أدرك ذلك وأراد القيام باستعراض أخير للقوة، أرخيت أكتافي المتخشبة بصعوبة عندما استدار مرة أخرى لي بحركة واحدة سريعة، رفع السكين ووضعها تحت ذقني، لم يضغط عليها، لكن النصل كان حادا.

« إذا اكتشفت أنك تكذبين..»

لم يكد يكمل الجملة حتى دفعني إلى الوراء، و نظر لي نظرة ذات مغزى. ثم استدار، و عبر الخندق، ثم اتجه نحو الشاطيء دون أن ينظر إلى الوراء.

كنت قد تلقيْت منهم بعض الضربات الخفيفة غير المؤذية قبل أن

يرحلـوا. أسـمع أصـوات ضحكاتهـم قبالـة الأشـجار، كنـت أنـا والفتـاة وحدنـا، عيوننـا تتلاقـى ثـم اسـتدرت وتركتهـا.

أمـشي بـأسرع مـا أسـتطيع ولكـن ليـس ركضـا، عندمـا وصلـت إلى المنعطـف الثـاني للطريـق ووجـدت أن بينـي وبـين الأطفـال مسـافة، قلبـى كان يـدق بسرعة، وكنـت أرتجـف. وقعـت عـلى جانـب الطريـق وتدحرجـت كالكـرة، كنـت متأهبـة في حـال إذا غـيروا رأيهـم. لا يعنـي هـذا أنـه يوجـد فـارق لـو صممـوا أن يتبعـوني، فـلا شـك أننـي سـوف أدافـع عـن نفـسي.

جلسـت عـلى الأرض ونظـرت إلى الحـذاء الـوردي، فكـرت في الحـذاء الأسـود الـذي وجدتـه في الجزيـرة، فتـاه «الحفـرة» كان لديهـا زوج مماثـل. الخـوف الشـديد يهاجمنـي في معـدتي و يهـزني مـن رأسي لقدمـي، مـرة ثانيـة أكملـت السـير في الطريـق، وأنـا أنظـر هنـا وهنـاك، كنـت أتوقـع أنهـم سـيلاحقونني بأجسـادهم النحيلـة و لكـن لا أحـد يتبعنـي، و بالرغـم مـن ذلـك ركضـت بقـوة حتـى كاد حلقـي ورئتـاي أن يحترقـوا .

يجب عليَّ الخروج من هنا الآن.

(12)

لا أعـرف مـن أيـن تـأتي كل هـذه الكراهيـة التـي في داخـلي. كيـف يمكـن لقلبـي أن يتسـع لـكل هـذا الظـلام؟ خاصـة لشـخص مثـلي، نشـأ وترعـرع عـلى الحـب، كانـت تحتضنـي بـين يديهـا، لتبـين لي الطريـق الحقيقـي إلي الحيـاة. كانـت إلي جانبـي، أعطتنـي كل شيء، عاشـت فقـط مـن أجـلي و بعـد مـرور السـنين، عندمـا جـاء دوري واسـتقبلت معجـزة الحيـاة، صنعـت نفـس الـشيء. عـشر أصابـع صغـيرة كان كل شيء قـد تغـير، وأنـا أحنـي رأسي وأطلـب الرحمـة، لقـد ضحيـت بـكل شيء ليـس لأننـي مجـبرة عـلى القيـام بذلـك، ولكـن لأننـي أردت ذلـك، وقـد فعلـت ذلـك بـكل سرور وحـب.

أميـل إلى الأمـام وأغسـل جبينهـا، وعـلى الرغـم مـن تكـون حبـات العـرق عـلى جسـدها، إلا أن بشرتهـا كانـت بـاردة جـداً، لا أريـد شـيئا مـن الحيـاة إلا أن أجلـس وأتحـدث معهـا.

المسـاحة التـي لـدي صغـيرة جـداً، وحتـى الآن غـير مسـموح لي أن أكـون في سـلام، هنـاك صـوت يتحـدث، قائـلا «بـدوني أنـتِ لا شيء» .

أحـاول أن أصـل إلى يديهـا، وأقفـل عليهـا بيـدي، أصابعهـا ضعيفـة، أنـا الشـخص الوحيـد الـذي يمكـن أن يبقينـا معـاً الآن.

أظـن أن الـشيء الوحيـد المهـم هـو أن تتعـافى وتعـود لي. لـو أصبـح بإمكانـك الاحتفـاظ بهـا، لـن يهمنـي أي شيء آخـر.

هــززت رأسي طــاردا تلــك الأفــكار، أســتطيع أن أنــسى، أســتطيع حتــى أن أغفـر، هـذا مـا أفكـر فيـه، لكنـه ليـس صحيحـاً، لأن كل مـا يحـدث، يجعلنـي لا أســتطيع مســامحتك.

هل تسمعيني؟ مستحيل.

(13)

كان هناك طريقين، مما أتاح لي فرصة العودة مرة أخرى باتجاه الكابينة دون الحاجة إلى العبور من النقطة التي قابلت فيها هؤلاء الأطفال، أود أن أرجع إلى منزلي مرة أخرى، وبالفعل وصلت، لم تعد علامات الحصى واضحة على الطريق، كما لو أن أحدهم قد أزاحها عمدا.

الشخص الذي مكث والشخص الذي غادر. فتَّشتُ تحت دوّاسة الأقدام بحثا عن مفتاح الكابينة، إلى أن وجدته.

رأيت نفسي في مرآة الحائط المعلقة في المدخل، كان هناك سوادا كثيفا حول عيناي ووميضا ورديا متوهجا عليّ «على عظام خدي»، ووجهي يبدو شاحبا تماماً تحت كل هذه الألوان. تصوّرتُ السكين ولمعان شفرته الحادة بينما الصبي ينظّفُ به أظافره. أشعر بضغط السكين تحت ذقني، وقفت لفترة طويلة في القاعة، حتى بدأ خوفي يتلاشى تدريجياً، لكن ملامح الشخصيات والصور رفضت أن تتركني. وعلى الرغم من كل ما مررت به، لكن لا تزال صورة واحدة لا تفارقني وهي صورة الفتاة وهي تميل على كتفي الصبي بكل ثقة وطاعة.

الطريقة التي استجابت بها بوضعه السكين على رقبتها. لا أستطيع أن أزيح نفسي بعيداً عن المرأة، ويبدو أن ملامحي اندمجت مع ملامح الفتاة. هل هناك شيء مميز حول نظراتها؟

شيء عـار، شيء مألـوف، أسـمع نفـسي أتحـدث، أنظـر إلى الفتـاة التـي تراقبنـي. لقـد قلـت لهـم أن زوجـي وابنتـي في الكابينـة ينتظـروني. هـل قـرأت مـا بداخـلي؟ هـل أدركـت أننـي كنـت أكـذب؟ لقـد رأيتهـا تقـف عـلى أصابـع قدميهـا وتهمـس للصبـي بـشيء، مـاذا كانـت تقـول لـه؟

سـندتُ ظهـري عـلى الحائـط ثـم انزلقـت عـلى الأرض. تمـر الدقائـق بينـما يتـلاشى التوتـر داخـلي ببـطء، ليـس لـدي طاقـة عـلى النهـوض. أشـعر أننـي لـن أقـدر عـلى الوقـوف مـرة أخـرى. لقـد تراخـت أطـراف يـدي، وغـاص رأسي في صـدري. صـوت ضوضـاء حـادة تشـق جنبـات السـكون تدفعنـي لأفيـق. هاتفـي الخلـوي الـذي كان في جيبـي، أحـس بـه يهتـز عـلى فخـذي، لابـد أنـه «أليكـس».

شـكرا يـارب كل شيء قـد انتهـى. رفعـت التليفـون عـلى أذني و بـدون أن أرى الرقـم لكنهـا كانـت أمـي مـن جديـد .

مرحبا؟ «جريتا».. كيف حالك؟ هل كل شيء على ما يرام؟

تمتمتُ ببعض الكلمات غير الواضحة في الرد.

مـاذا تقولـين؟ بالـكاد أسـتطيع سـماعك يـا «جريتـا» أيـن أنـتِ؟ أعلـم أنـكِ لسـتِ في المنـزل لأننـي اتصلـت مـرات كثـيرة.

أعتقـد أننـي لا أسـتطيع البقـاء هنـا في الكابينـة ولـو حتـى دقيقـة، أحتـاج إلى أن أسـتقل السـيارة وأذهـب مـن هنـا، اذهـب إلى الشرطـة أو المنـزل. هـل يمكـن أن أقـود إلى المنـزل؟ .

لا أسـتطيع التحـدث الآن، كان صـوتي بـين الهمـس و الصفير.«عـليَّ الذِّهَـاب» و لكـن أمـي ليـس مـن السـهل إيقافهـا.

مـا الـذي يحـدث معـكِ عزيـزتي جريتـا؟ أنـتِ تتصرفـين بغرابـة في هـذه الأيـام الأخـيرة؟ لا أعـرف مـاذا بـكِ.

دخلـت في صمـت الأفـكار. تسـللَ إلى عقـلي أن والـدتي هـي التـي أنهـت المكالمـة نتيجـة نوْبـة مـن الغضـب.

أخـيرا، اعتقـدت أن كل شيء انتهـى، ولكننـي سـمعتها تسـحب نفسـا عميقـاً و تسـتعد لتقـول شـيئاً. «لا عجـب في أن تكـون «كاتينـكا» قلقـة عليـكِ» .

«كاتينـكا» قلقـة عـليَّ؟ أحسسـت بالحـرارة والـبرودة في نفـس الوقـت. مـاذا قالـت «كاتينـكا»؟ لمـاذا تكلمـت أمـي معهـا؟.

لقـد كنـت في المركـز التجـاري اليـوم، ومـررت بالمتجـر لأقـول لـكِ مرحبـا. ولكننـي لم أجـدك قالـوا لي أنـكِ في عطلـة. لم أكـن أعـرف أنـكِ كنـتِ تخططـين لقضـاء أجـازة في هـذا الوقـت الحـالي .

«مامـا، أنـا .....» ولكنهـا أكملـت حديثهـا، «لذلـك اتجهـت إلى «كاتينـكا» لأننـي أعـرف أنهـا صديقتـك المقربـة».

ثـم سـكتت أمـي. كل مـا أسـمعه هـو تنفسـها، هـل تنتظـر منـي أن أقـول لها شـيئا؟ لتبـدي ملاحظتهـا عـن علاقتـي «بكاتنـكا» أو أنهـا كانـت تفكـر في أفضـل صديقـة كانـت لديهـا في السـابق؟ لقـد اعتـدتُ عـلى التنصـت عـلى مكالماتهـا الهاتفيـة، كانـت «روث» هـي مـن تتكلـم بكـثرة في العـادة، وأمـي تجلـس عـلى طاولـة المطبـخ أو الأريكـة لتسـتمع.

«لا.. ليس هنا.. نعم كالعادة.. من يعلم أين هو الليلة؟»

كانـت تسـمع باهتـمام، بطريقـة لم تفعلهـا مـع أي شـخص آخـر. أحيانـا كانـت تسـتمع إليهـا لفـترة طويلـة، حتـى أننـي كنـت أحبـس أنفـاسي، أكاد أسـمع صـوت «روث» عـلى الهاتـف. لم أكـن أعـرف مـا تقولـه لأمـي، و لكـن كل مـا أسـتطيع فهمـه هـو أن كلامهـا كان نوعـا مـن المواسـاة.

«مـاذا أفعـل بدونـك يـا روث»؟ شـكراً عـلى الإنصـات . ليـس لـدي أحـد آخـر ألجـأ إليـه غـيرِكِ .

هـل كان شيء ينـذر بالشـؤم في كلام أمـي بعـد مـا حـدث، هـل فقـدت أمـي الثقـة ليـس فقـط في « روث» بـل في الصداقـات الأنثويـة بشـكل عـام؟ هـل هـي خائفـة مـن أن «كاتينـكا» ربمـا تخوننـي كـما فعلـت «روث» معهـا؟ لا يوجـد مـا يدعـو للقلـق بشـأن ذلـك . هـذا مـا سـوف أقولـه لهـا إذا سـألتني.

أنـا أعـرف أفضـل مـن أمـي. «كاتينـكا» وأنّـا نعـرف بعضنـا البعـض جيـدا، ولكـن هـذا لا يعنـي أننـا قريبين،عـلى الأقـل ليـس كـما كانـت أمـي وصديقتهـا روث، لقـد تعلمـت مـن أخطـاء أمـي، أكاد أسـمعها تخـبرني بـكلام «كاتينـكا» أننـي في الفـترة الأخـيرة لم أكـن عـلى مـا يـرام، هـذا مـا قالتـه، وأنهـا قلقـة عـليَّ، رفعـتُ يـدي لأمسـح جبينـي مـرة ثانيـة، ومـرة أخـرى فكـرت فيـما حـدث في الغابـة، الأطفـال، السـكين التـي كانـت مصوَّبـة نحـو حلقـي، مـاذا عنـك ماما؟ أريـد أن أسـألها. هـل أنـتِ قلقـة يـا أمـي؟. ولكـن عندمـا فتحـت فمـي، تعـثرتُ وقلـت لهـا «أنـا حامـل». لا أعـرف لمـاذا قلـت لهـا هـذا الـكلام، ربمـا لأصدمهـا. أو لأنهـا قـد تلاحـظ أني تغـيرت عـن جريتـا الـلي تعرفهـا، لنكـن صادقـين، لم أكـن أنـا نفـسي لوقـت طويـل. «كاتينـكا» كانـت عـلى حـق . صاحـت أمـي قائلـة : يـا إلهـي! حامـل؟

تغيرت نبرة صوتها وأصبحت أكثر حده، ثم قالت، «من والده؟».

لا أسـتطيع فعـل ذلـك بعـد الآن. أنـا ببسـاطة لا أسـتطيع. دخلـت غرفـة النـوم، أغلقـت هاتفـي الخلـوي قبـل توصيلـه بالكهربـاء. قفـزتُ إلى السريـر بعـد أن سـيطرت اللامبـالاه عـليَّ، و طـردتُ كل الأفـكار التـي تـدور بـرأسي، وقبـل أن أغلـق عينـي فكـرت في كلام أمـي و عـدم رضاهـا.

كيف يمكنك فعل ذلك «جريتا» ؟ من على الأرض يستطيع فعل ذلك؟

(14)

أيقظني صوت «أليكس». هو الذي كنت أفكر فيه، وما اعتقدت أنني سمعته يهمس لي، بالطبع أنتِ تعتقدين أن هذا حقيقي؟ أنتِ فقط تتخيلين كل شيء، إنه مجرد خيال، اللحاف من تحتي تجعّد وأصبح أكثر رطوبة.

أنا أرتجف، أحسست بشيء ساخن إلى جانبي يلتف حول ساقي، إنه «تيريث»، وضعت يدي تحت بطنه الناعم ثم وضعته على صدري، وضعت إصبعي تحت طوقه الوردي وفركت حول عنقه، أخذ «تيريث» يتثاءب، وينظر لي نظرة طويلة بعيونه الضيقة، النائمة إنه قط «سميلا»، ربما هو الآخر يفكر فيما أفكر فيه: نحن الاثنان لا ننتمي إلى بعضنا. لكل واحد منا عقليته. بالكاد رفعت يدي إلى رقبتي و لمست البقعة التي عليها واتجهت بأصابعي إلى ذقني. إحساسي بالسكين مازال معلقا في ذهني. تذكرت الصبي و تهديده المخيف لي وعلى نحو عاجل طردت هذه الصورة، ورجعت بانتباهي إلى «تيريث»، داعبت القط إلى أن تمدد بجسمه الأبيض والأسود على صدري، أخذ يموء بصوت عالي، خمنت أنه يريد أن يقول أننا يجب أن نلتزم ببعضنا البعض.

لسبب ما، أشعر بعدم الاستقرار. دفعت القط بعيدا وجلست سريعا عندما أحسست بحرقان في حلقي، وكما قالت الطبيبة لي قبل تسعة أسابيع، «بعد أسبوعين سوف تحدث بعض التغيرات في جسدي»، بالفعل قد مضى

أسبوعان ورأيت تغيرا ملحوظا في جسدي، غثيان و قيء وانسداد للشهية، بخلاف التعب الذي يبدو أنه سيطر على كامل جسدي، أضع يدي على بطني وشعور بالانتفاخ يتزايد، أحاول أن أطرد الأفكار مرة أخرى، لقد حصل لي قبل ذلك عندما ذهبت لأول مرة إلي العيادة وسمعت الأخبار. لكن لا، لقد اتخذت قراري. هذه المرة أن أكون أو لا اكون، هذا هو السؤال. هذه المرة، أنا أريد هذا الطفل بالرغم من كل شيء.

من هو والده؟ كلمة أمي مثل شفرة موسي حادة جرحتني قمت بتشغيل هاتفي ووجدت أنني تلقيت ثلاث مكالمات كلهم من أمي.

أنا آسفه للغاية يا حبيبتى.لقد كنت مصدومة جدا و.....سنحل هذا الأمر بطريقة ما. اتصلي بي ودعينا نتحدث. «فقط أخبريني أين أنتِ؟ وسوف أحضر، من فضلك «جريتا» لا تفعلي هذا. أنا فقط لا أستطيع...».

هل كانت أمي تبكي من أجل سلامتي؟ كنت أسمع أخر مكالمة صوتية لها ولكن دفعي للباب جعل الهاتف ينزلق من يدي ليقع على الأرضية، الأمر كله كان يتعلق باحتياجات أمي وكيف تشعر وماذا تستطيع فعله أو لا تستطيع، نظرت إلى الهاتف و هو ملقى على الأرض، لكن «أليكس» لن يتصل. يجب ان أتركه على الأرض، استجمعت كل اللوازم الضرورية، ووضعت الشنطة على كتفي، ثم ركعت وأخذت الهاتف ووضعته في الشنطة.

أثناء مروري، تركزت عيناي تلقائيا على حجرة النوم الصغيرة، وقادتني قدماي إليها، أملت على حافة السرير ونزعت اللحاف المطبوع عليه صورة أميرة من القصص الخرافية، «سميلا» تحب الأميرات، مثلما كنت أنا في سنها، نحن نتشابه في أمور كثيرة. نظرت إلى الوسادة و شممت رائحة شامبو الأطفال الذي بدأ يتلاشى، « لم تواتني الفرصة لأخبرك بالخبر السار يا سميلا،»، سوف يكون لك أخ او أخت داخل بطني، شعرت بحركة الجنين،

وفجاءة صدمت بشيء من الخجل. شخص بالغ يفشل، يستسلم، أي نوع من القدوة يمكن أن أكون أنا؟ والتي في طريقها لأن تصبح أمام للمرة الثانية، لدي اعتقاد أن كل شيء سوف يكون بخير. كل شيء.

نهضت و تركت حجرة «سميلا» وبينما أمرُّ من أمام مرآة الحائط رأيت نفسي «الماسكارا» ملطخة، وظلال عيوني مبقعة، شعري مهوش، كما لو أنني امرأة مجنونة. بسرعة أصلحت مكياجي ومشّطت شعري، قفلت الباب ونزلت علي السلالم.

دارت السيارة بعد المحاولة الثانية، كل ما أفكر فيه هو الذهاب بعيدا. لا يوجد لدي شيء أفعله هنا بعد الآن إلا الخوف والارتباك، مع مرور للوقت أشعر أنني متورطة في شيء لا أفهمه، شيء يبدو مخيفا. بعد مسافة قصيرة سوف أستطيع فهم الكثير من الأشياء التي كانت تراوغني. السيارة تسير على طريق الحصى الضيق، أمر بالكبائن الصيفية التي تشبه كابينتنا إلى حد كبير، إنهم على جانبي الطريق، فارغين لا حياة فيهما، لا توجد سيارة واحدة متوقفة في الخارج. ولا روح على مرمى البصر.

هناك شيء غير طبيعي، منطقة للعطلات مثل هذه مهجورة وفارغة، المكان بأكمله يبدو غير واقعيا.

على الرغم من إحساسي بالعزلة إلا أنني كنت أدقق في رؤية ما حولي، نظرت في مرآة الرؤية الخلفية وأنا قلقة أن أرى تجمع من الأطفال يلوحون لي، لكن لا يوجد أحد هناك. وعندما فكرت في الفتاة والصبي والأحداث كلها، بدا لي أن كل هذا غير حقيقي، تلاشت أشكالهم من أمامي وذابت في الهواء الطلق مثل الأشباح. هل قابلتهم حقاً؟ هل كان هذا حقيقاً؟ تضغط يدي على عجلة القيادة بشدة، وأدوس أكثر على البنزين .ماذا يحدث لي؟ أنا أفقد القدرة على الفصل بين الحلم والواقع؟ بطريقة أو بأخرى لا بد

لي مـن العثـور عـلى وسـيلة تؤكـد لي أن مـا أعيشـه هـو واقـع، وليـس محـض خيـال، طـردت هـذا الفكـرة مـن عقـلي وأنـا أعـض عـلى أسـناني واسـتمريت في القيـادة.

نظـرت إلى قمـم الأشـجار مـا هـذا؟ أكاد أرى بوضـوح خيـوط دخانيـة تتطايـر في السـماء . هـذا لا يعنـي إلا شـيئا واحـد فقـط .

وصلـت الآن إلى مفـترق الطـرق. عـلى اليسـار يـؤدي الطريـق إلى مدخـل الطريـق السريـع، وعـلى اليمـين يسـتمر ليـؤدي إلى كبائـن أخـرى مـن «مارهـم» إلى المنطقـة التـي يتصاعـد منهـا الدخـان . قدمـي تضغـط عـلى «الدبريـاج» و يـدي ممسـكة بـزراع نقـل السرعـات، أشـير إلى اليسـار ثـم أتجـه يميناً.

(15)

ببطء، أسير على الطريق المتعرج الذي يأخذني إلى عمق منطقة «مارهِم» وابتعد عن الطريق السريع، خيط الدخان الرفيع هو دليلي الإرشادي في الطريق. من أين يأتي، يجب أن يكون هناك أشخاص. أشخاص حقيقيون. هؤلاء الذين أراهم بعيني، الذين يتكلمون معي، فأقتنع أن ما أراه حقيقي، وأن ما يحدث حقيقي جدا.

في هذا الجزء من منطقة «مارهِم» تكون الكبائن أكبر وأوسع، معظمهم يشبه المنازل أكثر من الكبائن، وهناك مساحة أكبر بين الساحات. ولكن هنا أيضا، كل شيء يبدو مغلقاً ومهجوراً. تقدمت ببطء أنظر إلى جانب واحد من الطريق، ثم استدرت لأنظر إلى الاتجاه الآخر، لأرى أي علامة لوجود أشخاص آخرين. هناك صوت غير متوقع، أبطئت، وسمعت سلسلة من الأصوات المكتومة والمتقطعة، عندما أدركت ما أسمعه وقفت على جانب الطريق، قلبي ينبض بحرارة.

كلب ينبح. هذا يعني أنني على مقربة. نزلت من السيارة وأكملت سيرا على الأقدام. على الجانب الأيمن من الطريق أرى أشجار داكنة وومضات من أشعة الشمس تتلألأ من نافذة كبيرة. الفناء فسيح ولكنه مختبئا خلف سور كبير يحيط بالممتلكات.

تقدمت وألقيت نظرة حول البيت، يوجد عدة رسومات باللون البني، إنه لون غير عادي هنا. ألقيت نظرة على أحواض الزهور الرائعة والمروج الخضراء علي السطح المصقول للغاية، ووجدت شواية من النوع الذي يستخدم فيه الفحم.

أذني منتبهة للغاية، ولكن الشيء الوحيد الذي أسمعه الآن حفيف الأشجار، صياح الطيور بجانب الماء. بخلاف ذلك كل شيء هاديء. عاد النباح مرة ثانية، ورأيت كلبا ضخما يجري ناحية زاوية من البيت، إنه كلب كبير ذو فرو لامع، لسانه يتدلى من فمه، يلعب بكرة صفراء صغيره يقذفها ثم يدور ليعثر عليها. يبدو أن الكلب كان منهمكا في اللعب لدرجة أنه لم يرني وأنا واقفة مترددة خارج السور، ربما يكون مدرباً بشكل جيد جداً للتعامل مع الغرباء. من خلال زاوية رؤية عيني رأيت شيئا يتحرك، وفورا نظرت إلى الطابق العلوي من البيت هناك نافذة مفتوحة جزئيا، تتدلى منها ستارة رقيقة، هل هناك أحد هنا؟ ما زلت واقفة لا أعرف ما أفعله. لابد أن أقف هنا، وأحاول التحدث مع أحد، إنه السبب الذي أتيت من أجله. ولكن فكرة أنني أتكلم مع شخص آخر لا تريحني. ماذا لو عرفوني من مجرد النظر إليّ؟

قررت التجول ثم العودة نحو السيارة.

«مرحبا! هل يمكنني مساعدتك؟»

استدرت هنا وهناك وذهلت من الصوت.

يقف من ورائي رجل مسن يرتدي سروالا ضيقا وسترة فوق قميصه بالرغم من درجة الحرارة العالية. شعره رقيق و صوته ينم على الألفة مشوبة بقليل من الحذر. كان الكلب يقف بجانبه وهو ممسك بطوقه.

«هل أخفتك؟.. لم أكن أقصد» .

هـززت رأسي و أنـا أهمهـم ببعـض الكلـمات الدالـة عـلى أننـي بخـير. قلبـي كان يـدق بسرعـة «أعتـذر عـلى تسـللي عليـك».

لا يوجـد كثـير مـن النـاس في هـذا الوقـت المتأخـر مـن الموسـم، يجـب أن تكـون عـلى أهبـة الاسـتعداد لمـا قـد يفعلـه هـؤلاء الأطفـال، هـذا كل مـا في الأمـر.

حدقـت في وجهـه. هـؤلاء الأطفـال. إذن هـم موجـودون بالفعـل، هـززت رأسي وصنعـت تعبـير أحـس بـه الرجـل إننـي موافقـة. رسـم عـلى وجهـه ملامـح الارتيـاح وابتسـم، عـلى مـا يبـدو بعـد أن عـرف أننـي لا أشـكل تهديـدا.

«مـن المؤكـد أن الأمـر ليـس ممتعـاً»، كـما يقـول، «بعـض الليـالي يصنـع الأطفـال ضوضـاء كبـيرة أسـفل البحـيرة أو خـارج الجزيـرة» أحـاول أن أكـون بعيـدا عنهـم قـدر المسـتطاع.

خـارج الجزيـرة؟ إننـي أفكـر في «أليكـس و سـميلا» في فـردة الحـذاء الأسـود الـذي وجدتـه، إننـي أرتجـف. لقـد عرفنـي الرجـل بنفسـه، و لكننـي بعـد مـرور ثانيـة نسـيت اسـمه بالفعـل.

- هل تعيشين بالقرب من هنا ؟

أومـأت إيجابـا، وقلـت «نعـم في إحـدى الكبائـن عـلى الرصيـف أعـلى الطريـق» .

«أليكسـاندر» هـل أنـتِ مـع أليكسـاندر؟ لقـد مـر وقـت طويـل منـذ أخـر مـرة رأيتـه فيهـا، ولكننـي لمحتـه وكان معـه طفلـة صغـيرة أظـن أنهـا ابنتـك؟

همسـت «سـميلا» هنـاك شيء مـا في صـوتي، إنـه أجـش وأجـوف ولكـن الرجـل لم يلاحـظ، ربّـت عـلى الكلـب الأسـود الـذي يمـس بيـده منخـاره المبلـل.

« سـميلا» يـا لـه مـن اسـم جميـل. لابـد وإنـك زوجـة «أليكسـاندر» أعتقـد أننـا تقابلنـا مـن قبـل، كان اللقـاء قصـيراً جـدا.

خفضت عيني مرة أخرى، هل أميل مرة ثانية؟ أفكاري تتجه إلى مكان أخر. هذا الرجل يقول أنه رأى «سميلا» مع «أليكس» ذلك اليوم. ما الذي يعنيه ذلك؟ متى رأيتهم؟ هل تتذكر؟ أعنى سميلا وأليكس « وأين رأيتهم بالتحديد؟»

نظر إلى بشكل غامض وأكمل، «أعتقد أنه كان في حفلة الرقص في منتصف الصيف منذ سنوات مضت، كان يبدو أنكما كنتما حديثي العهد بالزواج، كانت تلك الأيام، في الوقت الذي كان يوجد فيه إقامة للاحتفالات والمناسبات المنظمة في «مارهِم». نظرت له وسألته متى رأيتهما حديثا أين بالتحديد؟ هز الرجل رأسه ببطء. «أنا أسف». لا أستطيع أن أتذكر. أجد نفسي أتساءل لماذا يكذب؟ أو ربما يقول الحقيقة إنه رجل عجوز، وذاكرته ليست كما هى. ليس معنى أن علاقتي بالحقيقه كاذبة، يعني أن كل الناس يكذبون، تحرر الكلب من صاحبه واقترب مني حاول أن يشم رائحتي، لكننى عندما حاولت أن أداعبه في أذنيه، تراجع. لم يعد يهز ذيله.

حسنا، من الأفضل أن أذهب... وما أن ابتعدت قليلا، حتى قال «كان يبدو غاضبا أو مذعورا أعني اليكساندر»، صدقيني.. من الصعب وصف كيف كان.

عاصفة من الرياح تجتاح جذور الأشجار، تحمل معها رائحة الخطر، غضبان أو مذعور من الصعب معرفة ما كان. «أنا آسف».

ولكن كان لابد لي أن أقول لكِ كيف كان.. استدرت إلى الوراء وجريت بعيدا دون أن أقول له «وداعا» أستمع له وهو يصيح و يحذرني من أنني يجب أن أحتاط من هؤلاء الأطفال غير الموثوق بهم، من شدة السرعة كان الحصى يتطاير من تحت الإطارات، وأنا أسلك الاتجاه الذي جئت منه، بالكاد أستطيع أن ألاحظ أين أسير، فقط انتبهت أن السيارة تنحرف من

جانـب إلي أخـر. غضبـان أو مذعـور!. مـن الصعـب وصـف مـا كان عليـه. بطنـي تنقبـض و تقـاوم شـيئا مـا يتحـرك بداخـلي، قلبـي سـينفجر داخـل ضلوعـي. «سـميلا» الصغـيره أنـا لا أسـتطيع المجازفـة. هنـاك شيء واحـد عـليّ أن أفعلـه. أن أعـرف إلى أيـن يجـب أن أذهـب.

(16)

لفـترة طويلـة، كنـت أعتقـد أن والـدي في عـداد المفقوديـن. في المبنـي السـكني الـذي عشـنا فيـه، كان مألوفـا أن يـترك الآبـاء أسرهـم. كانـوا ببسـاطة يحزمـون أمتعتهـم ويخرجـون مـن البـاب ولا يعـودون أبـداً. لكـن ليـس هـذا مـا حـدث مـع والـدي. لكـن مـا الفـرق الـذي أحدثـه؟ في كلتـا الحالتـين كان في عـداد المفقوديـن. بعـد ثانيـة مـن ذلـك، تذكـرت كيـف كنـا أنـا وأمـي نحـدق في بعضنـا البعـض! كيـف، لفـترة وجيـزة عـلى مـا يبـدو أبديـة، شـاركنا اتصـالا صامتـا. كنـا نعـرف أننـا الشـخصين الوحيديـن في العـالم اللذيـن يعرفـان مـا حـدث . ولكنهـا بعـد ذلـك أدارت لي ظهرهـا، فكـسرت بذلـك اتصـال تلاقـي أعيننـا، لا أعـرف مـاذا حـدث بعـد ذلـك. عـدا أننـا انتقلنـا إلى مـكان أخـر. كنـت طفلـة، لكنـي لم أكـن غبيـة، فهمـت أني كنـت ملامـة لأن هـذا كلـه كان خطئـي، ولكـن رفضهـا لي مـازال يؤلمنـي. صفـارات الإنـذار تـرن في الشـوارع، والأضـواء الزرقـاء تـضيء واجهـات المبـاني . البـاب الأمامـي كان مفتوحـا عـلى السـلالم الخارجيـة. رجـال و نسـاء يرتـدون الـزي العسـكري الكئيـب، وجوههـم مشـدودة، يخرجـون و يدخلـون مـن الشـقة. خـلال كل هـذا بقـي بـاب غرفـة نـوم بابـا ومامـا مُغلقـا. كان هنـاك نحيـب يائـس وصرخـات هيسـتيرية.

جلسـت عـلى الأرض في غرفتـي ممسـكة بـ«مـولى» بصمـت رهيـب. لم أكـن أعـرف مـاذا أفعـل. كل مـا أدركـه أننـي كنـت أود أن أظـل هنـا حتـى تـأتي أمـي

و تأخـذنى بـين ذراعيهـا، سـوف أختفـي أنـا أيضـا. حـاول رجـلان يرتديـان زيًـا عسـكريا التحـدث إليّ. قالـوا أنهـم مـن الشرطـة، في البدايـة وقفـوا هنـاك ثـم جلسـوا إلى أسـفل. طرحـوا عـلي بعـض الأسـئلة، لكنـي تظاهـرت بعـدم سـماعها. اسـتمروا في الحديـث، مـع تكـرار الأسـئلة، بـدأت أتمتـم لنفـسي، إذا تظاهـرت أن كل شيء عـلى مايـرام كالمعتـاد ربمـا كل شيء سـيعود إلى طبيعتـه. ربمـا أتمكـن مـن جعـل الأشـياء السـيئة التـي حدثـت تختفـي. كل مـا كان عـلي فعلـه هـو عـدم التفكـير في هـذا الموضـوع وأخـيراً، أمسـكني الشُرطِـيّ الأكـبر سـنا مـن ذراعـي وتحـدث معـي بحـدّه. صرخـت في وجهـه وأخـذت «مـولي» بعيـدا.

قـال أنـه كبـير عـلى هـذا الهـراء، بـدا رفيقـه شـاحب اللـون و متهجـما، سـحب الشرطـي الآخـر مـن الغرفـة وهمـس لـه «إنهـا مجـرد طفلـة و في حالـة صدمـة» و بعدهـا أتى إلى وجلـس بجانبـي و تحـدث معـي بلطـف ومـودة، موضحـا أن كل شيء عـلى مـا يـرام، وأن الشرطـة أرادت فقـط الأفضـل لي، و لهـذا السـبب هـم هنـا. أدركـت أنـه يريـدني أن أثـق فيـه، وحاولـت أن أثـق فيـه فعـلا، ولكـن لم يحـدث هـذا أي فـارق، خاصـة بعـد أن أخـذوا «مـولي» منـي وأنـا قـررت وقتهـا أننـي لـن أغفـر لهـم فعلتهـم هـذه .

(17)

تقع أقرب مدينة على بُعد خمسة عشر دقيقة بالسيارة من «مارهِم»، المدينة ليس بها الكثير، فقط شارع للمشاة، متجر للبقالة، مركز للشرطة، مكتبة، وبعض المحال التجارية. كنت أتوقع أن يكون مركز الشرطة مغلقا، ولكن عندما وضعت يدي على مقبض الباب فتح. بعد ذلك، فكرت أنه كان من الأفضل لو كان الباب مغلقاً. حتى لا أكون مُجبرة على الانتظار. ربما أتمكن من تهدئة نفسي وإعادة النظر مرة أخرى. ربما استطعت أن أطرد الأفكار المشتتة جانبا.

تكلمت مع امرأه كانت على الكاونتر شعرها داكن مسحوب إلى ذيل حصان، أخرجتْ مفكرة لتملأها. بدون تفكير قلت لها الاسم ورقم الهاتف، حاولت أن أقول لها كل شيء، ولكن كان أسلوبي مليء بالفوضى، أستطيع أن أسمع صوتي المبعثر. وعندما سمعت الشرطية اسم بحيرة «الخبث» أرجحت القلم فوق الورق ثم وضعت القلم «الخبث» لم أسمع عن أي بُحيرة تحمل هذا الاسم من قبل.

أجبت «هذا ما يطلقه عليها السكان المحليين» .

«إذن ما هو اسمها الحقيقي»؟

لا أستطيع الإجابة على هذا السؤال، أرخيت يدي لمدة دقيقة ونظرت

بعيدا، ثم نظرت إلى الشرطية وسألتني عن أسماء الأشخاص الذين «أعتقد أنهم مفقودون». هي تريد معرفة علاقتي بهم. أتفوه بكلمات وأشرح لها وهي طول الوقت تستمع لكلامي. كيف يمكن للحقائق والأكاذيب أن يتشابكوا مع بعضهم البعض.

«ما السبب في رأيك ..... اختفائهم ؟»

ما هو التفسير الأكثر قبولا في رأيك اختفائهم؟.

ربما الكلمات التي تستخدمها أو حتى الطريقة التي تنظر بها إليّ فجأة تجمد جسدي بأكمله ،ارتفع طعم معدني ثقيل في فمي. كان من الخطأ أن أتي إلى هنا .

تراجعت خطوة إلى الوراء ثم أخرى وأخرى، ضابطة الشرطة تراقبني ولكنها لم تقل أي شيء آخر، حتى عندما استدرت واندفعت نحو الباب، وعندما خرجت من القسم تركتني أذهب .في طريق عودتي إلى «مارهِم» كان لدي شعور قوي بأن شخصا ما سوف يتبعني، كانت هناك سيارة خضراء تقترب مني، وأنا أنظر بعصبية شديدة في مرآة الرؤية الخلفية، في محاولة لمعرفة كيف يبدو السائق ولكن هو أو هي أنزل زجاج السيارة وأصبح الشيء الوحيد المرئي هو شكل مظلم، دوست على الفرامل برفق لارغم السيارة من خلفي أن ترجع إلى الوراء لكن انحرفت السيارة إلى ممر المرور، أدرت رأسي، لكن الشمس تلمع على نافذة جانب الراكب في السيارة الأخرى، ولا أستطيع أن أرى من يجلس داخلها، حتى أنني لا أستطيع أن أحدد ما إذا كان رجل أم امرأة. الآن أشعر أن السيارة تهتز تحتي، حتى وإن إطار التوجيه سوف يهرب مني. ما الذي يحدث؟ أنا في كامل ذهولي وحيرتي. أنا على وشك البكاء. ثم أدركت أنها ليست السيارة أو عجلة القيادة التي تتحرك. إنه جسدي الذي يهتز بدون سيطرة أو تحكم.

أبطات، وتراجعت، ثم توقفت. لا يهمني أنه قد يكون غير قانوني أن أركن السيارة هنا، بينما النبض يسرع في حلقي أحدق في السيارة الخضراء وهي تختفي حول المنحنى. أسمع رنينا صامت يأتي من حقيبتي. هاتفي!

كان رنين هاتفي المميز، أستطيع أن أشعر به وكأنه يرن في جسدي، أنها مكالمة مهمة لا يمكن تجاهلها. ألقيت بنفسي على الحقيبة حيث وضعتها على المقعد إلى جانبي، كنت أخدش و أفتش كما لو كنت مرأه ممسوسة، أفرغت جميع المحتويات على مقعد الراكب، علبة البودرة، أحمر شفاه، وزوج من الأقراط المنقوشة. ما تزال يدي تهتز ولكنني تمكنت من إيجاد الهاتف التقطته وبعيون حادة رحت أحدق في الشاشة، إنه رقم مجهول، بأصابع مرتجفة ضغطت على زر الإجابة ووضعت الهاتف على أذني. و قلت «نعم» يكاد يكون صوتي فوق الهمس. عندما بدأ الشخص في الناحية الأخرى بالحديث، استغرق الأمر لحظة لأعرف من هو. لأنه ليس «أليكس» ولا «سميلا» و لا حتى أمي إنها ضابطة الشرطة.

تكلمت بطريقة رسمية «جريتا» أنا ضابطة الشرطة التي تكلمت معها في القسم، لقد بحثت في هذه المسألة ووجدت شيئاً غريباً، هل تعرفين عمّ أتحدث ؟ وسكت كلانا. مددت يدي اليمنى وبحثت على مقعد الراكب عن شيء أمسكه، لأحكم قبضتي عليه، لأجعل نفسي أكثر صلابة .

كان على التحقق من المعلومات التي أدليتِ بها أثناء وجودك هنا، و لكنك غادرتي بسرعة، لقد أجريت بحثا في السجلات وما وجدته- أو بالأحرى، ما لم أجده أدهشني، دعينا نقول ذلك وأنا في حاجة لمساعدتك في حل هذا الأمر.

أسمعها مرة ثانية تسألني عن «أليكس وسميلا» أكانت تلك أسمائهم؟ الناس المفقودين؟ هل لديكِ نفس الاسم الأخير ،أو .....؟ .

ضابطة الشرطة لم تكن حادة معي ولكنني أحسست من صوتها إنني لست بحاجة للرد عليها إنها تعرف ذلك.

«هل هذه المعلومات صحيحة»؟.

الآن هي تقرأ في أذني اسمي بالكامل، ورقم الضمان الاجتماعي السري، كل المعلومات التي قدمتها لها في قسم الشرطة جنبا إلى جنب مع رقم الهاتف، بالرغم أنني أبتلع بصعوبة، كما لو أن هناك شيئا في أعماق قلبي أريد اكتشافه من مكان بعيد، أنا على وعي تام بالوخز والشعور بالحرقة، إنه جزء مني، ورغم ذلك خارج النافذة سيارة تندفع من ورائي، و بوقها يدوي بإزعاج شديد، ولكني بصعوبة أكاد أدرك هذا.

«جريتا» هل ما زلت معي؟ هل كل هذه المعلومات صحيحة؟

الألم يزداد و يصبح أكثر حدة، شيء ما يطعن في جسدي، «نعم» أنا مازلت معكِ . وكل المعلومات صحيحة.

الألم يرسل رجفة خفيفة إلي جسدي بالكامل، وأشعر أن كل شيء يعوم أمام عيني، أجبرت نفسي أن أنظر إلى قبضة يدي المشدودة والمتصلبة، الدم يتسرب خلال أصابعي و مفاصلي، أفتح قبضة يدي وأنظر إلي الحلق الموجود في كفي. في الطرف الحاد من الخطاف الذي هو مترسخ في أعماق يدي. من بعيد سمعت الشرطية تقول اسمي مرة أخرى.

همهمت بشيء غير واضح أخذت نفسا عميقا. كل منا يحضر لما سيحدث، للكلمات التي يجب أن تقال .

وفقا للسجلات «جريتا» أنت لست متزوجة، وليس لديكِ أطفال. لا يوجد زوج أو ابنه في حياتك، وأبدا لم يكونوا موجودين.

(18)

بالإضافة إلى أنني ربما أقول ذلك كما هو، أنا لست مثل الآخرين، ليس طبيعياً أو موثوقاً في الطريقة التي يكون بها معظم الناس، ولكن على الاقل لدي ما يكفي من الوعي لأحقق ذلك .من حين لأخر في فترات متلاحقة من حياتي، احتجت إلى المساعدة النفسية. الأسلوب دائما كان نفسه لا يتغير. أنتظر حتى اللحظة الأخيرة، أكون على وشك الانهيار وحياتي كلها على وشك التمزق التصدع، كل مرة على يد طبيب نفسي مختلف. أنا لن أعود إلى نفس الشخص مرة أخرى .

مرة واحدة في الأسبوع، وأحيانا أكثر، أجلس على كرسي مهتريء، حيث كثير من الأشخاص المجهولين الهوية أمامي، وآخرون يجلسون عندما أترك مكاني وأذهب، الحجرات ليست هي نفسها و لكنها تبدو متشابهة. وجه بشوش إلى حد ما يجلس على الكرسي في الجانب الآخر، علبة من المناديل الورقية موضوعة على الطاولة بيننا، ثم نتحدث.

حسنا، ربما ليست في الحقيقة هذه الكلمة المناسبة لذلك. أنا الشخص الذي يتوقع أن يقول أشياء، بالطبع، للشرح والتوضيح.

مع كل طبيب نفسي، آمل أن تكون الأمور هذه المرة مختلفة. آمل أن يكون الطبيب النفسي الجالس بجانبي أكثر جرأة من السابق. لا يستقر فقط على طرح أسئلة عما حدث لأبي وينتظر مني الإجابة.

بـدلا مـن ذلـك كان شـجاعاً بمـا يكفـي لينظـر في عينـي، ويقولهـا بأعـلى صوتـه. يقـول أنهـم يفهمـون ويقولـون الحقيقـة. لذلـك ليـس عـلي أن أفعـل ذلـك بنفـسي. يجـب عـلى شـخص آخـر أن يحـررني. لكـن هـذا لا يحـدث أبـداً. عـادة مـا يسـتمر هـذا لبضعـة أسـابيع أو حتـى بضعـة شـهور، بحلـول الوقـت سـنصل إلى الجانـب المـؤلم، أو عـلى أكـثر تقديـر سـوف نـدور في دوائـر مفرغـة دون أن نحـرز أي تقـدم .

وبصـبر يسـألني:إذن، و بعـد ذلـك مـاذا حـدث؟ فأهـرب، «أنـا أصر»، يتحـول الوجـه الـذي كان متعاطفـا معـي إلى وجـه أكـثر توتـرا، يتراجـع الطبيـب النفـسي ويحـاول معـي مـن زاويـة أخـري: مـا رأيـك في .....؟ مـا الـذي يجعلـك....؟

لا شيء سـوى الأسـئلة، لا توجـد أي اسـتنتاجات. أقـول إننـي أشـعر بتحسـن الآن و أذهـب مـن مكاتبهـم، ولا أعـود مـرة ثانيـة. لا يقدمـون أي اعتراضـات و يسـمحون لي بالانـصراف، واحـد منهـم فقـط حـاول أن يبقينـي هنـاك تحديـدا، كان ذلـك منـذ سـنوات، قبـل أن ألتقـي ب « أليكـس» هـذه المـرة كان الطبيـب النفـسي امـرأة شـقراء، ليسـت أكـبر منـه بكثـير، كثـيرا مـا اعتقـدت أن هنـاك شيء هـش فيهـا، ولكـن بعـد أن وقفـت وأعلنـت أنـه بعـد الجلسـة التـي أخذتهـا أننـي لا أخطـط لرؤيتهـا مـرة أخـرى، أمسـكت بمعصمـي بلطـف ولكـن بحـزم. «إذا مـا غـادرتي الآن»، فهـذا يعنـي أنـكِ لم تتعلمـي شـيئاً عـن نفسـك، ولـن تكـوني مسـتعدة لأي تحسـن ولا أن تواجهـي المـاضي أو المسـتقبل. المـرة القادمـة عندمـا تواجهـين موقـف عاطفـي مفاجـيء، فالأسـلوب سـوف يكـرر نفسـه، مازالـت جالسـة عـلى كرسـيها وعندمـا نظـرت إلى الأسـفل لاحظـت أنهـا كانـت ترتـدي فسـتانا بأكـمام قصـيرة. نحـن في منتصـف الصيـف، وكانـت الغرفـة سـاخنة. بالإضافـة إلى ذلـك هنـاك شيء آخـر لفـت انتباهـي في هـذا الفسـتان، السـترة والجاكيـت «لم أركِ ترتديـن أي شيء بأكـمام قصـيرة مـن قبـل»

هزت رأسها لتظهر أنه لا يمكن أن تشتت تركيزها.

أضافت « سوف تزداد الأمور سوءًا بالنسبة لكِ»، أنت تخاطرين كونك فاقدة للتوازن، أسوأ السيناريوهات المحتملة في تلك الحالة الذهنية، من الممكن أن يكون له عواقب مؤسفة جدا لكِ، وللمقربين منكِ أيضا. كان يمكن أن أنزع يدي من قبضتها و أخرج بسرعة الريح من الغرفة و لكنني لم أفعل.

- ماذا تقصدين بذلك؟

في أوقات مبكرة من طفولتك، تعلمت الاعتماد على استراتيجيات معينة وقت الأزمات. أنتِ تكررين نفس تلك الاستراتيجيات حتى وأنت كبيرة، بالرغم من أنها غير نافعة وغير مؤثرة.

ماذا بكم يا علماء النفس؟ لماذا لا تقولون أشياء يفهمها الناس؟ نظرت إلى بلا مبالاة وتبلُّد لا شعوري.

- حسنا، سأقول هذا بوضوح قدر استطاعتي، «جريتا» ما يقلقني هو أنك تفعلين نفس الأشياء التي كنت تفعلينها وأنت صغيرة، عندما تكونين مصدومة أو تواجهين بعض الشدائد.

الحرارة تتدفق في وجنتي وتصعد إلى عيني.

- «أقول الأكاذيب»؟

- «نعم، وما هو أسوأ».

***

أحدق في وريد يدي الأخضر، يدي بأكملها تنبض بالألم من الجرح في كف يدي، الدم يسري من كفي إلى عجلة القيادة فتصبح مسكتي لها بها بعض اللزوجة، لم أعد أستطع فهم دوافعي الخاصة، أنا لا أستطيع

تذكر حججي و براهيني حين دخلت قسم الشرطة، ولا أستطيع تكوين فكرة واحدة معقولة حتى الآن. هل أنا على وشك فقدان السيطرة؟ ربما أنها الثواني الأخيرة قبل انهياري الكبير، الطبيبة النفسية الشقراء التي تمكّنت أخيراً من مغادرة مكتبها- ماذا كانت تقول إذا كانت تستطيع رؤيتي الآن؟ ألم أحذركِ؟

الطريق إلى «مارهِم» والعودة إلى الكابينة. لا أعرف كيف أقوم بهذا، و لكن بطريقة ما قمت بالقيادة طول الطريق دون السقوط في الخندق أو الاصطدام بسيارة قادمة. أضغط على دواسة الوقود والفرامل..

توقفت في نفس المكان كما كنت أفعل من قبل، على الطريق المغطى بالحصي خارج الكابينة، هناك دم في كل مكان، الدم على قميصي، وبقعة زاهية على بدلتي، الآن توقف نزيف الجرح نسبيا.

لا يوجد زوج ولا ابنة في حياتك. ولم يكونوا موجودين أبدا. هززت رأسي كان يجب عليّ أن أعرف، أفضل من أن أذهب إلى قسم الشرطة، كان من الممكن أن أدرك أنه عليّ التعامل مع هذا الأمر بمفردي، أوقفت المحرك و استدرت نحو المقود بجانبي، نظرت إلى الطريق. الليلة الماضية كانت هناك سيارة أخرى هنا.

كانت تحديدا بجانبي. لم تكن متوقفة بشكل صحيح وكان محركها يعمل طوال الوقت. كانت هذه «الخشخشة» أو الصرير المكتوم والذي يشبه نغمة «باس»، كان هناك صوت هائج سمعته من خلال النافذة المفتوحة جزئيا. صوت ثائر أو بالأدق هستيري. نحيب، صرخة غضب، أو ألم قشعريرة جليدية تسرح بحرية في كامل أنحاء جسمي، ينبغي على أن أقلق؟ أيا كان من صرخ لابد أنه لاحظ لوحه سيارتي المعدنية بالرغم من حالتها، ربما يكون قد حفظ مجموعة معينة من الأرقام والحروف التي يمكن أن يتعرف بها عليّ.

أمسكت حقيبتي من المقعد المجاور لي، وجمعت كل شيء وقع منها ووضعته بها مرة ثانية، جرح كف يدي يشد عليّ و يؤلمني، أُكشر وأنا التقط الأقراط بعناية. الشخص الذي بقي والآخر الذي رحل. بعد ذلك، لم أسال «أليكس» عن زيارة وقت الليل. ظننت أنني أستطيع أن أضع اثنين إلى جانب اثنين معاً، وأنني فهمت بما فيه الكفاية، الآن أشعر بشيء مزعج في ذهني. ما الذي أعتقد أنني فهمته؟ في هذة اللحظة، يبدو أنني غير قادرة على متابعة حتي أبسط الأفكار.

وقفت مرة أخرى في المدخل على سجادة القاعة ذات اللون الأخضر، كل ذلك دون أن أخلع حذائي، فقط أستمع. في البداية لم يكن هناك إلا السكون، ثم صوت متردد قادم من غرفة المعيشة، خطواتي ثقيلة، أستمع وأنتظر.

أنا أعرف من يقترب. عندما ظهر «تيريث» شيء ما ارتاح بداخلي وخفف عني، قعدت على ركبتي، ومددت يدي نحوه بحنان، شعرت بنعومة فروة تحت أصابعي، وأدركت كم كنت في احتياج لهذا - للمس، للاتصال - طوال تلك الأربع والعشرون ساعة الأخيرة.

ملست على ظهر «تيريث» وفركت له تحت أذنيه بينما هو يصدر صوتا واطيا ومتصلا ليعبر عن سعادته. يلعق أصابعي وينفخ في جرح يدي، كان يبدو أنه مهتم بشكل عجيب. ومرة أخرى، ضغط بأنفه برفق على دمي المتجلط. ويبدو أنه اتخذ قرارا بتنظيف الجرح بعناية، مسح بلسانه الجاف على ثقب الجرح، في البداية تركته معتقدة الآن أننا مرتبطان، هذا ألقط و أنا، الماضي وراءنا، ولا نعرف شيئا عن المستقبل ولكن في هذه اللحظة نحن متصلون مع بعضنا البعض، لعابه ودمي، بعدها أدار عينيه الصفراوتين الضيقتين نحوي، سحبت يدي بعيداً باندفاع، وببطء وقفت

عـلى قدمـي، «تيريـث» اسـم غريـب وشـاذ بالنسـبة لحيـوان أليـف، «أليكـس» هـو الـذي فكـر في الاسـم، أتذكـر عندمـا أوضـح أن «مينـاس تيريـث» تعنـي بـرج الحـرس، ظلـت عينـي ثابتـة عـلى القـط بلونيـه الأبيـض والأسـود، بينـما أتلمـس مقبـض البـاب مـن خلفـي، نحـن نحـدق في بعضنـا البعـض «تيريـث» وأنـا، واحـد منـا يتسـم بالفضوليـة، والآخـر متوتـر، إنـه الوقـت المخصـص لـك للخـروج لفـترة.

- اذهب الآن!

نظـر القـط بعيـدا وتوقـف عـن المداعبـة بشـكل مفاجـيء ومـشى، أغلقـت البـاب خلفـه، وعندمـا اسـتدرت، لاحظـت أحـد الخطافـات المعلقـة عـلى مسـتوى منخفـض مـن الحائـط، الخـوف مـن أن يطعننـي في صـدري قـوي جـدا لدرجـة أننـي أحسسـت أن أنفـاسي اضطربـت.

سـترة ماركـة جـان مُعلقـة عـلى الخطـاف تخـص فتـاه ذات أربـع سـنوات، انهـرت عـلى الأرض فاقـدة للوعـي، أفـكار لا يمكـن تصورهـا، لا يمكـن أن يكـون هـذا حقيقيـاً، فركـت عينـي حـين رأيـت البقـع السـوداء للمسـكرة الرطبـة عـلى بـشرتي، أدركـت أني أبـكي، «سـميلا» أنـا آسـفة، شـعرت بـأني منافقـة وغشاشـة، مـا الجيـد في البحـث عنهـا؟ لا يـزال الخطـأ واقعـا عـليّ ـ يضغـط عـلى صـدري بشـدة تزامنـا مـع فكـرة «كان يمكننـي القيـام بـكل شيء بشـكل مختلـف، مـاذا كان يجـب عـليّ أن أفعلـه؟ ومـاذا كان يجـب عـليّ ألا أفعلـه؟ ربمـا لاتـزال هنـا.

أخـيراً، عـليّ أن أضغـط بشـدة عـلى خـدي وذراعـي لوقـف كل هـذا، لمـاذا تسـتمر أفـكاري في السـير عـلى هـذا النهـج؟ كـما لـو كان كل شيء قـد انتهـى، كـما لـو أن «سـميلا» قـد ..... فجـأة، الخـوف والشـعور بالذنـب هربـوا بعيـدا، ثـم غمرتنـي موجـة كبـيرة مـن الغضـب، وضعـت حقيبتـي في الـدولاب، وقلـت وأنـا أبـكي «أيهـا الوغـد! مـاذا فعلـت بهـا؟»، لكـن كنـت الوحيـدة التـي تسـتمع

إلى كلماتي، و ليس هناك أحد يتم توجيه الكلمات إليه. أو على الأقل ليس هناك شيء أعدته لأقوله بصوت عال. لِمَ أخاطر حتى الآن في هذا الظرف.

لقد ذهبت، جلست هناك وأمسكتها كما لو أن الحياة فارقتها، وبعد ذلك... بعد ذلك كنت مازلت أجلس هناك. لم أكن أريد أن أتحرك من جانبها، لم أكن أريد أن أتركها هناك، ولكن في النهاية لم يكن لدي أي خيار.

كانت ملاذي و لكن عندما انقطع حبل التواصل بينا، كل شيء انهار بشدة، الآن أنا أنجرف بلا هدف، الأرضية الصلبة التي استقرت عليها حياتي تلاشت من الوجود، ووجدت نفسي أهوى، الكلمات يدوي صداها في رأسي، أكثر حقيقة من أى شيء آخر. بدوني، أنتِ لاشيء.

بينما أنا أنجرف، صعودا وهبوطا على سلالم اليأس، كنت أستلهم صورا لكِ. أحيانا تقتربين مني لدرجة أنني أعتقد أنني أستطيع أن أمد يداً مبللة بالماء لتلمسك، أستطيع أن أشعر أنكِ ترتجفين. خطوات سريعة وأصوات منخفضة في مكان قريب، ولكنني على دراية بها، شيء آخر يشعرني بأنه أكثر أهمية مثل تلك الجدران المحيطة بنا والتي على وشك أن تنهار، أستطيع أن أرى ذلك بالرغم من أي شخص آخر يبدو وكأنه نسي أو لا يلاحظ أو يفهم؟

كل شيء على وشك التصدع والتلاشي، أولا حياتها ثم حياتي أنا الآن.

صرخـت ولكـنّ صرختـي رفضـت أن تتخـذ لهـا شـكلا قويـا. و لكنـي أعـرف أنهـا في مـكان مـا وأنهـا تقـترب.

شيء جديـد سـيؤخذ في الاعتبـار، صـوت جديـد، كيـان مختلـف، قبضـة مضمومـة، عويـل الغضـب لـن يُسـمح لحياتـك أن تكـون كـما هـي، أنـت أيضـا سـوف تهتـز كل قواعـدك، أنـتِ أيضـا سـوف يتـم طمسـك ومحـوك.

(20)

جسـدي يسـير نحـو مـكان مـا وأنـا أتبعـه، أسـير في الطريـق الضيـق إلى الرصيـف بحـرص شـديد كـما لـو أن قدمـي لديهـا الشـعور أننـي لـدي مشـكلة في الحفـاظ عـلى الأشـياء معـا، كـما أنهـم سـيطروا عـلى الأمـر وسـاقوني أمامهـم، سـواء أحببـت ذلـك أم لا. الصخـور وجـذوع الأشـجار، وأوراق التـوت ونبـات «السرخـس» يبـدو أن كل شيء مألـوف.

كـم مـرة اسـتخدمت هـذا الطريـق؟ متـى كانـت آخـر مـرة كنـت هنـا؟ أكان هـذا مؤخـرا؟ بينـما أنـا أقـترب مـن البحـيرة يـزداد وجـود المسـتنقعات وتنتـشر الطحالـب في كل مـكان، أليـس مـن غـير الطبيعـي وجـود هـذه الكميـة غـير المعتـادة مـن الطحالـب؟ إنهـا تغطـي الصخـور. تزحـف عـلى الجـذور وتغطـي جـذوع الأشـجار المتسـاقطة بطبقـة رقيقـة منهـا، يبـدو أنهـا تكـون ببـطء ولكـن بثبـات، أثنـاء عمليـة ابتـلاع كل شيء في الأفـق. وهنـاك شيء مـا حـول اللـون، لـون الطحلـب يأخـذ مسـحة مـن الأخـضر الكبـير، والمخيـف. تقريبـا لامـع، لا يبـدو طبيعيـا، كـما لـو أنـه تـم معالجتـه ببراعـة برامـج الكمبيوتـر. مـاذا كان أليكـس يهمـس بـه في حلمـي؟ مـن المؤكـد أنـك لا تعتقديـن أن هـذا حقيقـي؟ كل هـذا في راسـك.

الغثيـان يزحـف مـرة أخـرى .«أليكـس» الـذي مـازال يـتردد صـدى صوتـه

داخـل رأسي. يـده، التـي مـا يـزال دفئهـا عـلى بـشرتي، والذكريـات، كل تلـك الذكريـات تتراكـم في زاويـة مظلمـة مـن وعيـي.

عندمـا دخـل «أليكـس» حيـاتي كل شيء حـدث بسرعـة فائقـة، العواطـف التـي اشـتعلت أصبحـت أكـثر سـخونة. اقتربنـا مـن بعضنـا ولكنـه نوعـا مختلفـا مـن القـرب الـذي كنـت أتخيلـه.

كان يـراني في تلـك الليـالي التـي كنـت أجلـس فيهـا وحيـدة عـلى طاولـة المطبـخ أو أمـام التلفزيـون، يـراني ولكـن بعـين مختلفـة عـن المـرة التـي أوصلنـي فيهـا إلي البيـت، تحدثنـا قليـلا، العلاقـة الحميميـة التـي تشـاركناها كانـت أغلبهـا جسـدية، لم يكـن لـدي مـا أقارنـه بـه، لذلـك قـررت أن الجأ إلى مـا رأيته وسـمعته، افترضـت أن هـذا هـو الحـال بالنسـبة لمعظـم النـاس في البدايـة. افترضـت أن هـذا مـا تشـعر بـه عندمـا تكـون في حالـة حـب. و مـع ذلـك، كان لـدي شـعور بأننـي أردت شـيئاً أكـثر مـن ذلـك، رغـم أننـي لم أكـن أعلـم مـا هـو. ليـس لـدي القـدرة أن أضعـه في كلـمات و «أليكـس» لم يطلـب أبـدا، كان أكـثر اهتمامـا في إظهـار مـا كان يتوقعـه. كان يـروق لي عندمـا أسـتيقظ مـن النـوم فأجـده يحـاول التسـلل إلى داخـلي، أصرخ مـع صـوت المنبـه، لكنـه ببسـاطة يضـع يـده عـلى فمـي، وينظـر إلى عينـي بعمـق، يضمنـي قريبـاً منـه، و يحـرك جسـده نحـوي، و يقـول لي «أنـا أراكي» «لا تخـافي» أنـا هنـا، و أنـا أعـرف أن هـذا حقيقـة. لم أعـد وحـدي. ليـس في وجـود «أليكـس»، كان ينظـر إلي، أنـا التـي عُـدت إلى الحيـاة تحـت نظراتـه. جعلنـي أشـعر بوجـودي، لذلـك استسـلمت وتركـت لـه زمـام كل شيء، وامتثلـت لـه.

نزلـت إلى القـارب، شـعرت بـه، مثـل تحـت وزني. تمكنـت مـن الحفـاظ عـلى تـوازني، لتعويـض الحركـة المتمايلـة. أغمـض عينـي وأنـا أحـاول إخـماد الغثيـان. كان الحـادث الـذي وقـع عنـد النافـذة هـو الـذي وضـع علاماتـه بطريقـة مؤلمـة،

التحول من العاطفة العمياء إلى شيء آخر. كنت في غرفة المعيشة في شقتي، وكنت عارية، كان «أليكس» قد جردني من ملابسي، بينما كان هو يرتدي ملابسه، أمسك بذراعي، وسحبني إلى الغرفة. في البداية كنت أعتقد أننا نتجه إلى الأريكة، ولكنني أدركت أننا نتجه نحو النافذة. النافذة الطويلة الضيقة التي ليس بها ستائر أو حافة. كان الظلام من الداخل والخارج، ولكن «أليكس» شغل ضوء السقف.

تجمدت، وصدرت مني ضحكة خجولة مرتبكة، وهمست أنه ربما شخص ما قد يرانا، و لكنه لم يرد، وعندما نظرت إليه وشاهدت التعبيرات على وجهه، توقفت الضحكة في حنجرتي، حاولت أن أقاوم، ولكن بعد فوات الأوان. كان أقوى مني بكثير مني. وسرعان ما كان يضغط على جسدي العاري أمام زجاج النوافذ البارد المكشوف بشدة للجيران عبر الشارع والمارة. «أليكس» أمسك رقبتي من الخلف بيد وباليد الأخرى أمسك بمعصمي وأتذكر أن نهدي كانا مرفوعين، وأنفي ملتوية بألم إلى الجانب، محاولة أن أفهم لماذا يحدث كل هذا؟ لماذا يفعل هذا؟ ما هو الهدف؟ إذا كان هذا مجرد لعبة وجدها مسلية، فلماذا يضغط بأصابعه على رقبتي بكل هذا العنف؟ أتذكر أنه لم يكن قراراً واعياً من جانبي بالتخلي عن وقف محاربته، أتذكر فقط أن جسدي أصبح هزيلا، وتوقفت عن كل محاولات الابتعاد، عندما لاحظ «أليكس» هذا سحبني إلى الوراء، دفعني إلى الأسفل نحو الأريكة، وخلع سرواله، لم ينظر في عيني. ربما هذا هو السبب في أنه لم يلاحظ أنني كنت أبكي حتى انتهي .أتذكر أنه بدا عليه أنه متفاجئاً من دموعي، لم أفهم لماذا كان مستاءا جدا.

وقال: أن هذا قد يثير أي شخص ما قد يراني. «إن أي شخص يمتلك هذا الجمال لا ينبغي أن يخجل».

لم يقل شيئا لكِ يهيننـي أو يؤذينـي ولكنـه ربما لاحظ شيئاً ما في عينـي، أثـر مـن القهـر والشـك. في اليـوم التـالي أتى عامـل توصيـل المتجـر وكان حامـلا معـه باقـة كبـيرة مـن الـورد الأحمـر، أكبر باقـة رأيتهـا في حيـاتي . وكانـت البطاقـة المرفقـة معـه تقـول: «مـن شـخص عشـق الغمـوض. نعـم، لا تتركينـى أبـداً. حبيبتـي أنـتِ» .

***

الميـاه هادئـة، السـطح أملـس. يبـدو أنـه مـن الخطـأ تحطيـم هـذا السـكون بصـوت محـرك القـارب لـذا قـررت أن أجـدف. حققـت تقدمـا بطيئـاً. يبـدو أن المـاء يقاومنـي، كـما لـو أنـه عـلى مضـد يُغلـف المجاديـف.

الموجـات المظلمـة ترتطـم بجانـب القـارب، تهمـس وتهمـس، أميـل إلى الأمـام، أقـوم بجهـد صعـب و العـرق يتصبـب منـي. القطـع الـذي في يـدي يلسـعني، ولكننـي أتجاهلـه. هـذا شيء أنـا جيـدة فيـه بعـد عـشرتي مـع «أليكـس»، وأخـيرا أنـا بالقـرب مـن الجزيـرة، أخطـط لربـط القـارب في نفـس المـكان كالمعتـاد، النقطـة التـي رسى فيهـا «أليكـس» بالقـارب قبـل أن يذهـب هـو و»سـميلا» إلى مغامرتهـم، أفـكاري تـدور وتـدور. كل شيء يتشـابك الآن، يبـدو أنـه مـر وقـت كبـير عـلى وجـودي هنـا، ومـع ذلـك يبـدو أنهـا آخـر مـرة، أول الأشـياء التـي أراهـا هـي القـوارب، اثنـان مـن قـوارب التجديـف يتمايـلان في الميـاه بالقـرب مـن الجزيـرة، ولكـن عـلى الجانـب الآخـر حيـث كنـت أخطـط للذهـاب إلى الشـاطيء، في اللحظـة الأخـيرة لاحظـت المجموعـة التـي كانـوا متجمعـة، أجسـادهم متلاصقـة مثـل الظـلال الداكنـة مـن العشـب الطويـل بـين الأشـجار، في الحـال عرفـت مـن هـم، انزلـق القـارب للأمـام في حركـة بطيئـة وأخـيرة، ثـم توقـف في المـاء المسـحور. أكاد ألاحـظ أصواتهـم الجليـة أثنـاء حديثهـم، تتخللهـا ضحـكات أو سـعال. ثـم فجـأة صراخ مـدوٍ. قلبـي يتأرجـح،

لابـد أن أديـر القـارب وأعـود للبيـت، لا بـد أن أذهـب مـن هنـا قبـل أن يـروني ثانيـة، ولكننـي لم أفعـل، يبـدو أن ذراعـي و يـدي كانـت تتحـركان رغـما عنـي.

بحـذر بـدأت بالتجديـف مـرة أخـرى ناحيـة الجزيـرة، مـددت يـدي إلى الأمـام وأحنيـت ظهـري ممسـكة المجـداف، نبـضي يتزايـد مـع كل تجديفـة، الكلـمات التـي قالهـا هـذا الرجـل في البيـت البنـي الكبـير، مـازال صداهـا في ذهنـي. في بعـض الليـالي يقومـون بصخـب كبـير أسـفل المـاء، وأحيانـا أسـفل الجزيـرة، أحـاول أن أجعـل مسـافة بينـي وبينهـم قـدر المسـتطاع، وهـج كبـير يخـبرني أن الأطفـال صنعـوا شـعلة نـار. فكـرت في مواقـد النـار البدائيـة التـي اكتشـفتها عندمـا كنـت أبحـث في الجزيـرة، القنـاع، والفـرش الملـون. علـب البـيرة الفارغـة، وأعقـاب السـجائر، والواقـي الذكـري. والسـنجاب منـزوع الأحشـاء . أنـا قريبـة الآن، إذا ألقـى أي مـن هـؤلاء الأطفـال نظـرة، فسـيراني. سـمعت صرخـة أخـرى ولكـن هـذه المـرة كان الصـوت أعـلى و أكـثر حـدة، إنهـا صرخـة ألم و ذعـر، إنهـا تجرحنـي أنـا أيضـا، تذكـرني بفيضـان مـن الصـور، فيضـان عنيـف وصـارخ.

إنهـم يتدفقـون، يختلطـون مـع بعضهـم البعـض، ولا أسـتطيع فعـل شيء لإيقافهـم، صـوري أنـا «سـميلا» وتلـك الفتـاه ذات الشـعر الطويـل، صـور لأيـدي تتبايـن بـين الحنـان والقسـوة وصـور لأشـياء حـادة بـلا رحمـة وناعمـة بشـكل غـادر، الأيـادي والأشـياء التـي تسـبب الإخضـاع و الألم.

صرخـت! توقفـوا أرجوكـم ! توقفـوا، أقـف عـلى قدمـي داخـل القـارب دون أن أعلـم كيـف حـدث هـذا. أحدهـم صـاح، أطفـال كثـيرون انبثقـوا مـن بـين العشـب وآخـرون ظهـروا مـن وراء الشـجيرات. الأن أعـرف كـم عددهـم، في الوسـط يلـوح شـخصاً، يداهـا عـلى وركيـه، أنـه لا يتحـرك، يخفـي وجهـه في الظـل، ولكنـي أعـرف أنـه يحـدق في، أخـذت كل اهتمامـه، قلـت أيـن هـي؟

صـوتي كان أجـش لدرجـه أنـه لا ينطـق الـكلام بشـكل صحيـح. إنـه الشـاب

ذو اللحيـة والشـعر المضفـور لا يـرد، ربمـا لم يسـمع سـؤالي، أو ربمـا سـمع ولم يهتـم. فجـأة وبشـكل غـير متوقـع وجـدت نفـسي عـلى وشـك البـكاء، صرخـت مـرة أخـرى « أرجـوك » كنـت أقاتـل لمنـع صـوتي مـن الانهيـار، «لا تصيبهـا بسـوء»، اسـتدار الصبـي لأحـد الأطفـال الـذي يقـف بجانبـه، سـمعته يتحـدث معـه بصـوت منخفـض، ولكننـي لم أتيقـن مـن الـكلام، أي كان مـا قالـه فبالتأكيـد كان عبـارة عـن كلام سـخيف وضحـك سريـع أجـش، ذراع يتمـوج في الهـواء في اللحظـة التاليـة شيء مـا يتأرجـح أمامـي، و يهبـط في المـاء بوميـض بجانـب القـارب. صخـرة. ثـم واحـدة أخـرى.

هـذه المـرة أصـاب مقدمـة القـارب، عينـي تتنقـل مـن طفـل لأخـر تبحـث عـن وجـه لفتـاة. أعـرف أنهـا هنـا في مـكان مـا، عـلى أن أنقذهـا! فجـاءة انهمـرت الصخـور عـلى مـن كل جانـب، و كان عـلى أن أحمـي نفـسي، رأيـت هيئتـين مظلمتـين تتجهـان إلى قـاربي، وأدركـت أننـي لم يعـد لـدي أي خيـار، يـدي تتحـرك بسرعـة، ومحـرك الموتـور يصنـع هديـرة، تحركـت بعيـدا عـن الجزيـرة، في اتجـاه الرجـوع.

«ابتعـدي بعيـدا عـن هنـا. وإلا سـوف يحـدث لـكِ كـما حـدث لـــ....». الـذي حدث لـــ.....

لم أسـتمع لباقـي التهديـد الـذي كان يلهـث ورائي، في تلـك اللحظـة شيء قـوي وحـاد ارتطـم بكتفـي، كان الألم حارقـا ويجعـل الألم في جسـدي مضاعفـا، زدت مـن السرعـة، ونبضـات قلبـي تـدق في طبلـة أذني كالمطرقـة. ولكـن أخـيرا وصلـت إلى الرصيـف، ربطـت القـارب ووقفـت عـلى سـاقين متذبذبتـين بالـكاد تقـدران عـلى حمـلي، إلا أنهـا غاصـت مـرة ثانيـة، حدقـت في الصخـرة الموجـودة في قـاع القـارب حافتيهـا حاديـن وكبيريـن، لـو أنهـا ارتطمـت بـرأسي... إذا كانـت هـذه هـي نيتهـم.... الرعشـة تتمـدد عـبر رأسي، مـا يجـب عـليّ فعلـه هـو العـودة

إلى المقصورة، وأغلق الباب، وأختبيء، لا يبدو أن هناك أحدا يلاحقني، ولكن إذا جاء هؤلاء الأطفال ووجدوني هنا، أنا أرفض أن يتملكني الخوف، إذن، هل انتهى الأمر؟ هذا ما يدور في ذهني الآن. هل فعلا هذه هي النهاية؟ في اللحظة التالية كانت هناك فكرة أخرى تقحم نفسها، لمست معدتي بطريقة لا إرادية، ربما لحماية الحياة التي تنمو بداخلي. منذ حوالي إسبوعين تركت عيادة الطبيب وكلمات الطبيب ما تزال ترن في أذني. أتذكر فكرتي بالضبط: لم يكن الحال هكذا حين كنت حُبلى في «سميلا»، إنه شيء مختلف، شيء جديد تماما، العواطف تزداد بداخلي. الغبطة. الشعور بالذنب. والرهبة.

لم أخبر «أليكس». ولا حتى عندما وصلنا إلى بحيرة الخُبث. كنا نتناول العشاء، و قلت له لا للنبيذ، ثم نظرت له نظرة ذات مغزى، ظل يحدق في وجهي لفترة طويلة، كان وجهه غير عاطفي، «أنا أفهم» قالها أخيرا ومسك يدي.

كان تعبيره شديد النعومة في تلك اللحظة، لذا فكرت ربما، فقط ربما تنجح، ربما لو لم أفعل .

هل قمتِ بتحديد موعد؟ كانت نبرة صوته تجعلني أدرك ما كان يقصده في الحال. إنه لم يكن يتكلم عن ميعاد الولادة و لكن الإجهاض.

أليكس يريدني أن أتخلص من طفلنا، أحنيت رأسي وبلعت الطعام بدون مضغ، قلت له :» ليس بعد، ولكني سأفعل، بمجرد أن نعود. ابتسم «أليكس» وقبلني ثم غير الموضوع، وأحضر لنفسه المزيد من الطعام. بعد العشاء، تكلم معي فيما يريد، وأخذني إلى غرفة النوم، قفلنا الباب وراءنا. في وقت متأخر من هذه الليلة، استيقظت، وكان جسدي يؤلمني لدرجة إنني لم أستطع النوم، كل أعصابي وعضلاتي تؤلمني.

رأيت «أليكس» يحمل «سميلا» و يضعها في الغرفة المجاورة لنا، وعلى الرغم من أنني كنت مستيقظة و مدركة، إلا أنني لم أنهض وأذهب إليهم، وعندما تسلل عائدا إلى السرير تظاهرت أنني نائمة، ولكن في ذلك الوقت كنت قد اتخذت قراري بالفعل.

***

لمست بشرتي بحذر، ثم دفنت وجهي بين يدي وانحنيت إلى الأمام، بعد فترة تركت يدي تقع حيثما شاءت، ونظرت على الحافة العُليا من جانب المركب وأمعنت النظر إلى ماء البحيرة الملتف حول جانب القارب، في ظلام البحيرة الذي لا يمكن اختراقه، حتى هنا بالقرب من الشاطيء لا يمكن أن أرى القاع .

إن التحديق في بحيرة الخبث يشبه الانجرار إلى ثُقب أسود، دوامة كبيرة، تحركت عبر النفق إلى أن وجدت ضوءًا دائريا عند الطرف الآخر، وهناك في وسط الضوء، تظهر ملامح وجه رجل، خرج من بين شفتاي اسم «أليكس».

أميل إلى الأمام، أقرب إلي الماء، أقرب إلى الصورة، إلى أن أدركت أنه ليس نفقا، و لكنه بئر ومن أعماقه أحدق في «أليكس» الذي ينظر إلى إلحافه وراءه، ألمح ظلا لشخص ما يتسلل وراءه، الشخص الذي سوف يختفي قريباً، يدان ترتفعان، وراحتي اليد تندفع في الهواء وتضرب «أليكس» بنصل في الكتف.

بدلا من أن يستدير ويرى من يهاجمه، انغمس في الحافة وهبط عموديا نحو قاع البئر ونحوي أنا؟.

أنا لم أعد هناك، أنا الآن بالأعلى، أقف في نفس المكان الذي كان يقف عليه «أليكس» أميل إلى الأمام، أملت رأسي في اتجاه واحد، أغمضت عيني

نصف إغماضة، كما لو كنت أبحث عن شخص قد اختفى، بعدها تأملت يداي، أزيح خيط من سترة «أليكس» تعلقت على وجهي، وشعرت بألم طفيف في راحة يدي في نفس المكان، شعرت أن جسدي ثقيل و متذبذب، وأنا أهرب من القارب. إنها تهتز بشكل تحت قدمي بشكل مرعب، ولكنني أقف مرة أخري على الرصيف. بينما أذهب إلى الشاطيء، أبقيت عيني ثابتة للأمام، لا تتزعزع، لم أسمح لنظري أن ينتقل حتى ولو لثانية واحدة نحو تموجات الماء، أخشى أن أفقد نفسي مرة أخرى في عمق ظلام بحيرة الخبث، لا أستطيع التعامل مع أي رؤيا مشوهة. بينما أتعثر على الطريق المؤدي إلى الكابينة، كنت ممتلئة بنظرة تشائمية.

ما هي تلك الصور التي استحضرها دماغي؟ يدي تدفع «أليكس»، تدفعه إلى البئر بقوة.

إنها مجرد تخيلات بالطبع، وسواس قهري، ومع ذلك يبدو كل شيء وكأنه حقيقي، مثل ذكريات مكبوتة. رجعت إلى الوراء عندما كنت أنظر إلى «أليكس و سميلا» كانا يلعبان على الجزيرة، هل فقدت الإحساس بالوقت، كم دقيقة مرت إلى أن استعدت حواسي؟ هل كانت دقائق أم أكثر بكثير؟ وما الذي حدث أثناء هذا الوقت؟ لم تكن تلك التفاصيل محددة من قبل، و لكن الأن أشعر بالبرد، شاهدت الكابينة وبدأت أركض نحوها، جسدي يشتكي من التعب والضعف و الإرهاق، ولكنني أتجاهل كل ذلك و استمر في الركض، أجري لأتجنب التفكير في الواقع الذي أنا فيه الآن.

أنا أعرف أن «أليكس وسميلا» قد ذهبا، بدون حتى أن أضطر إلى البحث عنهم، عندما وصلت إلى الباب أحسست بطعم الدم في فمي، أنا بالفعل أعرف. ولكن..كيف حدث هذا؟.

(21)

فتحت عيني، لازال ذلك الحلم يراودني، حلمت بشجيرة وتبرز من تحتها ساق باردة وشاحبة، كانت لفتاة في الرابعة من عمرها، لكنها كانت ساقا جافة ويابسة ولا تنبض بحياة، ساق لن تجري وتلعب كما كانت بعد الآن، أتلمس شيئا على الطاولة، وجدت فنجان قهوة فارغا، ألقيت فيه ما بداخلي، أنا لست محتاجة إلى حاوية كبيرة والفنجان قام بواجبه، وجهي كان مبللا عندما تدحرجت على الفراش، هذه المرة لن أنزعج أن أمدد يدي لأنني أعرف تماما، أنه لا يوجد أحد بجانبي.

الأرقام على المنبه توهج على نحو ضعيف، إنه منتصف الليل، الغرفة مظلمة من جميع الجوانب، ظلام يواجهني في كل شيء، أمسح خدي بجزء من اللحاف، وأدير لساني على أسناني الأمامية، ألاحظ طعم الحموضة في فمي، استلقيت لفترة من الوقت، أحدق في السقف، بعض الأفكار التافهة تتدفق في عقلي، الواحدة تلو الأخرى، واحدة منها ظلت لمدة أطول من الآخرين، أنا وحيدة، أنا وحيدة بشكل رهيب وقاسي. خلعت قميص نومي ووضعته جانباً، لأضع يدي على جلد بطني العارية، شيء يزعجني لكني أدركت أنه ليس الجنين الذي يتحرك .

مجرد مغص عادي من أثر الجوع، لا أستطيع أن أتذكر آخر مرة أكلت فيها كثيرا، مددت يدي لتشغيل نور السرير، عندما تكيّفت عيناي على

الرؤيـة، رأيـت الخطـوط السـوداء عـلى حافـة اللحـاف الـذي اعتـدت أن أمسـح فيـه دموعـي، لمسـت رمـوشي الصناعيـة، وهـي التـي أكـدت شـكوكي، مـاذا فعلـت الليلـة الماضيـة؟ يبـدو أنهـا لم تتضمـن الأكل أو الغسـيل، عـلى مـا يبـدو.

عبثـا حاولـت التذكـر، ولكـن دون جـدوى. آخـر شيء أتذكـره هـو الخـروج إلى الجزيـرة، رؤيـة الأطفـال، والرجـوع مـرة أخـرى إلى الكابينـة. كل شيء بعـد ذلـك يشـبه الضبـاب. جلسـت عـلى فـراشي بجهـد، وأحسسـت بحرقـة، «أسـبوعك التاسـع»، سـمعتها مـن الطبيـب، «أنـتِ في الأسـبوع التاسـع»، هـل فعـلا؟ ليـس لـدي أي فكـرة.

نمـت كثـيراً، وأرهقـت بالفعـل، نعـم ربمـا دخلـت لأنـام بسـبب كلام الطبيـب عـن الإرهـاق والارتيـاح، لقـد فككـت رمـوز هـذا اللغـز، يجـب عـلي أن أنـم مـرة أخـرى، ولكنـي أخـاف الكابـوس، سـيأتي مـرة أخـرى، وبـدلا مـن ذلـك قمـت إلى المطبـخ لتنـاول كوبـا مـن المـاء، ثـم إلى الحـمام لأتبـول، رششـت المـاء عـلى عينـي وخديـي، ورحـت أمعـن النظـر في المـرآة، كنـت كأنمـا سـبقت عمـري بكثـير، وكأننـي أنظـر إلى أمـي، رجعـت إلى الـوراء، ولاحظـت تلـك الطبقـة الداكنة عـلى رقبتـي. وضعـت يـدي عليهـا، وابتعـدت، لاأريـد النظـر مـرة أخـرى، كـم نحـن متشـابهين أنـا وأمـي؟ يمكـن أن يكـون الوجـه هـذا لهـا، وليـس لي، مـاذا كانـت سـتفعل أمـي إن حـدث معهـا هـذا، جلسـت عـلى غطـاء المرحـاض، أمـي.. اتصلـت أكـثر مـن مـرة ولكـن عندمـا رأيـت رقـما يـضيء عـلى الشاشـة لم أرد. مـا الـذي سـنقوله لبعضنـا، لا شيء، ربمـا شـعرت أمـي بمـا أحـس بـه في يـوم مـن الأيـام.

لم تترك والدتي أي رسائل، بغض النظر عن مكالماتها المتقطعة، إلا أنني لم أتلق منها أي اتصالات خلال الأيام الماضية، أميل إلى الأمام، ألف ذراعي حول نفسي، وحيدة دائما، أجبرت نفسي على رفع ذقني، لماذا يتصل بي أحد بعد كل هذا؟ أنا في أجازة والمفترض أن يسأل عليّ أحدهم.

أنا لم أطلب ذلك من أى شخص باستثناء «أليكس»، على الرغم من أنني قلت لنفسي مراراً وتكراراً أنه لا جدوى من الاتصال به، ولكني أظل أحاول. ولا أتوقع منه رد. لقد قبلت بشكل أو بآخر حقيقة أنه لن يرد على مكالماتي أبداً. إن هاتفه في مكان لا يمكن لأحد سماعه.

تركت الحمام ومشيت على أطراف أصابعي في الظلام، وكأنني لص، أنا لا أنتمي إلى هنا، كما لو أن الجدران دبّت فيها الحياة ومالت على قلق، قلق أو بشكل آخر.. عدائية.

اقتربت من غرفة المعيشة، تبدو مختلقة في الضوء الخافت مع شيء من ظلال، وكأنها تترصدني الأشكال المظلمة تتجمع في الأركان، بسرعة أذهب إلى مفتاح النور، و الغرفة سبحت في بحر من نور، الظلال تأخذ شكل الأثاث، نفس الأريكة المترهلة، طاولة القهوة المنخفضة، و الكراسي غير المتشابهة كالمعتاد.

أرى صورة غرفتي منعكسة على زجاج النوافذ الكبيرة المواجهة للرصيف، يمكنني عمل لوحات تجريدية في السقف وفي وسط الغرفة. أرى نفسي، صورة ضبابية ترتدي ثوب النوم الأبيض، وبقعتان مظلمتان يفترض أن يكونا عينين.

أستطيع أن أقول إنها امرأة، لكنها أكثر نحافة مني، ورغم أنني أقف في النور إلا أنها مغلفة بالظلام. أحدق في وجهها لأدرك من هي، أنها أنا،

نسـخة بريئـة أصغـر منـي، إنهـا الفتـاة التـي جلسـت في القـارب بينـما اختفـى «أليكـس»، المـرأة الشـابة التـي كانـت قبـل «أليكـس».

وعندهـا اسـتيقظ ذهنـي، وقـال لي انظـري حولـك. الأثـاث، اللوحـات، والحجـرة كلهـا مضـاءة. و أنـا أيضـا. ولكـن المـرأة الأخـرى كانت في هيئـة مظلمة، ربمـا لأنهـا لا تقـف تحـت الضـوء، إنهـا ليسـت موجـودة في غرفـة المعيشـة، إنهـا تقـف في الخـارج عـلى الرصيـف و تنظـر إلى.

(22)

كنت دائما في موقف المتفرج، الشخص الذي يقف خارجا وينظر إليّ، الذي يتصنت على ماما وهي تصرخ لـ«روث» في الهاتف، الذي استمع في خلسة لماما وبابا وهما يتشاجران. و لكن في الليلة الماضية أصبحت من المشاركين، بدلا من العودة إلى غرفتي الخاصة، ذهبت إلى غرفة والدي، كنت مُساقة بواسطة قوة أكبر من أي خبرة اكتسبتها في حياتي.

أنا أعرف ما فعلته لـ«جريتا». تضرب ابنتك؟ كيف تستطيع فعل ذلك؟ حملني الاتهام الذي ألقته أمي إلى الحدث الذي حاولت جاهدة وأده. لقد قيل لي لا تتحدثي في هذا الأمر، الآن أصبحت سلاحا في المعركه بين أبي وأمي، «مولى» كانت ملقاة على الأرض، كانا لايزالان يتجادلان، المعركة الآن تدور حول شيء آخر شخص أخر، هناك سرعة تحول في أبي وأمي، السخيف أنهما تركا آلامي وصدمتي.

بينما أقف في الردهة استولت العاطفي على أنحائي، لا توجد سوى كلمة واحدة لذلك. كنت غاضبة، استغرق الأمر بعض الوقت إلى أن لاحظاني، أو بالأحرى عندما لاحظاني كان قد فات الآوان بالفعل، كان بابا مشغولا للغاية في قول الحقائق في وجه ماما، إلى أن ابتعدت أمي جزئيا، رأيت وجهها المتحجر يذوب حتى لم يتبقى منه سوى فم مفتوح وعينان خائبة الأمل. استمر أبي يقذف المزيد من كلامه المسموم. وقفت هناك، أحدق النظر

فيهم، وفي تلك اللحظة، شيء ما حدث، شيء غيّر من نظرتي للعالم، الرجل الذي كان يجلب لي هدايا ويلعب معي، الذي قال لي عندما كان يتناول إفطاره في المطبخ أنني كنت حلوة. كان هذا الأب ما يزال هناك في مكان ما تحت أكوام من الحقارة و الكذب و الخيانة، الرجل الذي كان يجلس على حافة النافذة كان شخص آخر، رجل قاس، رجل يعذب أمي، جعل من حياتها جحيم، وعندما فكرت في تلك الصفعة، كان لدي شعورا داخلياً مختلفا، تقدمت خطوة إلي الأمام و شاركت أبي و أمي لعبتهم، من الذي قام بالخطوة الأولى؟ من فعل ماذا، بعد ذلك جلست في حجرتي، وانتظرت، وكأنني كنت مخدرة من الصدمة والخجل.

جاء المسعفين وذهبوا، وقبل مغادرتهم، سمعتهم يقولون لماما أنه سيكون من الجيد إذا طلبت من شخص ما أن يجيء ويظل معها، وأنهم على استعداد و بكل سرور أن يطلبوا هذا الشخص. لم أكن في حاجة لسماع رد أمي لأعرف ما ستقوله.

لا يوجد أحد للاتصال به، لا أحد. أغلق رجال الشرطة الباب خلفهم، و تركوني أنا وأمي وحدنا، وبعدها لم تعد والدتي تبكي ولكن ظلت في غرفتها، ربما ظنوا أنها ستعتني بي عندما يرحلون، ولكنها لم تفعل، جلست وحدي. دام الظلام طويلاً، في الخارج إضاءة ثم ظلام مرة ثانية و فجأة، كانت «روث» واقفة على عتبة الباب قالت لي بضع كلمات، لا أستطيع أن أتذكرها بالضبط. ثم ذهبت لتقف أمام الباب المغلق للحجرة حيث تجلس أمي.

رأيتها ترجع إلى الوراء وتأخذ نفسًا عميقًا، ثم دقت على الباب، لم أستطع سماع ما قالوه لبعضهن البعض، ولكن بعد فترة، عادت «روث» شاحبة الوجه مثل شبح، ركضت من أمام غرفتي، ونظرت إليّ نظرة مخيفة، واختفت. كانت تلك هي المرة الأخيرة التي أراها، بعد فترة وجيزة ظهرت

أمـي تتـكيء عـلى البـاب، أخـيراً. إنهـا معـي مـرة أخـرى تتحـرك بتصلـب، اقتربـت أكـثر واحتضنتنـي، أغمضـت عينـي. كنـا نتحـدث مـع بعضنـا البعـض عن الشـعور بالذنـب والنـدم، عـن المسـؤلية والمصالحة.حـول العدالـة وعـن العقـاب.

كنـت خائفـة وأبـكي، وفي نفـس الوقـت فهمـت أنـه لا شيء يمكـن تجنبـه. لم يكـن هنـاك طريقـة أخـرى. «لقـد انتهـى كل شيء» سـوف نـترك هـذا المـكان، كلانـا. و سـوف نكـون معـا يمكنـك الاعتـماد عـليّ.

هكـذا همسـت أمـي لي. انتظـرت، ثـم رفعـت رأسي ونظـرت في عينـي أمـي. كانـت تعبيراتهـا غريبـة، كانـت كئيبـة جـدا، ولم تقـل شـيئا آخـر، ولم تنتظـر منـي ردا، مـا حـدث سـوف يكـون سر يخصهـا و يخصنـي. لـن يكـون هنـاك أي طلـب للغفـران، بهـدوء رفعـت أمـي يدهـا وطوقـت عنقـي .حدقـت فيهـا، إنهـا مليئـة بالعواطـف المعكوسـة، عرفـت هـذا منـذ زمـن، كنـت في الثامنـة مـن عمـري، أصغـر مـن أن يكـون لـدي أي خيـار. ومـع ذلـك اخـترت. وضعـت يـدي في يـد أمـي منـذ هـذة اللحظـة، أصبحنـا فقـط نحـن الاثنـان ويجـب علينـا أن نتحمـل معـا كـما تقـول أمـي. مهـما كان الثمـن سـوف نتحمـل معـاً.

(23)

الشمس تغطيها غلالة ناعمة من سحب، وضباب خفيف يحوم حول «مارهِم»، ألقي نظرة جيدة قبل الخروج إلى الساحة. العشب رطب جدا. من المؤكد أنها أمطرت ليلًا. من غير المجدي البحث عن أثر، و لكن هذا ما كنت أفعله كل مرة، أمضغ بعض رقائق البسكويت القديمة لأمنع القيء، بينما أتحرك حول المباني، عيني تبحث في العشب الأخضر، ويبدو الأمر كما لو كنت أشاهد نفسي، أدهشني أنني أستطيع التصرف بهدوء، مع كل الأشياء التي حدثت خلال الأيام القليلة الماضية.

جزء مني يعتقد أن عقلي المتوتر يمكن أن يكون قد أساء تفسير ما رأيته الليلة الماضية، تحدث هذة الأشياء عندما يكون الشخص تحت ضغط، وما رأيته خارج نافذه غرفة المعيشة، ربما يكون غزالا أو حتى ظل شجرة، لكن جزءاً آخر من عقلي يعرف تحديدا ما رأيت. أو من رأيت. وهذا ما يجعلني أشعر بالارتياح بدل الخوف.

أقوم بإعادة ترتيب مكياجي، أضع الكثير من البودرة على الجزء الداكن في رقبتي، وأَهِم بأكل نصف طبق زبادي. قطعت ورقة وكتبت قائمة بما أحتاجه من البقال. الحليب والفاكهة والخبز. وضعت القلم جانبا وبدأت في النظر في الكلمات التافهة على الصفحة. إذا كنت أخطط لشراء الطعام، إذا فأنا أنوي أن أظل هنا .

كل شيء عـلى مايـرام، أعتقـد فعـلا أن كل شيء عـلى مـا يـرام، أشـعر بـشيء يتحـرك بداخـلي. شيء عـلى وشـك الحـدوث، وينتابنـي إحسـاس بـأني أريـد حـك جسـدي، حكـة حتـى أزيـل تلـك القـشرة القديمـة وانسـلخ منهـا، لكنـي أبعـدت هـذا التفكـير عـن رأسي، انتقلـت نظـراتي إلى عرائـس «سـميلا» البـاربي التـي لاتـزال ملقـاة عـلى أرضيـة المطبـخ، لاحظـت أن إحـدى العرائـس الشـقراء ملقـاة عـلى وجـه الدميـة «كـين»، تغطـي أنفـه و فمـه بجسـمها. ذراعيـه ممـدودة كـما لـو أنهـما يطـيران في الهـواء، أغمضـت عينـي للحظـة أخـذت نفسـا عميقـا، وفكـرت في «سـميلا» ورجـع إليّ ذلـك الشـعور بالذنـب مـرة أخـرى، لا أسـتطيع التخلـص منـه بسـهولة، أحـاول أن اسـتجمع قـواي، وقفـت وألقيـت نظـرة أخـرى عـلى عرائـس «سـميلا»، و ببـطء ذهبـت إلى غرفـة المعيشـة، ومـن خـلال النافـذة المواجهـة للفنـاء وقفـت، اقتربـت جـدا حتـى أن أنفـي لامـس جـزء مـن النافـذة، لفـترة طويلـة ظللـت واقفـة أنظـر في المـكان الـذي تقـف فيـه الشـخصية المظلمـة، رنوت إلى أن أصبحـت رؤيتـي مشوشـة، مثـل اليـوم الآخـر عندمـا وقفـت أمـام مـرآة القاعـة، فجـأة رأيـت وجهـا آخـر، وجـه ينظـر إلى، عينـاي في عينـاه، وكلانـا يحـدق في الآخـر، في هـذا الظـلام الـذي نتقاسـمه، إنهـا أنـا.

قبـل أن أتـرك الكابينـة، وذهبـت لإعـادة مـلء وعـاء القـط ولكننـي توقفـت. أيـن «تيريث»؟

إنـه لم ينـم معـي في الفـراش الليلـة الماضيـة. في الحقيقـة لم أره منـذ الصبـاح، لم أسـمع صوتـه المؤنـس كالمعتـاد، نظـرت في غرفـة المعيشـة ولكننـي لم أرى كـرة الفـرو المجعـد الملفـوف عـلى الأريكـة، وتذكـرت أننـى وضعتهـا لـه في الخـارج. متـى كان ذلـك ؟.

لم أسـتطيع تذكـر الوقـت بالضبـط مـن اليـوم، السـاعات مبعـثرة، كلـما ضغطـت عـلى نفـسي أكـثر لترتيبهـم كلـما أصبحـوا أكـثر غموضـا.

مـن المسـتحيل في ذلـك الوقـت العثـور عـلى أي آثـار أو علامـات عـلى الطريـق الخارجـي، والأمطـار تكفلـت بتمويههـا، ويأخـذني التخيـل في أن أحدهـم قـد صنـع بأصابعـه لوحـة عـلى السـماء، أتمنـى لو أسـتطيع أخـذ السـيارة، ولكن هذا مسـتحيل.

إلى أيـن أنـا ذاهبـة. طريـق الغابـة حـول البحـيرة ضيـق جـدا في بعـض الأماكـن، إلى جانـب كونـه شـديد الوعـرة. وظهـري ورجـلي يؤلمـاني، لذلـك المـشي لـن يكـون حـلا أيضـا. هنـاك كـوخ متهـدم وراء الكابينـة. رجعـت إليهـا، ووجـدت أشـياء كان مـن المفـترض أن يتخلـص منهـا "أليكـس"، رشـاش للحديقـة، إطـار مـن البلاسـتيك ينتفـخ ليصبـح مسـبحا للأطفـال، وقـد بهـت مـن الشـمس، مجـداف وحيـد، دراجـة قديمـة مائلـة عـلى الجـدار، انحنيـت لأختـبر إطاراتهـا، يبـدو أن بها مـا يكفـي مـن الهـواء، لـذا دفعتهـا للخـارج، ركبتهـا وبـدأت أبـدل، مـررت مـن أمـام نفـس الكبائـن المهجـورة، نفـس أثـاث الفنـاء المهمـل الـذي رأيتـه بالأمـس، الدراجـة تـصرصر كلـما أوشـكت عـلى بلـوغ هـدفي ارتجـف، في الواقـع أنـا لا أعـرف مـاذا سـوف يحـدث، و لكـن عندمـا وصلـت إلى المـكان حيـث التقيـت هـؤلاء الأطفـال، لم يكـن هنـاك أحـد، أنـا ببسـاطة أقـف مكتوفـة الأيـدي، أفكـر مـاذا سـأفعل بعـد ذلـك. كل حـواسي في حالـة اسـتعداد، ولكـن الـشيء الوحيـد الـذي أسـمعه هـو هديـر عـلى الجانـب الأخـر مـن الأشـجار الطويلـة الممتلئـة التـي تحيـط بالبحـيرة، حيـث يوجـد الطريـق السريـع المـؤدي إلى المدينـة. يـكاد يكـون مـن المسـتحيل تصديـق هـذا الموقـع، الـذي يبـدو بعيـداً جـداً عـن كل مـا يسـمى بالحضـارة.

ركنـت الدراجـة عـلى جـذع شـجرة و بحـذر اتجهـت إلى الحفـرة حيـث رأيـت الفتـاة أمـس، وعـلى الرغـم مـن كـوني حـذرة، إلا أن الرطوبـة تسربـت بسرعـة مـن خـلال حـذائي الريـاضي. مازالـت أحذيتـي وصنـادلي في الكابينـة.

التـي شـيرت الـذي أرتديـه قديـم و باهـت، «مارهِـم» تنهكنـي ببـطء،

تجـردني مـن كل شيء، بعـد وقـت قريـب لـن يكـون هنـاك مـا أفعلـه سـوى أن أحـضر المسـاحيق وأضعهـا عـلى وجهـي بشـكل روتينـي، العـادات سـتتغير الطقـوس سـتتبدل، كل شيء.

وأخـيراً وصلـت إلى البحـيرة، هـذا هـو المـكان الـذي كان يقـف فيـه الصبيـة قبـل أن ألاحـظ الفتـاة، قبـل أن يسرعـوا ويحيطـون بي عـلى الطريـق. أنـا أرتجف، ولكـن بعـد ذلـك نظفـت ذاكـرتي، لـن أسـمح لتلـك الذاكـرة أن توقفنـي، وعـلى بعـد مسـافة صغـيرة، عـلى حافـة الميـاه، كان هنـاك قاربـين للتجديـف، هـل كانـت راسـية منـذ الأمـس، في الوقـت الـذي اعتـاد الأطفـال فيـه عـلى التجديـف وتركهـا هنـاك؟، رأيـت شـيئاً يتحـرك، ألقيـت نظـرة في محاولـة لتبـين ذلـك الـذي غـاب بـين الأشـجار، أغمضـت عينـي و فتحتهـا مـرة أخـرى.كان قـد اختفـى.

صـدري مكتـوم، لا يجـب أن أكـون هنـا حقيقـة. ومـع ذلـك أرفـض المغـادرة. أقـترب أكـثر حتـى أكـون بجانـب القـوارب، أحدهـما زورق خشـبي قديـم مسـطح القـاع و الثـاني جديـد مصنـوع مـن البلاسـتيك و الـ«فيبرجـلاس»، لابـد أنهـا كانـت بيضـاء وتحولـت مقدمـة القـارب إلى الرمـادي القـذر، الخطـوط المخدوشـة المرسـومة عـلى الجوانـب تبـدو وكأنهـا كانـت في الأصـل زرقـاء داكنـة. شيء مـا يسـحبنى أكـثر، دققـت النظـر في الحافـة العليـا مـن جانـب القـارب .الجـزء السـفلي منـه مملـوء بالمـاء، ربمـا مـن هطـول الأمطـار ليلـة أمـس، لكـن المـاء غـير واضـح. لكـن مـن أيـن أتى هـذا اللـون الأحمـر؟. أسـفل المقعـد في المؤخـرة كانـت هنـاك كتلـة متجلطـة وملطخـة باللـون الأحمـر الداكـن، كـما لـو أنـه جنـين مجهـض، تراجعـت إلى الـوراء و اصطدمـتُ بشـجرة، إلا أنهـا ليسـت شـجرة، إنـه شـخص اسـتدرت، وهنـا وجهـا لوجـه وقفنـا متواجهـين.

«كان لـدي شـعور أنـكِ سـوف تأتـين مـرة أخـرى». و لكـن كان يجـب أن تكـون هـذه آخـر مـرة

(24)

غمـرني شـعور بالارتيـاح، نفـس الشـعور الـذي شـعرت بـه عندمـا رأيـت الصـورة المظلمـة عـلى العشـب خـارج الكابينـة الليلـة الماضيـة. أنـتِ عـلى قيـد الحيـاة. لم تكـن أنـت الشـخص الـذي كان يـصرخ عـلى الجزيـرة أمـس، لم تكـن الشـخص الـذي أصابـوه بعـد ذلـك. أعطتنـي دفعـة في صـدري وتعـثرت إلى الـوراء، دققـت النظـر فيهـا، إلى قبضاتهـا المضمومـة والأشـجار التـي خلفهـا، هـل كانـت الفتـاة تقـرأ مـا في عقـلي حـين قالـت: «أنـا وحـدي، لكنـك لـن تكـوني محظوظـة في المـرة القادمـة. لـو أنـك تتمتعـين بقـدر مـن الـذكاء، سـوف تبعديـن عـن هنـا، لا تعـودي مـرة ثانيـة، اتركينـا وشـأننا .

هنـاك شيء في صوتهـا لا يجعـل تهديدهـا حقيقيـا، كـما لـو أنهـا تريـد حمايتـي فقـط، بـدأت نبضـات قلبـي في الانخفـاض ببـطء، لـدي سـبب لوجـودي هنـا. و لكـن أولا أريـد ان أكسـب ثقتهـا، أظهـر لهـا إننـي أخذهـا بمحمـل الجـد. مـا الـذي تحاولـين تحذيـري منـه؟ مـاذا يمكـن أن يحـدث؟

قالـت بصـوت متذمـر» أنـتِ لا تريديـن العبـث مـع «جورمـا». كان عليـكِ أن تـدركِ هـذا، أزحـت بعـض خصـلات الشـعر المبعـثرة عـلى وجهـي، وتأملتهـا بعنايـة أكـثر، وتسـاءلت كـم يكـون عمرهـا يـا تـرى. تحـت ملبـس الرجـل الـذي ترتديـه، لا أسـتطيع أن أرى حتـى انتفاخـاً طفيفـاً للثديـين.

ولكن هذا لا يدعو للاستغراب، بالنظر إلى كم هي نحيفة.

«جورما» هل هذا اسم حبيبك؟ كانت خدودها ملطخة بأحمر خدود.

إنه ليس..... ليس بالتحديد ..

أتساءل كيف لو يعاشرون بعضهم البعض، بعدها أومأت برأسي، بالطبع هم يقومون بذلك. أسمع صوت يأتي من بين الأشجار، أكاد أن أتجمد، ولكن لم يأت «جورما» نحونا، ليس بعد، أبتلع ريقي بصعوبة، أتوقع أن «جورما» أو أحد الأطفال سيظهر، أتعجل شرح سبب مجيئي هنا الأن، « لا يجب أن تقحمي نفسك في هذا. كلامي جعلها تشعر بالاندهاش، شاهدتها عينيها تبرقان، قالت: «ماذا.... ماذا تعني؟» تظاهرت أنها لم تفهمني، تفتح عينيها اتساعا، ورحت أنا أيضا أحدق في عينيها، ربما لا يمكنها المساعدة، لكني أرى إجابتها. أرى الحقيقة، خطوت نحوها لأكون أقرب إليها، و أهملت رغبة في الوصول إليها تماما، وإمساك يديها.

ما اسمك؟ قالت في النهاية.

«جريتا» واستجمعت شجاعتي وتابعت الكلام .

استمعي لي الآن، «جريتا» إذا كان يعاملك معاملة سيئة لا تدعيه يفلت بفعلته، عليكِ أن تنتقمي وتحرري نفسك.

ورأيت القلق واضحا في عينيها على إثر كلامي، وكادت أن تبدأ وتقول أنا لست كذلك، ولكني كنت غير صبورة لدرجة أنني لم أدعها تنهي ما بدأت تقوله.

ليس لدي وقت لأعذار، يمكنك أن تقولي ما تشاءين، ولكن في داخل قلبك أنت تعرفين أنكِ تبحثين عن مخرج. أنتِ تبحثين عن شخص يستطيع مساعدتك، لذلك أنتِ جئتي إلى كابينتي، هذا هو السبب في أنك وقفتي في الفناء خارج النافذة الليلة الماضية. لأنك تعرفين أنني مثلك.

لاحظت على الفور أنني ارتكبت خطأ، لقد ذهبت بعيدا جدا، حتى الآن، الفتاة تكاد أن تتحرك و هي تستمع، ولكن تلون وجهها، ردت و هي تزمجر «هذا ليس هو السبب». على نحو ما اتخذت الأمور منعطفاً خاطئاً. لقد تكلمت كثيرا أو قلت شيئاً خاطئا، لقد تلاشت العلاقة الهشة التي بيننا، ولكنني لا أستطيع أن أوقف نفسي، أنا مازلت مقتنعة بفكرة أن لدينا قواسم مشتركة، وأنها بالفعل تحتاجني.

قلت لها« أنا بجانبك» ألا تدركين ذلك؟ كلنا لدينا الكثير.

«بحق الجحيم من تظنين نفسك، نحن لسنا على نفس الجانب»، صاحت في بصوت عالٍ جدا لدرجة أنني التزمت الصمت و تراجعت خطوة إلى الوراء، للحظة رأيت وجهها متجهما بقوة، و لكن اختفى ذلك التجهم بعد ذلك، واستبدلت صورة وجهها بقناع صعب وقاس لا يمكن اختراقه. هي تبدو بعيدة. ذراعها ينطلق إلى الأمام مستقيم و مشدود، ويبدو عليها الاضطراب وهي تشير إلى شيء خلفي «جورما» «يعرف الآن! يعرف أنكِ الشخص الذي فعلها!»

استدرت لأرى ما الذي تشير إليه، في اتجاه القوارب. عيناي محدقتان على الكتلة الملطخة و الدم في قاع القارب الجديد، برد ينتشر في أنحاء جسدي، قلت بصوت أجش ماذا فعلت؟

نحن نعرف أنكِ كنتِ في الجزيرة، نحن الوحيدين الذين يذهبون إلى هناك. لذلك يجب أن تكوني أنتِ.

لم أجد ما أقوله لأرد عليها، أنا أقف هناك، وأشعر كيف تتسرب مني قوتي وثقتي بذاتي، وضعت البنت يديها على وركها.

هل ذهبت إلى هناك بمفردك؟ إلى الجزيرة؟ أعني هل كنت بمفردك؟ أم كان هناك آخرون؟ صوتها الآن به نبرة بوليسية، كما لو أنه استجواب

وبطريقة ما، بالفعل هو كذلك، أدركت أن كلامي لن يحدث فارقا، تضايقت جدا، وتراجعت خطوة إلى الوراء.

لا.. ونعم. أنا وزوجي و .....

أكافح لكِ أكمل الجملة، ولكنني لا أستطيع، أغوص في دوامة تجعل الأرض تدور من تحت قدمي، الأكاذيب تحاوطني من كل اتجاه، وترمي بي في عاصفة تطوحني داخلها، لقد كذبت، منذ أن أتينا إلى «مارهِم» على الفتاة وعصابتها، إلى الرجل في البيت البني، إلى الشرطة. حتى أنني ليس لدي أدنى فكرة عن السبب، ولكن هذا لا يهم، الشيء الوحيد هو أنه لن يستطيع أن يستمر، أنا لن أكذب مرة أخرى، «أليكس» ليس زوجي و «سميلا» ليست ابنتي، كان ثلاثتنا قد ذهبوا إلى الجزيرة ولكن الاثنان الآخرين....

لا ليست كذبة أخرى، الفتاة تنتظر، ولكن عندما توقفت عن الكلام نفذ صبرها «ماذا؟ ماذا عن الاثنين الآخرين؟»

كيف لي أن أشرح ؟ إنهم لم يعودوا. لقد اختفوا، ببطء، نعم..ببطء شديد، أتراجع بعيدا عن الماء و الفتاة، أتحرك نحو طريق الغابة والدراجة، تتبعني الفتاة، دفعتني مرة ثانية في صدري «اعترفي! أنا أعرف ماذا فعلتي كلنا نعرف».

استدرت وهربت بأقصى سرعة ممكنة، أمرق من بين الأشجار وأتسلق الحفرة، وأجري في طريق الغابة، أنا أتلوى من الألم والغثيان، ولكن لن أسمح لنفسي بالتوقف أو الراحة، انتزعت الدراجة وركبتها، الفتاة لم تقم بأي محاولة للإمساك بي، بينما أقود الدراجة بعيدا عن هنا أسمع صراخها من خلفي، سيتأكد «جورما» أنكِ وقع عليكِ العقاب، في هذه اللحظة

عندما سمعت هذه الكلمات، شيء ما ينقر بداخلي شيء مهم يشق طريقه من خلال الضباب الذي يغلف وعيي. انتقام، هذا هو الفكر الذي يدق في رأسي الآن، من أجل الانتقام. إنه في الطريق، ليتأكد من معاقبتي و لكن «جورما» ليس هو الذي أفكر فيه.

(25)

لم يكـن سرا أن «أليكـس» كان متزوجـا في وقـت مبكـر مـن علاقاتنـا، كان صريحـا جـدا بمـا يخـص أنـه كان لديـه زوجـة وابنـة في حياتـه، لم يكـن هـذا ليزعجنـي، عـلى العكـس تمامـا. بالرغـم مـن أننـي كنـت مـترددة في السـماح لأي أحـد بالاقـتراب، إلا أنـه بـدا وكأنـه أمـر لا يمكـن تصـوره أن أتركـه عندمـا دخـل «أليكـس» حيـاتي قبـل أن أعـرف ذلـك الأمـر، كنـت لأخـبر أمـي و«كاتينـكا» عنـه، سـألتني أمـي عـدة مـرات، وفي عينيهـا نظـرة متفائلـة، إذا كان هنـاك شـخص مـا في حيـاتي، لكنهـا لم تكـن راضيـة عندمـا أخبرتهـا عـن «أليكـس»، هـل سـمحت لهـذا الأمـر أن يكـون عـثرة في حيـاتي؟ أم أن ماما سـألت أسـئلة أدت بهـا إلى هـذا الاسـتنتاج ؟ أنـا لسـت متاكـدة. كل مـا أتذكـره هـو ردة فعلهـا.

كيف يمكن لكِ يا «جريتا»؟

كنـت أعـرف مـا كانـت تفكـر فيـه، أننـي أمـشي عـلى خطـى أبي، وإننـي كنـت أتبـع كل خطـاه المسـتحقة للـوم ولكننـي لم أكـن مسـؤولة عـن خيانـة «أليكـس» لم أديـن بـأي شيء لتلـك المـرأة المجهولـة التـي تتواجـد في مـكان مـا في انتظـاره ليعـود إليهـا، الحـق يجـب أن يقـال، أنـا بكامـل الاحـترام لم أتحـدث عنهـا ببـذاءة كـما أننـي لم أعـترض أو أسـتنكر كلام أمـي.

كانـت «كاتينـكا» أيضـا متشـككة، ولكنهـا وعدتنـي أنهـا سـوف تشـاركني الفرحـة، إذا كنـت أنـا سـعيدة.

تذكرت أمسية قديمة، كانت بالضبط بعد شهر من بداية علاقتي مع أليكس، هل أنا سعيدة؟ أدرت رأسي لأنظر إليه وهو مستلقٍ بجانبي على المرتبة الناعمة. ألا يجب علينا التحدث أكثر؟ نعرف بعضنا البعض؟ أليس هذا ما يفعله كل الناس؟

ابتسم لي ابتسامة عريضة. وقال «إذا كنتِ تريدين ذلك إذن أخبريني شيئًا عنكِ بشيء يدعو للخجل».

أغلقت فمي ورددت في نفسي، شيء يدعو إلى الخجل؟ بابا. هذا الموضوع غير قابل للنقاش، لم يكن أحد قادر على إخراج الحقيقة من داخلي حول ما حدث. كان هو السبب الذي جعلني أمضي كامل حياتي أبتعد عن الناس،عن العلاقات الوطيدة، ولكن الآن، وهنا، أنا كنت مع رجل ادعى أنه رآني، رآني حقا، وفجأة سمعت نفسي أحكي «لأليكس» ما حدث تلك الليلة حول النافذة، حول سقوط بابا. عندما أوشكت على النهاية شيء ما جعلني أقف، وأحتفظ بأهم التفاصيل لنفسي و لكنني أعتقد أنني أخبرته بما يكفي .

«أعتقد إنك مجنونة إلى حد ما يا حبيبي، ليس تحديدا في رأسك».

ضحك «أليكس» بعد عبارته، ولكنني أستطيع أن أرى في عينيه أنه كان جادا جدا، وربما كان على حق، بعد ذلك تخليت تدريجيا عن أي أمل للتقارب العاطفي بيننا، كان لدي شخص بجانبي، كان هذا يكفي، وليس ضروريا أن نعرف بعضنا البعض، ثم جاءت الليلة التي ضغط فيها «أليكس» على جسمي العاري نحو زجاج النافذة، لا تتركيني أبدا، هذا ما كان مكتوبا على الكارت المرافق لبوكيه الورد الذي أرسله لي في اليوم التالي، ربما كان ذلك عذرا أو أنه يأمرني، لا يهمني ماذا كان. لم أتركه، لم أكن أقدر على تحمل فكرة كوني وحيدة مرة أخرى بعد وجوده في حياتي،

عـلى العكـس وضعـت نفـسي مثـل خاتـم في يـد أليكـس، سـمحت لـه أن يقـودني أبعـد و أبعـد في الظـلام، بـدا الألم يتسـلل شـيئا فشـيئا في علاقتنـا، لم أغـادر واسـتمريت في التعلـق بـه، «أليكـس» يقـود وأنـا أتبعـه، إلى أن أدى الطريـق بنـا إلى الهاويـة'.

أسـمع صـوت ذلـك الرنـين في جيبـي، أخـذت نفسـا عميقـا، ونظـرت حـولي في حالـة مـن الدوخـة وانعـدام الـوزن. أيـن أنـا؟، أدركـت أني جالسـة في سـيارتي في موقـف للسـيارات خـارج محـل بقالـة صغـير. كيـف وصلـت إلى هنـا؟ مـن المؤكـد أننـي كنـت أقـود السـيارة، ولكننـي لا أتذكـر أننـي فعلـت ذلـك. بعدهـا تذكـرت لقـائي مـع الفتـاة، وركـوب الدراجـة في طريـق الغابـة والعـودة إلى الكابينـة . الآن طعـم الـدم في فمـي، الصيحـات المميتـة عـن الانتقـام والعقـاب المدويـة في الغابـة تـدور في رأسي. تذكـرت الخـوف، مازلـت أشـعر بتنميـل في أطـراف أصابعـي وتمـوج عنيـف في أمعـائي، لكـن ذلـك بسـبب الخـوف، لكـن لسـبب أكـثر مـن ذلـك، إنـه شـعور التمـرد والرغبـة في الوقـوف ومواجهـة العـدو. فجـأة هـذا الشـعور اسـتيقظ بداخـلي لذلـك أنـا هنـا لاتخـاذ أي إجـراء ممكـن.

صـوت رنـين الهاتـف في جيبـي مـرة ثانيـة أخرجـت هاتفـي، كان هنـاك نـص رسـالة مـن «كاتينـكا» يـا رفـاق أتمنـي أن تكونـوا بخـير. أفكـر فيكـم.

جملتـين فقـط، ولكنهـما مشـحونتان بعاطفـة جميلـة، بمـرور الوقـت وعلاقتي مـع «أليكـس» تغـيرت وكلـما تقبلتـه أكـثر طلـب المزيـد، «كاتينـكا» كانـت دائمـا صامتـه، العيـون ثاقبـة، عندمـا بـدأت أشـعر بالمـرض أكـثر مـن المعتـاد، كانـت تسـألني بمـاذا أشـعر؟ في الحقيقـة كانـت هـي الوحيـدة التـي لاحظـت أن هنـاك شيء غريـب في هـذا اليـوم، أو عـلى الأقـل هـي الوحيـدة التـي سـألتني بصراحـة لمـاذا تعرجـين؟.

«أنـا لا أعـرج» ربمـا لا. و لكنـك تتحركـين بطريقـة غريبـة وحـذرة كـما لـو

أنـك مصابـة مـاذا حـدث؟ ثبتـت نظراتهـا عـليّ. أشـحت بوجهـي تجـاه الجـدار، «كاتينـكا» أومـأت رأسـها. كـما لـو أنهـا فهمـت شـيئا مهـما. ثـم قالـت لي أنـه يجـب عـلى ان أذهـب وأتحـدث مـع شـخص مـا .

بـدأت الـكلام و سـألتها مـاذا تعنـي. لم تـرد عـليّ، حتـى لم تقـل مـاذا عرفـت، أو مـا الـذي كانـت تقصـده؟.

في الحقيقـة جـزء منـي أراد أن يسـمعها تقولهـا بصـوت عـال، أراد أن تجعلهـا حقيقـة، لم يكـن هنـاك شيء أسـتطيع التعبـير عنـه، «أنـت -تغيريـت في نفسـك « قالـت لي «كاتنكا.هـذه الطريقـة التـي تعرجـين بهـا، و دائمـا متعبـة، أنـت تحتاجـين إلى رؤيـة شـخص مـا» .

مـن ياتـرى؟ توقعـت منهـا أن تقـترح عـلى شـخص خبـير في العـلاج، عندمـا أغلقـت عينـي تذكـرت ذات الشـعر الأشـقر، و شـعرت بنفـس القبضـة القويـة عـلي معصمـي . الأمـور سـوف تـزداد سـوءا بعـد سـوء بالنسـبه لـكِ. و أنـتِ تخاطريـن بخروجـك عـن حالـة الاتـزان، و لكـن «كاتينـكا» لم تكـن تفكـر في معالجـة نفـسي، ربمـا كان هنـاك شيء آخـر في عقلهـا، «ربمـا يجـب عليـكِ أن تذهبـي إلى طبيـب في العيـادة «. قلـت: حسـنا. أنـتِ عـلى حـق. أنـا متعبـة سـوف أحـدد موعـدا .

و فعـلا، بعـد بضعـة أيـام ذهبـت إلى العيـادة، كانـت الشـمس مشرقـة و الجميـع يرتـدون السراويـل القصـيرة والملابـس الخفيفـة. وأنـا كنـت مرتديـة سروال طويـل، صـورة الطبيبـة النفسـية الشـقراء لمعـت في عقـلي مـرة أخـرى، بـالأزرار والجاكيـت في منتصـف الصيـف، كنـت أجـد هـذا غريبـا. الآن أنـا أرتـدي نفـس ملابسـها، وجسـدي مغطـى بالكامـل.

بعـد فـترة قصـيرة، دخلـت إلى مكتـب امـرأة ترتـدي معطفـا أبيضـا، جلسـت عـلى الكـرسي أمـام مكتبهـا، اسـتغرق الأمـر ثـوان قبـل أن أقـول أي

شيء، انتظرت، تركتها لتدرسني في صمت، تمنيت سرا أن تنظر إليّ وتعرف، دون أن أكون مجبرة على قول كلمة واحدة، ولكن تعبيرها كان فضولياً لدرجة أنني أخيراً اضطررت إلى فتح فمي، أخبرتها عن التعب، ثم أجبت عن أسئلتها بكل طاعة، على الرغم من مراوغتها. عندما طلبت بعض الاختبارات.

سمحت للممرضة أن تغرز الإبرة في ذراعي لأخذ عينة دم، وتبولتُ في الحاوية التي منحوها لي، بعد ذلك جلسنا بجانب بعضنا البعض. الطبيبة أمالت رأسها و نظرت إليّ، طلبت أن تنظر إلى فخذي!.

فكرت . أن تقول لي أنه لا بد أن أتركه. و لكنها لم تفعل، عوضا عن ذلك أبلغتني أنني حامل في تسعة أسابيع، هل حقا أنني لم أشك أو أشتبه في ذلك؟ خرجت من السيارة وذهبت إلى متجر البقالة الموجود داخل مبنى منخفض من الطوب، وكان هناك رجل مسن يقف على طاولة الدفع القريبة من الأبواب، كان يمسك بصحيفة ويقرأ منها. عندما اقتربت نظر وقال لي «مرحبا» التقطت سلّة وتجولت في الممرات بدون هدف، كنت شاردة الذهن، إنه متجر ريفي هاديء، وبالتالي فإن الاختيار محدود. كنت أستطيع أن أقود إلى أبعد قليلا، إلى المدينة حيث كنت هناك بالأمس، و لكنني لم أجرؤ على الذهاب إلى هناك، لا أريد أن أذهب إلى أي مكان بالقرب من قسم الشرطة وأخاطر بأن يتم التعرف عليّ، أشعر بالحرارة تجتاحني كلما تذكرت مكالمة الهاتف مع الشرطية، بالضجة التي يمكن أن أسببها. ومع ذلك يمكن أن تكون أسوأ، أسوأ من ذلك بكثير إذا اكتشفتْ الشرطة أن اثنين يلقبان ب «أليكس و سميلا» اختفيا، وهم يعرفون أيضا أنني أكذب بشأن علاقتي بهم.. لن يبدو الأمر جيداً على الإطلاق. في أحد الممرات تواجهت مع سيدتين كبيرتين في السن كانتا متشابهتين بشكل مدهش، ربما كانتا أخوات، النوع الذي لم يتزوج أبدا، منحاني ابتسامة

حـذرة، كـما لـو أنـك تبتسـم لشـخص غريـب الأطـوار أثنـاء مـرورك بجانبـه، اجتهـد لاسـترجاع الابتسـامة، إنهـا ليسـت غلطتـي، أريـد أن أصرخ فيهـم. «أنـا فقـط فعلـت مـا قيـل لي. كنـت قـد سـألت «أليكـس» كيـف كان ينـوي تقديمـي إذا التقينـا أي شـخص أثنـاء وجودنـا في (مارهِـم) والعـودة إلى البيـت. نحـن لـن نخـرج أبـدا، فقـط ظللنـا في الداخـل، في مـكاني، لا توجـد دور سـينما، ولا مطاعـم ولا حتـى تمشـية في المسـاء. لم نتكلـم أبـدا عـن السـبب، ولكـن تصـورت أنـه يمكـن أن يكـون بسـببها. البلـدة كانـت صغـيرة بالقـدر الـكافي لدرجـة أننـا إذا خرجنـا قـد نتواجـه مـع أحـد مـا يعـرف «أليكـس» أو يعرفنـي، مـن هـذه النقطـة، لم يكـن العـالم الـذي تشـاركنا فيـه هـو أكـبر مـن غرفـة نومـي.

الآن، نحـن نخطـو خطـوة إلى الأمـام، في عـالم مجهـول، كنـا لنذهـب بعيـدا، لقضـاء عطلتنـا معـا، لم أسـال «أليكـس» عـما قالـه في البيـت، ولكننـي خمنـت أنـه اسـتحضر بعـض نوعـا مـا مـن رحلـة عمـل، كان منـدوب مبيعـات دائـم الترحـال، مـما يعنـي أنهـا يجـب أن تكـون قبلـت التفسـير. إنهـا زوجتـه بعـد كل شيء، تسـاءلت كيـف كان يخطـط لأن يقدمنـي لهـا؟ كيـف كان يريـدني أن أقـدم نفـسي؟ «أليكـس» تجاهـل سـؤالي، لم يعتقـد أن هـذا مهـم، لأنـه لم يكـن مـن المحتمـل أن نتواجـه مـع أي شـخص، عـلى الأقـل لا أحـد كان يعرفـه، لكننـي أصررت.

و لكـن مـاذا لـو سـأل أحدهـم؟ مـاذا إذا؟ أريـد أن أعـرف مـن أنـا؟. مـا المفـترض أن أكـون؟ لفـت انتباهـه، ظـل يحـدق في لفـترة طويلـة، وفي عينيـه نظـرات غـير قابلـة للفهـم وقـراءة مـا تعـبر عنـه، وأخـيرا قـال بحـزم: أنـت زوجتـي إذا سـألك أي شـخص، هـذا مـا يجـب أن تخبريهـم بـه، وهـذا مـا فعلتـه. الرجـل في البيـت البنـي والشرطـة، الأطفـال- كل هـؤلاء الذيـن سـمحت لهـم أن يصدقـوا أننـي كنـت المـرأة التـي تزوجهـا «أليكـس»، ولكنهـا كانـت مختلفـة مـع «سـميلا»، لم يرغمنـي أحـد عـلي ذلـك، أن أطلـق عليهـا ابنتـي، ومـع ذلـك

سـمحت لهـا أن تكـون جـزءًا مـن هـذه التمثيليـة، لقـد حـدث ذلـك بشـكل طبيعـي. وكان سـهلا في أغلـب الأحيـان بشـكل طبيعـي جـدا، «سـميلا» الصغـيرة التـي كانـت لديهـا أحـلام الأميرات، «سـميلا» التـي كانـت مرتبطـة بي مـن خـلال الطفـل الـذي يتكـون في بطنـي الآن، أختـك أو أخيـكِ، أهمـس بهـذه الكلـمات، و أنـا أرتجـف أمـام مخـزن البقالـة البـارد، لفـترة طويلـة أحـدق النظـر في علـب اللـبن، الزبـادي، الزبـدة، البيـض، ثـم أنظـر إلى السـلة الحمـراء التـي أمسـكها، إنهـا مازالـت فارغـة، أنـا عـلى يقـين أننـي قـدت السـيارة ومجيئـي لمتجـر البقالـة للتسـوق مـا هـو إلا لسـبب مـا، لكـن مـا أبحـث عنـه هـو شيء آخـر تمامـا.

ولكـن مـاذا؟ تقـترب السـيدتان العجوزتـان .بسرعـة، أخـذت إثنـين مـن علـب زبـادى مـن عـلي الـرف ووضعتهـما في سـلتى، اتمنـى الأن ان أبـدو مثـل أى زبـون، عـلي الأقـل ظاهريـا. اتحـرك ناحيـه الجـزء الخلفـي مـن المتجـر، في محاولـه للحفاظ عـلي تلـك الصـورة، وضعـت بعضـا مـن الفاكهـة في كيـس بلاسـتيك، ووضعتـه جنبـا الى جنـب مـع رغيـف مـن خبـز «الجـاودار» الخفيـف. فجـأة وجـدت نفـسى أمـام رف الحفاضـات واغذيـه الاطفـال، أخـذت أدقـق النظـر إليـه مبـاشرة، كيـف كان رد فعـل «اليكـس» عندمـا سـمع أني حامـل، هـل قمـت بتحديـد ميعـاد؟، اتذكـر أنـه بعـد ذلـك اخـذ وقتـه لإنهـاء العشـاء، وكان يمضـغ الطعـام بهـدوء، ولكـن كان هناك شيء غريـب في طريقـه فتـح فكـه وطحنـه للطعـام للخلـف والى الامـام، شيء يشـير الى غضـب مكبـوت. ولكـن ربمـا يكـون هـذا مجـرد تفسـيري فيـما بعـد، وحينهـا قـام أليكـس بتنظيـف طبقـه، ووضعـه جانبـاً وغـادر الغرفـة ليأخـذ شـيئا، عـاد وعقـد ربطـة عنقـه مـن الحريـر الأسـود وخلـع سـترته وأعطاهـما لي، «ضعـي ذلـك فـوق ملابسـك»، لا شيء آخـر، وانتظريـني في غرفـة النـوم، محاولـة واحـدة أخـيرة، فقـط مـرة أخـيرة، ربمـا هـذا مـا كنـت أفكـر فيـه، ربمـا هـذا السـبب في أننـي قمـت بقمـع ذاكـرة الألم، الألم الـذي تـلاشى في النهايـة ومـع ذلـك كان محفـوراً بداخـلي ولا يمكـن إزالتـه.

في كل الأحوال فإن آثاره في جسمي فعلت ما كان يريده أليكس، خلعت ملابسي، لففت رابطة العنق حول رقبتي، وانتظرت، وبعدها جاء «أليكس» إلى غرفة النوم، وأغلق الباب في وجه العالم، هذه الليله استغرقت وقتا طويلا كي أنام، وكان حينها نومي مضطربا غير مريح ومتقطع، بعد فترة قصيرة استيقظت، سواء من الألم أو بسب الأصوات التي في الخارج، هدير محرك السيارة، الصراخ بصوت عالٍ، استلقيت هناك، استمع «لأليكس» وهو يأخذ «سميلا» إلى الداخل مع ملاحظة كيف أنه أضاء الأنوار ووضع «سميلا» في الفراش داخل الغرفة المواجهة لنا، ومن خلال الجدار سمعته يكلمها، وكلامه كان هادئا و مطمئنا.

أنا لم أتحرك من الفراش، و لكنني كنت مستيقظة، وهذا كان في تلك اللحظة التي اتخذت فيها قراري، في الواقع، كان أكثر من تحقيق عنه قرار، هذا يجب أن يتوقف. كان هناك وضوح في تلك الكلمات، شعور بأنني سأكون في عداد المفقودين لفترة طويلة، يجب أن أفعل ما علي فعله، هذا يجعلني أشعر أنني متخبطة، لم يكن لدي شك في هذا، أمسكت بزجاجة للأطفال، ثم كوب من «سيبي» مع «ويني-بوو». هل هذا ما أبحث عنه؟ هل هذا سبب وجودي هنا؟ لا، خفضت يدي، جسدي يتحرك بعيداً، أنا على مقربة من «الكاشير»، و لكنني لم أجد ما كنت أبحث عنه. هناك شيء غائب عني، أنا أعرفه ولكن لا أتذكره، وضعت كيس طعام القطط داخل السلة، والآن أنا في قسم لوازم البيت والحديقة. عيني وقعت على فأس متوسط الحجم على أحد الأرفف السفلية، وضعت السلة جانبا و جلست القرفصاء أمام الأدوات المعروضة، أذني ترن وأنا أمسك بالمقبض، ألتقط الفأس، ثقيلة في يدي، إنها متينة على صغر حجمها، لم أمسك فأسا من قبل. ولكن المقبض البلاستيكي المبطن يبدو مألوفا وطبيعيا، كيف يمكن أن يكون هذا؟ أميل إلى الأمام واقرأ ما تقوله العلامة المثبتة على

الـرف، «متعـدد الوظائـف، حديـد صلـب، ضـمان مـدى الحيـاة» أغمضـت عينـي للحظـة، ثـم لمسـت نصـل الفـأس بأنامـلي، شـعرت أني رأيـت أو ذكـرى مـا بعيـدة تحـاول أن تطـل داخـل عقـلي، أنـا لا أتذكـر، صـدى مألـوف بـدا لي. في أسـوا السـيناريوهات هـذا النـوع مـن العصـف الذهنـي يمكـن أن يكـون لـه عواقـب وخيمـة، رميـت الفـاس بعيـدا، مـا الـذي حذرتنـي منـه الطبيبـة النفسـية الشـقراء؟، مـا الـذي حـدث لي، وصلـت الى نقطـه لا أسـتطيع فيهـا التحكـم في نفـسي، أو فيـما سـأفعله؟ أغطـى عينـاي وأتأرجـح في يـأس فاقـدة الأمـل ذهابـا وإيابـا وأنـا منحنيـة عـلى أرضيـة محـل البقالـة.

ظـروف غـير متوقعـة حدثـت وقـت مجيئهـا في الليـل، الشـخص الـذي مكـث و الشـخص الـذي غـادر و الآن... مـا الـذي أحـاول أن أقولـه لنفـسي الآن ؟ هـل هـذه الظـروف الغامضـة وراء اختفائهـا؟ أخـذت يـدي بعيـدا عـن عينـي و مـرة ثانيـة حدقـت النظـر في الـشيء الـذي أمامـي، يجـب عـليّ أن أكـون واقعيـة مـرة أخـرى، وصلـت إلى الفـأس. أنـا اقـترب مـن مخـرج الطريـق السريـع لمارهِـم عندما رن هاتفـي فجـاة، «كاتينـكا»، عـلى مـا أعتقـد، لم أرد عـلى رسـالتها، هـى تتصـل لمعرفـة مـا إذا كنـت بخـير، أتذكـر مـا قالتـه أمـي في ذلـك اليـوم عندمـا كانـوا مفقودين، عندمـا كنـت لا أزال أتلقـى مكالمتهـا. «كاتينـكا» قلقـة عليـك، وتشـعر بالتوتـر، سـحبت هاتفـي ولكنـه ليـس رقـم «كاتينـكا» الـذي عـلى الشاشـة، يـدي الأخـرى تهتـز، لدرجـة أن السـيارة انحرفـت عـن الممـر، صرخـت قبـل أن أسـتعيد السـيطرة مـرة أخـرى إلى الأمـام، رأيـت تحويلـة عـلى الطريـق، منطقـة انتظـار الحافـلات التـي تسـافر عـلى الطريـق السريـع ذهابـا وعـودة إلى البلـدة، ألقيـت نظـرة خاطفـة في مـرآة الرؤيـة الخلفيـة.

عـلى مرمـى البـصر لا توجـد حافلـة واحـدة، أمسـك عجلـة القيـادة بيـدي الاثنـين، فرملـت السـيارة بصعوبـة بالغـة، هاتفـي مـازال يـرن، وأنـا أحـدق النظـر فيـه بعـين جامحـة، أنـه ليـس رقـم «كاتينـكا»، لا توجـد أرقـام عـلى

الشاشة مجرد اسم مالوف جدا همست «أليكس»، يداي التقطت الهاتف، جلد راحة يدي يؤلمني إنه الجرح من ذلك اليوم، الجرح الذي تسبب فيه قرطي، قبل أن أضغط على زر الإجابة نظرت إلى الأكياس البلاستيكية على المقعد الخلفي، الأكياس تحتوي على البقالة التي اشتريتها، الزبادي والفاكهة والخبز والفأس. الآداة متعددة الوظائف ذات النصل الفولاذي ومع ضمان مدى الحياة.

أخذت نفسا عميقاً وأنا أحاول دون جدوى أن أجعل صوتي يبدو طبيعيا. «مرحبا» أليكس أين أنت ؟ما الذي حدث؟

اسمع صوت احتكاك على الطرف الأخر.

صرخت مرة أخرى «مرحبا» بقوة أكبر هذه المرة. هل تسمعني؟

لا يوجد جواب. كل ما أسمعه هو صوت متسرع، ثم صمت تام، أخذت الهاتف من على أذني وحدقت فيه، حاولت مرة ثانية، وأنا أصرخ باسم «أليكس» أعلى وأعلى، لكنّ الاتصال قطع، لا يوجد هناك أحد.

(26)

الظلام يعم المكان، الجزء الأخير من قوتي تسرب مني؛ لم يبق هناك شيء، لا يوجد شيء ليرفعني، لا أستطيع النهوض، لا أستطيع فعل أي شيء، كل ما أستطيع فعله هنا هو أن أظل في الظلام، وإلقاء نظرة من حولي، الأمر كله مألوف تماماً، إلا أنه يبدو مختلفاً.

متغير، مدمر. اسمع صوتك، وإذا قمت بجهد بسيط، فيمكنني رؤيتك في ذهني صورة وجهك و جسمك و لكنني لا أستطيع أن أخترق وعيك، ومعرفة من أنت.

ما الأفكار التي تدور في عقلك الآن؟ هل أنت مشتت، وحيد، هل تعتقد أن الأمور سوف تتحسن؟ إن كل شيء سوف يكون على ما يرام ويسير بشكل جيد في نهاية الأمر؟ هل فكرت في حتى ولو مرة؟ أجب!

كيف لي أن أذهب؟ ما الذي أستطيع فعله؟ بدوني، أنت لا شيء. كلمات تعرضني للخطر والإذلال وتجعلني أنكمش، أتقلص وأقوي، لكن الآن.. أشعر بشيء في جسدي، أشعر أنه ينمو ويقترب، يتهيأ للاستعداد للخروج، سوف أستيقظ، سأقف منتصبة بصرامة، سأترك ما كان، واضع كل شيء خلفي، المستقبل ينتظر، إنها تنتظر.

قريبا سوف ينمو الضوء. قريبا سوف أذهب لمقابلتها وسوف تتركك وحدك في الظل. الظل الذي ربما يبتلعك تماما.

(27)

أيـن المفتـاح. ربمـا أكـون حشرتـه داخـل الحقيبـة بالأسـفل، يجـب عـلى أن أضـع أكيـاس البقالـة لأبحـث بشـكل صحيـح، الجـزء العلـوي لواحـدة مـن الأكيـاس مفتوحـا، وأرى المقبـض الأسـود للفـأس الـذي اشـتريته للتـو. و بعدهـا تذكـرت. المفتـاح ليـس في حقيبتي.أنـا فقـط كنـت أعتقـد إنـه كان بداخلهـا.

هنـا في «مارهِـم» الروتينيـات تختلـف، عندمـا أقـف مـرة أخـرى أمـام البـاب، مـددت يـدي إلى أسـفل الدواسـة لأحصـل عـلى المفتـاح مـن مكانـه، شـعرت بعدهـا بحرقـان في ظهـري، شـعور قـوي أشـعر بـه ينتـشر في كامـل أنحاء جسـدي، هـل أنـا أتخيـل الأشـياء فقـط ؟، أم أن صـوت الأغصـان ينقـر في مـكان مـا وراء شـجر «الأربوفيتـي»، أمـام الكابينـة، هـل مـن أحـد هنـا؟ بـدأت في الارتعـاش وسـقط المفتـاح.

خطـوت إلى الـوراء، وضعـت المفتـاح في القفـل وأدرتـه، لكـن البـاب لم ينفتح. حاولـت مرتـين أخريـين، أمسـك مقبـض البـاب وأسـحبه نحـوي، لكـن لاشيء يحـدث. مـازال مغلقـاً، عـلى الرغـم مـن أننـي فتحتـه للتـو، أو هـل أنـا فعلـت؟ بأيـد مرتجفـة، أحـاول مـرة ثانيـة. وضعـت المفتـاح في القفـل، وأدرتـه، ثـم ضغـط لأسـفل عـلى المقبـض الآن يفتـح بسـهولة.

بسرعـة، أغلقـت البـاب خلفـي، ووقفـت في المدخـل لحظـة، ملـت عـلى الجـدار، كنـت ألهـث، هـل كان البـاب مغلقـا؟ أم هـل نسـيت أن أغلقه؟..أنـا

لا أعـرف، هـل أغلقتـه قبـل غـن أتجـه لمخـزن البقالـة، عـلى الرغـم مـن عـدم وجـود ذاكـرة واضحـة لفعـل هـذا، ولكـن كـم مـرة يتذكـر أي شـخص تلـك الأشـياء التـي يفعلهـا قليـلاً أو كثـيراً بشـكل تلقـائي؟

كان هنـاك شـخص مـا، إذا كان الأمـر كذلـك، مـن يمكـن أن يكـون؟ هـل هـو «جورمـا»؟ مـرة أخـري أشـعر بـأن هنـاك غصـة في حلقـي، ربمـا لم يكـن «جورمـا» من يتجسـس عـليّ مـن خـلال الشـجيرات، ولكـن ربمـا كان بعـض أتباعـه، ربمـا وجـدوا الكابينـة؟ ربمـا لم يجـدوا شـيئا أفضـل مـن أن يتجولـوا في الخـارج، غـير مبالـين أو حريصـين، في انتظـار حـدوث شيء مـا. احـدق في البـاب الأمامـي المغلـق. في هـذة الحالـة، أعتقـد، أنهـم سـوف يحصلـون عـلى مـا يتمنـوه قريبـاً، شيء مـا عـلى وشـك الحـدوث. لسـاني يلتصـق بسـقف فمـي وأنـا اتجـه إلى المطبـخ بأكيـاس البقالـة.

قمـت بترتيـب كل شيء في الثلاجـة والخزائـن، باسـتثناء الفـأس التـي تركتهـا في الكيـس، أتظاهـر أننـي لم أراهـا. الخيـار الآخـر هـو أننـي تظاهـرت بأنهـا مخصصـة لأعـمال الفنـاء. بداخـلي أريـد التمسـك بالاعتقـاد بأننـي نفس الشـخص الـذي كان قبـل القـدوم إلى «مارهِـم»، شـخص لم يفكـر طيلـة حياتـه أن يشـتري فأسـا، ناهيـك عـن اعتبارهـا سـلاحاً.

إنهـا فـترة مـا بعـد الظهـر بالفعـل، شـعرت بالجـوع، لكـن ليـس لـدي أي شـهية، ولا يمكننـي أن أتنـاول الطعـام في سـلام، لذلـك قمـت بعمـل كوبـين مـن العصـير، ورحـت أشربـه عـلى منضـدة المطبـخ، شـعرت بـآلام في ظهـري للمـرة ثانيـة، رحـت أتحـرك ببـطء، عندمـا لاحظتهـا. الدميـة. تـم دفـع خمسـة مـن كـراسي المطبـخ السـتة تحـت الطاولـة، وكان السـادس مسـحوبا وعليـه تجلـس دميـة «سـميلا» الكبـيرة بعيونهـا التـي تفتـح وتغلـق. كانـت ذراعيهـا السـمينتان مرفوعتـان فـوق رأسـها، تحـدق بعينيهـا الزرقاوتـين في وجهـي. وأنـا أمسـك بالكـوب في يـدي، وراحـت نبضـات قلبـي تتسـارع مـرة أخـرى.

هـل كانـت جالسـة هنـا هـذا الصبـاح؟ أو بالأمـس؟، أيقظنـي رنـين هاتفـي المفاجـيء.

ركضـت إلى الداخـل عـلى أرجـل مرتعشـة، إلى حيـث حقيبتـي، وقفـت هنـاك والهاتـف في يـدي، رحـت أحـدق النظـر إلى الشاشـة. نفـس الاسـم كـما كان مـن قبـل، كان الهاتـف عليـه طبقـة ملسـاء مـن العـرق وأنـا أقربـه إلى أذني.

«أليكس» هل هذا أنتَ ؟

و لكـن هـذه المـرة أيضـا لا يوجـد أحـد عـلى الهاتـف، عـلى الأقـل لا أحـد يـرد .بعـد الـصراخ باسـم «أليكـس» عـدة مـرات والاسـتماع فقـط إلى صـدى صـوتي، أنهيـت المكالمـة.

اهتـززت، نظـرت إلى نفـسي مـرة أخـرى في مـرآة القاعـة. يتشـتت ذهنـي، أحـاول ألا أنهـار، أتذكـر صـوت الإطـارات والـصراخ العـالي خـارج الكابينـة في أول ليلـة لنـا هنـا. وعنـد عـودتي للكابينـة بعـد اختفـاء «أليكس وسـميلا»، لم أسـتطع إيجـاد هاتفـي و كيـف ظهـر أخـيرا مغطـى بدقـة عـلى جانـب «أليكـس» مـن الفـراش، أفكـر في المشـكلة التـي واجهتهـا عنـد فتـح البـاب الأمامـي، واحتماليـة أنـه كان مفتوحـا طـوال اليـوم، ثـم أفكـر في دميـة «سـميلا» في المطبـخ، وعيونهـا المفتوحـة المحدقـة دائمـا، فمهـا الصغـير عـلى هيئـة صرخـة صامتـة، وذراعيهـا تصـل إلى التعبـير وكأنهـا تطلـق نـداء اسـتغاثة، أترنـح باتجـاه الفـراش، مدركـة أننـي في حاجـة إلى الاسـتلقاء، عندمـا وصلـت إلى بـاب المدخـل وقعـت عيـوني عـلى حمالـة الصـدر الحمـراء اللـون، والتـي لاتـزال معلقـة عـلى الكـرسي، توقفـت.

لقـد اشـتريت تلـك الصدريـة عندمـا طلـب منـي أليكـس ذلـك، بمـا أننـا سـوف نذهـب إلى مارهِـم معـا لأيـام قليلـة، كانـت ملاحظـة صغـيرة ولكننـي تمكنـت مـن الحصـول عـلى بضعـة أيـام.

في وقت الغداء، ركضت لشراء ملابس داخلية جديدة. ليس فقط لأنني أردت ذلك أو كنت أريد شراء شيء جديد، و لكنني أحسست أنه كان يتوقع ذلك مني، أيضا اشتريت رباطة عنق «لأليكس» من الحرير الأسود، أعطيتها له عندما جاء متأخرا تلك الليلة، ظل يحدق النظر فيها لمدة طويلة و تركها بلطف وحنان تنزلق من بين أصابعه، «سآخذها إلى الكابينة»، قالها أخيرا.

تناولنا العشاء، و بعد ذلك داعبني بفتور، ونمنا بشكل عنيف، أرهقني أليكس جدا، كنت أتسائل داخلي: من أنت حقا؟ ثم انتهى الأمر بعد ذلك، كان تنفس «أليكس» حار في أذني عندما همس حول الخط الرفيع بين الألم و المتعة، قال لي أنه يريدنا أن نكتشف ذلك مجددا، بعد بضعة أيام كنت، في العيادة، أرتدي السراويل الطويلة وأتحدث عن كيف شعرت بتعب لا يمكن تفسيره، بعدها سمعت الأخبار التي غيرت كل شيء، الأسبوع التاسع، هل حقا لايوجد لديك أي فكرة؟ عالمي انقلب رأسا على عقب، لم أكن أعرف ماذا أفعل، لم أتخذ أي قرارات أو إجراءات، والآن جاء اليوم الذي سنذهب فيه إلى مارهِم.

***

لا أستطيع تمالك نفسى لكي أذهب إلى غرفه النوم، هذه الصدرية الحمقاء قادت أفكاري إلى ربطة العنق السوداء، إلى ما يشبه الإغماء بسبب النفور، أين هى الآن؟ لم أرها منذ ليلتنا الأولى هنا، ولكن يجب أن تكون في مكان ما معلقه او ملفوفه بدقه، إحتمال ان تكون في غرفه النوم في خزانة ملابس «أليكس»، تعثرت و تحولت الى غرفه «سميلا»، اللعب مبعثره في كل مكان، كل شئ يذكرنى بالفتاه التي نامت ولعبت في هذه الغرفه منذ عهد قريب، ولكن عندما تمددت على سريرها ودفنت رأسي في وسادتها، لم أعد أشم شذى شعرها الجذاب بحلاوته ودفئه.

إنها بعيدة جدا عن هنا الآن، أنا أسفة، أنا آسفة لأن الأمر تطور كذلك. أتذكر صورة الأرجل الشاحبة المخبأة بين الشجيرات، ولكنني أدفعها بعيداً وأحاول تبديلها بصورة مختلفة.

الآن «سميلا» تطفو على سطح عقلي، كانت تطير في المطبخ بين ذراعي «أليكس» القويتان، أجلستها على الكرسي بجواري، وتنظر إليه بكل حب وهو يقوم بإعداد الفطور، إنه أول صباح لنا سويا، لها ولي، وإن كنت أعرف ذلك مسبقاً، لكنت تصرفت بشكل أخر، أم أن اختار خيارات أخرى، ماذا اعتقدت «سميلا» في وجودي معهم على مائدة الإفطار؟ هل رأت العلامة الحمراء التي ظهرت على رقبتي وتتساءل ما هي؟ أو أنها مازالت صغيرة لتفهم تلك الأشياء؟ وهي أصغر من أن تصل إلى أي استنتاجات عن والدها وهذة المرأة الغريبة التي ترتدي قميص نوم؟ استدرت و نظرت إلى العين الوحيدة الموجودة في دمية الدب الخاصة «بسميلا» المستلقية مقابل الحائط، في الحقيقة، أنني لست متأكدة من أنها رأتني. أعني، كانت تدرك أنني كنت أجلس هناك. لكنها لم ترني، ليس حقا، كانت مغطاة بشيء أخر، كل شيء كانت تنطق به في ذلك الصباح كان عن نفسها و»أليكس». «سميلا» و بابا، كان حبها له واضحاً وملموسا، بينما كنت ـأجلس على الجانب الأخر من الطاولة أراها تنظر إليه بتأمل واضح في عيونها، شعرت بالغيرة تنمو بقوة في داخلي. ليس فقط الغيرة ولكن بالتجاهل، وفقدان القيمة أيضا، القرار الذي اتخذته أثناء الليل تدعم تماما، فبمجرد انتهاءنا من تناول الطعام، أخذت «أليكس» جانباً وأخبرته. كنت قد اتخذت قراري، كنت على وشك تركه. ربّت على خدي ولكن ليس بغضب أو بعنف. ولكن بحيرة، «لا، قال.لا لن تفعلي ذلك « ثم تركني هناك، جسدي ثقيل، لأنني فهمت ما تعنيه كلماته. اعتقدت أن الجزء الصعب هو ترك «أليكس»، وبمجرد اتخاذ القرار سيكون الباقي سهلًا تمامًا.

ثـم أدركـت بعدهـا كيـف تمكـن أليكـس مـن نسـج شـباكه حـولي ببراعـة وإحـكام، كنـت واقعـة في شرك مـن الخيـوط الملتفـة حـولي بقـوة، وأيقنـت أن مـا أريـده كان مسـتحيلا.

لا أسـتطيع تـرك «أليكـس». لـن يسـمح بذلـك أبـداً، لأنـه ببسـاطة هـو الشـخص الـذي يمسـك بمقـود وزمـام علاقتنـا، وإذا حاولـت المغـادرة سـوف يـأتي ورائي ويسـترجعني. كان يعـرف أيـن أعمـل، وأيـن أسـكن، يعـرف كل شيء عـن حيـاتي، كان حيـاتي نفسـها، ويجـب عـلي أن أجـد وسـائل آخـرى، طريقـة أخـرى للخـروج . ولكـن كيـف؟.

اسـتيقظت وفـردت اللحـاف عـلى فـراش «سـميلا»، كـما لـو أن هنـاك شـخصا سـينام عـلى الفـراش هـذه الليلـة، كـما لـو كنـت أملـك اليقـين بأنهـا سـتعود ثانيـة، عندمـا أنظـر للأعـلي، تنجـذب عينـاي إلى النافـذة، ألمـح شـيئا يتحـرك عـلى الجانـب الآخـر مـن لـوح زجـاج النافـذه، وعندمـا خطـوت قليـلا نحوهـا وسـحبت السـتارة، «غـزال» أخـبرت نفـسي هـذه المـرة لابـد أن يكـون «غـزال».

(28)

كان الجو مظلما، عندما أيقظني صوت رنين الهاتف المزعج من نومي، من الذي يتصل بي في منتصف الليل؟ أتساءل بغموض وحيرة.

في اليوم التالي، استيقظت تماما، وأمسكت بالهاتف مرة ثانية إنه اسم «أليكس» على الشاشة. ومرة ثانية لا يوجد إلا الصمت على الجانب الآخر. صحت أكثر من «مرحبا» و لكن لا أحد يجيب.

إما أن الشخص الموجود على الهاتف لا يستطيع أن يتكلم أو أن المكالمة لا تهدف إلى نقل رسالة بالكلمات. ربما يكون لها معنى آخر. صرخة استغاثة .أو تهديد. كيف يفترض بي معرفة أيهما؟ شعور خاطف يزداد بداخلي، جنبا إلى جنب مع شعور أخر قوي ومُلحٍ .

«اذهب إلى الجحيم»! رفعت صوتي في الهاتف قبل أن أقوم بإنهاء المكالمه فجأة. أنا مندهشة من قوة غضبي وإحباطي و لكن بعد ذلك قلّ غضبي، وحلّ محله الشعور بالذنب.

مرة ثانية أتصور تلك الساقين الشاحبتين واللتين تخرجان من الأدغال و أتخيل جسم الفتاة الخالي من الحياة تحت أوراق الشجر.

هذه المرة ليس من السهل التخلص من صورة «سميلا». بتلقائية مددت يدي وأدرتها على اللحاف، لأبحث عن جسد القط «تيريث» الناعم

الملمس، أحتاجه بالقرب مني، أحتاج إلى العزاء الذي لا يمكن أن يقدمه لي سوى كائن حي أخر، و لكن لا يوجد قط مستلقٍ على الفراش.

سرعان ما دفعتني خيبة أملي إلى شيء آخر، شيء أكثر سوادا، متى كانت آخر مرة رأيت فيها «تيريث»؟، عادت بي ذاكرتي إلى اللحظة التي دخلت فيها بعد الزيارة الفاشلة لقسم الشرطة.

أتصور «تيريث» وهو يلعق جرح كف يدي، ثم... ثم رميته خارجا. كان فعلا عنيفا، ناتج عن كره مفاجيء لهذا الاسم . أنا لم أره منذ ذلك الحين. كنت مشغولة بأشياء أخرى، بالكاد كنت أعطى «تيريث» اهتمام. وهو يتجول في الخارج، وحيداً في مواجهة المخاطر التي تحيط بمارهم.

قفزت من الفراش بعد مهاجمة نوبة الغثيان لي مثل حيوان غاضب، قذفت ما في بطني بالحمام في الوقت المناسب، مائلة على حوض المرحاض، طردت القليل مما تبقى في بطني، أنا لم أكل أي شيء على مدار الأيام القليلة الماضية، فقط القليل من الزبادي و الخبز المحمص، الحرقان في صدري يزداد، أضع يدي على معدتي و أضغط برفق.

«علينا أن نذهب و نبحث عن قط أختك»، نعم أحتاج للعثور على «تيريث» حتى لو كان هذا آخر ما سأفعله.

ارتديت سترة وسروالا واسع، هواء الليل بارد. ومن يدري كم من الوقت سأكون في الخارج ؟ أنا لا أنوى أن أستسلم حتى أعثر على صديقي القط صاحب اللونين الأبيض والأسود، لن أعود حتى يكون بين ذراعي في أمان.

في خزانة القاعة عثرت على معطف من المشمع إنه رمادي بخطوط طولية بالوردي، وضعته على رأسي، أحاول ألا أفكر من هو صاحبه؟ الحقيقة ربما يخصها. أقف هناك في الضوء الخافت، أحدق النظر لأرى

إنعكاس هيئتي في المرآة. كنت شاحبة وبدون مكياج . أرتدي ملابس عادية وبعيدة كل البعد أن تكون جذابة.

امرأة مختلفة تماما عن التي حضرت منذ يومين. ولكن هذا هو كل ما تبقى، هذا هو الشخص الذي أصبحت عليه.

هناك خط مستمر يمر عبر الزمن، منذ تلك الليلة عندما سقط والدي من النافذة في الطابق التاسع حتى اللحظة، إلى أن اختفى «أليكس و سميلا» على الجزيرة.

إنه ليس خطا مستقيما إنه يلتوي ويدور إلى أن اتخذ شكل الدائرة، وأنا أقف في المكان حيث تلتقي فيه كل الأطراف، الشخص الذي كلمته، الشخص الذي خرج من الظلال، والذي عاد إلى الظلال. كنت في منتصف الطريق خارج الباب عندما أدركت أنني أفتقد شيئاً ما، بدون أن أخلع حذائي دخلت إلى المطبخ والتقطت الكيس البلاستيكي من على الأرض، الفأس تبرز من خارج الكيس، أمسكت بالمقبض الأسود بكلتا يدي ورفعتها أمام جسدي. وأثناء مروري من خلال المدخل مرة أخري، رميت نظرة أخرى في المرآة، لم أكن على استعداد أن أرى نفسي، أبدو خرقاء، و لكن لدي قبضة ثابتة على الفأس. أمسكها بعزيمة كبيرة بدا لي منها أنني فعلت ذلك من قبل .

خرجب من البيت ولا أعرف إلى أين اتجه. أمشي بدون أن أفكر في المكان الذي أضع فيه قدمي أو ما حولي إلا عندما ارتطمت الأغصان في وجنتي عندها أدركت أنني في الغابة، وليس بالقرب من البحيرة، ولا على طريق الغابة ولكن في عمق الأشجار، لا تزال مظلمة هنا على الرغم من أن السماء ممزوجة باللون الوردي والأصفر، استمع صوت في مكان ما خلفي، التفت و دورت حوله «تيريث» .

و لكنني لم أسمع أي مواء، ولا يوجد أي شيء أبيض وأسود يتقدم

نحوي بين الأشجار.على مستوى واحد، أدركت أنه من الخطأ أن أكون هنا، لن أجد قطا في وسط الغابة، في الوقت نفسه، كل ما يمكنني التفكير به هو الشعور بالذنب تجاه «سميلا» حول ما تعرضت له بسببي، كيف أصبحت ضحية بريئة بسببي. الغثيان يتماوج في أمعائي مرة أخرى مثل قبضة مشدودة، لكنني أرفض الإستسلام، العثور على «تيريث» هو أقل ما يمكنني القيام به.

«هنا كيتي كيتي تيريث».!

ذهبت إلى مكان ثم إلى آخر ـ أولا إلى الأمام، تم العودة إلى الوراء ومحافظة على عيوني ثابتة على الأرض. أين يمكن أن يكون؟ أين يمكن للقط أن يذهب؟ هززت رأسي ماذا لو كان «أليكس» سمح لي بالرحيل بحرية مطلقة؟.

هل كل شيء اتضح وانكشف بشكل مختلف؟ هذا شيء لن أفعله أبدا؟ فرع شجرة كبير اهتز إلى الوراء وصفعني مباشرة على وجهي، الألم أرسل شرارت متطايرة إلى عقلي، عندما وضحت الرؤية، كان الفأس ملقى على الأرض، ملت إلى أسفل و التقطه، وجنتي تلسعني، وأنا أزيل شيء لزج جعل راحة يدي حمراء، نفس اليد التي طُعنت بالقرط قبل ذلك.

نظرت باندهاش إلى البشرة الرقيقة ذات اللون الوردي الفاتح التي لصقت علي، لا يوجد دم، هل هو تعافي؟ منذ متى كان بالفعل مقطوع؟ يبدو أنه حدث الآن، و لكن هل كان هذا بالأمس؟ أو حتي باليوم السابق؟ هل كان قبل أو بعد البئر؟ البئر؟ نعم، البئر خارج الجزيرة، لا يوجد بئر على الجزيرة. ثم ما الذي تصور لي عندما حدقت في مياه بحيرة الخبث؟ لا، لم يتكيء على أي بئر. هل أنا أصبت نفسي بالقرط قبل أو بعد أن دفعته من كتفه بيدي؟

في كل مـرة فكـرة واضحـة تكـون عـلى وشـك التشـكل في ذهنـي ولكـن تتبخـر تمامـا في مـكان مـا بداخـلي، صـوت يصيـح كـما لـو كان في احتجـاج، و لكنـه بعيـد جـداً ولا أسـتطيع أن أقـول إن كان حقيقيـاً أم خياليـاً. أنـا أتحسـس كـما لـو كنـت عميـاء، سـواء هنـا بـين الأشـجار أو داخـل وعيـي، الـشيء الوحيـد المتبقـي هـو الإحسـاس بأننـي أبحـث عـن شيء مـا . أحتـاج للعثـور عليـه. شـيئاً مـا أو شـخص مـا.

أركـض خـلال الأشـجار ،أدفـع جسـدي إلى الحـد الأقـصى للجـري، أُمسـك بالفـأس وكأنـه درع لي للاحتجـاج ضـد الـشر. الصـوت الوحيـد الـذي أسـمعه الآن هـو خشخشـة المعطـف المشـمعي الـذي أرتديـه، و تنفـسي الخشـن، لا أعـرف مـا المـدة التـي قضيتهـا هنـا، أو مـا هـو الاتجـاه الـذي أسـلكه، ربمـا أذهـب في دوائـر. أخـيراً، أرى ضـوءا بـين جـذوع الأشـجار، والوحـش السـائر بداخـلي يهـدأ تدريجيـاً، توقفـت لالتقـاط أنفـاسي، العـالم يبـدو واضحـا الآن فيـما يتعلـق بالتفاصيـل المملوسـة، ليـس هنـاك مـا يشـير إلى «تيريـث». ولا «أليكـس وسـميلا «بالطبـع.

ينعكـس الضـوء عـلى النصـل مثـل قشـور السـمك تحـت المـاء. ولكـن كل مـرة أمـدُّ يـدي ينزلـق مـن قبضتـي كـما تنزلـق السـمكة.

لا أسـمح لنفـسي أن اسـتريح دون إتمـام تجـوالي. كان الهـدف منـه هـو العثـور عـلى سـميلا، أن أعـثر عـلى أليكـس.

فقـط إذا تمكنـت مـن العثـور عليـه، سـوف ينتهـي الأمـر في النهايـة. يتقطـر العـرق أسـفل وجهـي وظهـري. ولكـن الشـعور كونـك الشـخص الوحيـد الـذي يبحـث، يتـم اسـتبداله بشـكل متزايـد كونـك مسـتهدف، خطـوات صامتـة تزحـف ورائي، شيء ينزلـق خلـف جـزع الشـجرة، عندمـا التـفَّ حولـه. ربمـا يعـود «أليكـس» للانتقـام؟ الثـأر؟ مـن مـاذا؟

مـرة ثانيـة الأفـكار تـدور بطريقـة عشـوائية في ذهنـي بـدون معنـى .أو اتجـاه أو هـدف. إنهـا تنكـسر. كل الأسـباب تتهـاوي، أنـا أرى مـا يحـدث، لكنـي عاجـزة عـن التـصرف. اهتـزاز ضعيـف يرعـش فخـذي يقـودني إلى التوقـف بالرغـم مـن ذلـك لا أسـمع أي صـوت، أضـع الهاتـف في جيـب البنطلـون، و لكـن دون أن أتـرك الفـأس، هاتفـي الخلـوي، رابطـي الوحيـد بالواقـع، إلى العـالم الخارجـي.

كانـت هنـاك رسـالة جديـدة مـن «كاتينـكا» تكتـب أنهـا في طريقهـا إلى البيـت بعـد الحفـل وتتسـاءل لمـاذا لم أرد عـلى رسـالتها الأخـيرة. عباراتهـا المفككـة وصياغـة الجمـل الفوضويـة تشـير إليَّ أنهـا في حالـة سُـكرٍ.

يصـدر الهاتـف صفـيرا مـرة أخـرى، ثـم مـرة أخـرى «كاتينـكا» ترسـل المزيـد مـن الرسـائل واحـدة تلـو الأخـرى، أنـا أتصفـح بفتـور تقاريرهـا عـن رجـال لطـاف، وألم في القـدم ،أنـا عـلى وشـك وضـع الهاتـف مـرة أخـرى في جيبـي، عندمـا وصلتنـي رسـالة مـن أمـي عـلى مـا يبـدو أن أمـي حاولـت أن تلتقينـي في العمـل مـرة أخـرى عـلى الرغـم مـن أنهـا تعـرف أننـي لسـت هنـاك .

مضطربـة، كانـت تريـد أن تعـرف أيـن كنـت. حاولـت أن تجـدني، كنـت أعلـم، هـل «كاتينـكا» طائشـة لدرجـة أننـي لم أقـل لهـا إلى أيـن أنـا و»أليكـس» كنـا ذاهبـين في تلـك العُطلـة، ؟ سـألتْها أمـي أيـن أنـا ولكنهـا لم تسـتطع أن تقـول لهـا لأنهـا لا تعـرف، في الحقيقـة ليـس لـدي فكـرة.

لقـد فقـدت السـيطرة عـلى فـك رمـوز تلـك الأنـواع مـن الإشـارات العاديـة منـذ فـترة طويلـة، أو ربمـا لم تكـن لـدي أبـدا، يجـب عليـك أن تـرى شـخص مـا، ربمـا يجـب عليـك رؤيـة طبيـب في العيـادة.

لقـد حدثـت أشـياء كثـيرة منـذ ذلـك اليـوم عندمـا لاحظـت «كاتينـكا» أننـي أعـاني مـن مشـاكل في المـشي بسـبب فخـذي. هنـاك الكثـير مـن الأفـكار والأفعـال بـين هـذا اليـوم وذاك.

لـدي رغبـة قويـة في إرسـال رسـالة نصيـة، أخبرهـا فيهـا أننـي حامـل. إنهـا لا تعـرف حتـى ذلـك، أقـف لدقيقـة وأصابعـي تحـوم حـول لوحـة المفاتيـح عـلى الشاشـة التـي أمامـي، ولكـن لا يوجـد أي رد معقـول يتبـادر إلى ذهنـي.

عـاودت السـير مـرة أخـرى ووضعـت هاتفـي مـرة ثانيـة في جيبـي، هـل يمكـن لنـا أن نكـون أصدقـاء حقيقيـين، كاتينـكا وأنـا ؟، اخـترت عـدم التفكـير في ذلـك. حتـى الآن، مـا الـذي حكـم علاقتـي بـ»كاتينـكا» - كـما هـو الحـال مـع جميـع معـارفي قبلهـا - هـي فكـرة ماما و أفضـل صديقـة كانـت لديهـا في وقـت مـا، لـن تكـون أبـدا مثـل ماما و»روث»، لا أسـتطيع المخاطـرة بالاقـتراب، أتوقـف عـلى حافـة منخفـض في الأرض، أدور حولهـا وأكمـل سـيري، يسـتحضر ذهنـي أحداثـا وقعـت مـن فـترة طويلـة، أتذكـر كيـف تلاعبـت الأمـور وكيـف سـارت خـلال الفـترة الدراميـة الأخـيرة بـين ماما و «روث». بـدأت الحادثـة برحلـة فاشـلة لرؤيـة جـدة أمـي وانتهـت بسـقوط بابـا مـن نافـذة غرفـة النـوم. عـلى الرغـم مـن أن الرحلـة انتهـت بالفعـل قبـل عـدة شـهور، بصفعـة.

أنـا مسـتغرقة في افـكاري لدرجـة إننـي في البدايـة كنـت لا أرى شيء تحـت قدمـي، ثـم ينتقـل نظـري إلى أسـفل، مثبتـا عـلى شيء شـائك ذو لـون بنـي .

تـم تثبيـت اثنـان مـن العـصي معـاً عـلى هيئـة رمـز قديـم، حدقـت النظـر في الرمـز للحظـة قبـل أن أدرك مـا يوجـد في داخلـه. صليـب، ولكـن لمـاذا ...؟ تراجعـت خطـوة للـوراء، أحـاول تمريـر شـعاع بـصري بصعوبـة وجهـد، أولا عـلى الصليـب الخشـبي الصغـير، ثـم إلى تلـة مـن الأرض أمامـه، تغمـرني موجـة مـن الصقيـع، تجـرف كل شيء آخـر. تاركـة وراءهـا المعلومـة الوحيـدة التـي تشـير أن هـذا ليـس مجـرد شيء مخبـأ، إنـه قـبر .

سـمعت حفيفـاً قريبـاً جـداً، وهـذه المـرة أنـا متاكـدة تمامـا، أنـا عـلى يقـين أن هنـاك شـخص مـا يقـف ورائي، اسـتدرت مـع الحفـاظ عـلى قبضتـي محكمـة عـلى الفـأس.

(29)

قبـل أن نغلـق الشـقة ونلتقـط حقائبنـا ونغـادر إلى بيـت الجـدة، كان أخـر شيء فعلتـه ماما هـو الاتصـال ب «روث»، كانـت تجلـس في الحجـرة التـي كانـت تتقاسـمها مـع أبي، ظهرهـا إلى البـاب، كانـت عـلى التليفـون لفـترة طويلـة تتكلـم بصـوت منخفـض عـلى الرغـم مـن أنهـا في الأغلـب كانـت تسـتمع، كالعـادة. مـن حـين لآخـر كانـت تهمهـم بملاحظـات مختـصرة، والتـي تبـدو في الأسـاس أنهـا تؤكـد عـلى كلـمات «روث» الحكيمة.»نعـم، أنـا حقـا بحاجـة إلى هـذا. لابـد لي مـن الابتعـاد، في محاولـة لأرتـاح قليلا،الحصـول عـلى بعـض المسـافة مـن ... حسـناً، كـم كل شيء»

انتظـرت في القاعـة الأماميـة، نفـد صـبري وكنـت متلهفـة عـلى الذهـاب، كانـت العطلـة الصيفيـة قـد بـدأت للتـو، و كنـت أشـتاق لرؤيـة جـدتي وأن أبتعـد عـن الحيـاة الخانقـة مـع والـدي ووالـدتي. كنـت أتطلـع إلى لفائـف الفانيليـا والهـدوء في شـقتها.

في الآونـة الأخـيرة كان أبي و أمـي يتشـاجران أكـثر مـن المعتـاد، لقـد بـدأ يتجـادلان بسـبب مذكـرة سـقطت مـن جيـب بنطلـون أبي عندمـا كانـت أمـي تقـوم بالغسـيل. أو لأنـه عـاد إلى المنـزل متأخـراً، وطلبـت أن تعـرف أيـن كان كل هـذا الوقـت. لم يـرد بابـا عـلى أسـئلتها أو اعتـذر عنهـا، فقـط اكتفـى بتوجيـه بعـض التعليقـات السـاخرة.

هـذا مـا سـيجعل ماما تتعصـب وسرعـان مـا تتطايـر الاتهامـات، سـوف تقـذف بأسـماء سـيدات مختلفـة في الهـواء، وفي كل مـرة يتشـاجران، اسـمع اسـم سـيدة جديـد يضـاف إلى القائمـة.إلا أن رد فعـل والـدي لم يختلـف أبـداً، وهـو أن يسـبها.

خـلال ثـواني تستسـلم أمـي وتنهـزم، لا أسـتطيع أن أفهـم أبـدا سـبب اختفـاء غضبهـا في تلـك اللحظـة. لا أسـتطيع أن أعـرف لمـاذا تستسـلم عـلى هـذا النحـو، و لكـن هـذا مـا حـدث .لقـد كرسـت أمـي حياتهـا لخدمـة الآخريـن، وأغلبهـم مـن النسـاء، لـكي يقفـوا عـلى أقدامهـم ويواجهـون الأزواج المخادعـين المضللـين، الذيـن كانـوا أحيانـا مؤذيـن جسـديا.

النـاس الذيـن كانـوا يعرفـون أمـي كانـوا يصفونهـا بأنهـا قويـة، ويمكـن الاعتـماد عليهـا، لكـن أظهـرت جانبـا مختلفـا تمامـا مـن نفسـها في المنـزل، لا أحـد يعـرف ذلـك.

ماما تقدمـت إلى الأمـام و طرقـت البـاب بقليـل مـن الصـبر «ماما، ألسـنا ذاهبـون؟ هيـا!» أخذنـا الحافلـة إلى المحطـة، حيـث سنسـتقل القطـار إلى بيـت الجـدة، جلسـت ماما صامتـة عـلى المقعـد المجـاور لي، تحـدق مـن نافـذة الحافلة إلى المسـاحات الخـضراء المترامية، حاولـت التحـدث معهـا في أمـور مختلفـة مثـل أخـر جولـة لي بالدراجـة أو برنامـج تليفزيـوني شـاهدته، ولكنهـا لم تكـن مهتمـة فالتزمـت الصمـت.

في المحطـة نظـرت أمـي وهـي عابسـة الوجـه إلى قائمـة الذهـاب و العـودة عـلى مـتن اللوحـة، تمتمـت شـيئا عـن التأخـير لـذا سـحبنا حقائبنـا إلى مقعـد وجلسـنا للانتظـار. وأمضينـا مـا تبقـى مـن الظهـيرة منتظريـن هنـاك، تـم تأجيـل قطارنـا ثـلاث مـرات، وفي كل مـرة تقـف ماما للتعبـير عـن إحباطهـا و تعـود إلى المقعـد، أعتقـد أن ذلـك كان نفـس أسـلوبها عندمـا كانـت تتشـاجر مـع أبي،

لكنني لم أقل ذلك بصوت عال. وأخيرا، تم الإعلان عن: لقد تم إلغاء رحلات جميع القطارات الجنوبية بسبب سقوط خط كهربائي، استرددنا أسعار التذاكر وعرض علينا الحجز على قطار من المغادرين في وقت مبكر من صباح اليوم التالي.

أثناء رجوعنا البيت مرة أخرى كنا صامتين تماما في الحافلة، بحلول الوقت أدخلت ماما المفتاح في القفل وفتحت الباب لشقتنا وبصعوبة قالت لي كلمة، وتساءلت عما إذا كانت تريد أن تأخذني معها لرؤية الجدة، على أي حال ربما فضلت أن تذهب وحدها، هذا ما كنت أفكر فيه ونحن ندخل إلى الصالة الأمامية ولكن بعد ذلك كان لدي أشياءا أخرى لأفكر فيها.

لم يكن هناك إضاءة في الشقة، وفكرت في البداية، أن بابا لم يكن في المنزل. ولكن بعد ذلك سمعت صوت همس و ضحك، نظرت إلى أمي، واقفة أمامي، ورأيت جسدها يتصلب لقد سمعت ذلك أيضا .

«مرحبا؟» هل هناك أحد؟.

ثم أن ماما فعلت شيئا بخلاف ذلك، كنت صامتة تماما كالعادة، أصرت أمي أن كل شيء لطيف وأنيق، و لكنها الآن تسير دون أن تخلع حذائها أعرف أن هناك شيء ما خاطيء، وصدى خطواتها يتردد على الأرضية الباركيه .

في الثانية التالية شيء أبيض يرفرف في الطرف الآخر من الشقة، جسد امرأة عاري جاء مسرعا من غرفة المعيشة يتجه إلى غرفة الاستحمام، تمكنت من رؤية خلفية كبيرة كما لو كان القمر مكتملا وأحدهم دخل في إطاره النوراني، قبل أن تختفي مع ماتبقى من المرأة، باب الحمام أغلق بعنف، و سمعته يغلق من الداخل، ماما وازنت كتفيها وتوقفت للحظة، ثم أكملت إلى غرفة المعيشة و بحثت فيها كنت لا أزال واقفة على الممسحة و لم أستطع رؤية ما رأته أمي، و لكنني سمعت ما قالته. «أيها الوغد!»

أخذتني إلى بيت «روث»، كانت حقائبنا معبأة، سحبتهم أمي معا عندما خرجنا من الشقة، لم يتبعنا أحد، ولم يتصل بنا أحد، كانت أمي تجري على الرغم من أنها تجر كلتا الحقيبتين، لقد تعبت من ركوب الحافلات، ناهيك عن الجلوس في محطة القطار طوال فترة الظهيرة، لذلك كان لدي صعوبة في الاستمرار، إلى جانب ذلك كنت، جائعة، توسلت إليها أن تبطيء عدة مرات، و لكنها لم تفعل.

بمجرد أن فتحت «روث» الباب، انفجرت ماما في البكاء، «روث» طلبت أن ندخل ولم يبد عليها الاندهاش من ردة فعل أمي، ربما مرت بهذا من قبل بمناسبات لم أكن فيها، قادتنا «روث» إلى المطبخ، أخرجت كرسيا لماما ثم جلست بجوارها، بتردد نظرت في الشقة لأجد شيئا يشغلني ولكنني لم أرَ سوى كتب، مفارش المائدة الكروشيه، والزهور المجففة، خطر في بالي أن «روث» تعيش بمفردها، من الواضح أنه لا يوجد لديها زوج أو أطفال يعيشون هنا. فقط «روث» وقطتان، لعبت مع القطط لفترة كافية، ثم عدت إلى المطبخ حيث كانتا أمي و روث يفرغان غسالة الصحون.

قالت ماما في يأس: «مازلت لا أفهم ذلك»، كيف يمكنه ؟ كيف بحق الجحيم؟

قالتها وأعطت بعض الأطباق لروث التي وضعتهما في خزانة الأطباق، «روث» كانت تبدو صارمة بعض الشيء، في الأغلب غير راضية، ربما فكرت أنه حان الوقت لنا أن نتركها وحدها، شعرت فجأة أنني متعبة، لم يكن جسدي فقط هو الذي كان منهكا، كل شيء كان بداخلي مجهد بشكل قاس، لقد سئمت من سحبها لي في كل مكان.

«ماما، أريد أن أعود للبيت»

لم تجب، بل إنها لم تستدر، فقط رفعت يديها وأشارت لي بعيدا كما

لـو كانـت تـضرب حـشرة بعنـف وكـما لـو أن حركتهـا قـادرة عـلى جعـلي أضعـف وأستسـلم تمامـا، لكننـي لم أفكـر بنفـس الطريقـة التـي كنـت أعيـش بهـا مـن قبـل. الأمـور تبـدو مختلفـة الآن.

حدقـت النظـر في ظهـر أمـي، إننـي طفلتهـا، وكنـت جائعـة ومتعبـة ولكنهـا لا تهتـم عـلى الإطـلاق كـررت «أريـد أن أذهـب إلي البيـت الآن» لقـد كـررت مـرارا وتكـرارا حتـى أصبحـت أكـثر إلحاحـا. لم تسـتدر أيضـا، مجـرد أن تنظـر مـن أعـلى كتفهـا وتجعلنـي أعـرف أننـا سـوف نمكـث مـدة أطـول واسـتمرت في الـكلام مـع «روث»، لا أعـرف مـا الـذي يتكلمـون عنـه، ولكـن في هـذه اللحظـة شـعرت بطعنـة داخـلي، كـما لـو أن أحدهـم طعننـي برمـح حـاد، ذهبـت إلى أمـي وانتزعـت سـترتها بعنـف وأنـا أصيـح .

ضغطـت «روث» عـلى شـفتيها معـاً، عـلى نحـو محتمـل، محاولـة أن تبتسـم، مـع ارتعـاش خافـت مـليء بالاتهامـات في زوايـا فمهـا.

«الآن الآن الآن!»

في النهايـة نظـرت أمـي إلى، كان وجههـا جامـدا كالصخـرة، تخلصـت مـن قبضتـي، اسـمعيني «جريتـا» نحـن سـنمكث هنـا إلى أن يحـين الوقـت للرحيـل، هـل تفهمـين؟

ثم أدارت ظهرها لي مرة أخرى، أخرستني .

كان الوضـع مألوفـا، ولكـن هـذه المـرة لم يكـن لـدي النيـة للامتثـال للهـدوء، كنـت سـأجعل أمـي تسـمع لي.

المـرة الأولى خرجـت الكلـمات خلسـة، كانتـا هادئتـين جـدا لدرجـة أننـي كنـت أسـمعهم بصعوبـة، عندمـا قلـت لهـم مـرة أخـرى أننـي بذلـت مجهـود كبـير للتحـدث.

كنـت أشـعر بالكلـمات تنقـذف إلى فمـي فأرددهـا بقـوة، وسـبتني أمـي بشـكل قـاس.

كل شيء توقـف حتـى الوقـت مـع سـبابها، وبـدت الكلـمات وكأنهـا مازالـت في الغرفـة تحـوم فـوق رأسي، توقفـت ماما و «روث» عـن الـكلام بشـكل مفاجيء كـما لـو أن هنـاك شـخص قـد أغلـق مفتـاح الكهربـاء، أو كأنـه بالتصويـر البطـيء، اسـتدارت أمـي لي، رأيـت يديهـا ترتفـع، رأيتهـا تـأتي نحـوي، صفعـت خـدي فشـبت في وجنتـي آلاف الحرائـق.

كل منـا نحـن الثلاثـة يحـدق النظـر في الأخـر، لا أحـد منـا قـال كلمـة . وضعـت روث يدهـا عـلى فمهـا، أخـيرا انهـارت أمـي، سـقطت عـلى ركبتيهـا أمامـي، و أخذتنـي بـين ذراعيهـا، كل هـذا لم يأخـذ سـوى ثانيتـين، ولكـن بـدا وكأنـه دهـرا، قبـل أن تبـذل مجهـودا لتضييـق المسـافه بيننـا. تنبثـق الكلـمات منهـا بسرعـة لدرجـة أننـي شـعرت بالـدوار، وأنـا أسـمعهم.

«جريتـا» حبيبتـي أنـا ذلـك... لم أقصـد، اسـتدرت فقـط ونظـرت لهـا، عليـك أن تفهمـي أننـي لا أقصـد!

اسـتمرت في الـكلام بـدون أن تعطينـي فرصـة للـرد أو الاسـتجابة. بالطبـع لم تقصـد أن تضربنـي كانـت مضطربـة، وأنـا كنـت واقفـة في طريـق يديهـا.

كل مـا في الأمـر هـو سـوء تفاهـم مؤسـف، كان ذلـك كل شيء. وهـدأت بعـد فترة .

ثـم لاحـت نظـرة مختلفـة في عينيهـا، أيضـا نـبرة صوتهـا كانـت مختلفـة، و«لكننـي أعتقـد أنـه مـن الأفضـل ألا يعلـم أحـد بمـا حـدث» كنـت أعـرف مـن الـذي تقصـده ماما . بالتأكيـد بابـا. وأنـا لم أكـن إخبـاره.

كانـت متلهفـة إلى أن أقـول أي شيء لأظهـر لهـا أننـي فهمـت، لذلـك وعدتهـا أننـي لـن أبـوح لأحـد بمـا حـدث في مطبـخ روث، اسـترخت قليـلا. ثـم تركتنـي ووقفـت، وابتعـدت مـرة أخـرى.

في هــذه اللحظــة كان مصــير والــدي محتومــاً، كان يملــك ثلاثــة أشــهر في حياتــه .. ثلاثــة أشــهر فقــط.

(30)

الفتـاة توقفـت في مسـارها، عيونهـا واسـعة، وباندهـاش حولـت نظرتهـا إلى الفـأس، ولكـن فقـط لثانيـة ثـم تحولـت نظراتهـا، وبـدأت في النظـر حولهـا، كـما لـو كانـت تبحـث عـن شيء مـا، إذا كان هنـاك شيء مـازال موجـوداً، أشـاهدها عـن قـرب بينـما هـي تراقـب الأرض.

الآن اكتشـفت أن الصليـب الخشـبي الصغـير عنـد قدمـي ليـس الوحيـد مـن نوعـه، عـلى حافـة الأرض يوجـد الكثـير مـن الصلبـان.

وأمـام كل واحـد منهـم تـم حفـر الأرض والمسـتنقع، ثـم إعادتهـم في موضعهم مـرة ثانيـة. أنـا في مقـبرة الغابة.

يبـدو أن الفتـاة راضيـة عـن تفتيشـها وفحصهـا، يبـدو ذلـك مـن نظـرة الارتيـاح عـلى وجههـا.

ثم قالت لي «لم تزعجيهم».

أجبتها «المقابر؟» «لماذا يزعجهم؟»

نظـرت إليّ نظـرة طويلـة دون أن تجاوبنـي، أكاد أرى الارتبـاك في تعبيرهـا، ثـم تغـيرت مـرة ثانيـة و ردت «إذن مـاذا تفعلـين هنـا»؟ كانـت لهجتهـا يبـدو وكأنهـا أحـد مالـكي الأرض الذيـن يواجهـون المعتـدى عـلى مملكاتهـم.

قلت لها «إنني أبحث عن قطة»، وأنتِ ماذا تفعلين هنا ؟

استنكرت سؤالي، ورفضت أن تنظر في عيني، شعرها الطويل الباهت يرفرف على إثر النسيم، وأرى خصلاته الشقراء تظهر واضحة بين ثنايا الشعر الأسود، حتى في ضوء الفجر أستطيع أن أرى ذلك بدقة.

لا أستطيع التفكير في أنها يمكن أن تستخدم قصة شعر جديدة، بعض الملابس الجديدة، وربما القليل من «الماسكارا» وأيضا أحمر الشفاه اللامع، وهنا تذكرت ملابسي الرثّة، والطريقة التي كنت أصفف بها شعري وأتجاهل غسل وجهي، بدون اهتمام، أشعر إنني عارية ،عرضة للخطر، مكشوفة تماما.

من مكان ما في عقلي تتكون عبارة «أفضل دفاع هو هجوم جيد»..

ما الذي دفنتيه هنا تحديدا ؟

رمقتني الفتاة مرة أخرى من تلك النظرات الطويلة، كما لو أنها تقيمني. أعتقد أن رغبتي ستتواجد، ولا أتوقع منها الرد، ولكن هذه المرة فعلت.

«أنا متاكدة أنك تعرفين»

ثم تخطتني، أومضت عيني والتفت من حولي بصمت، أشاهدها تجثم إلى أسفل أمام القبر و تعدل الصليب، مما يجعله أكثر استقامة، كلماتها ترن في أذني. فجأة كل شيء يسقط في مكانه. الفتاة وأصدقائها المخيفين. السكين ذات النصل الملطخ بالدم التي عثرت عليها، المخلوق المشوّه الذي كان ملقى بجانبها، و«السنجاب» أي من المقابر يخص السنجاب؟ أو إنك تركتيه على الجزيرة؟

ما تزال الفتاة تميل إلى الأمام و ظهرها لي، ولكن من أعلى كتفيها أرى يدها تهز وهي تلمس الصليب، تمتمت لا، «لم أتركه هناك».

نهضت ووقفت وعيناها ثابتة على القبر بدون أن تتكلم، يكاد جسدها كله ينطق و يقول، هنا إذن هذا السنجاب المسكين، هنا في الأرض، أمامنا مباشرة، ابتلعت ريقي بصعوبة، سمحت لعيوني أن تمشط الصفوف الصغيرة من الصلبان .

قبر السنجاب هو الثاني، كانت هناك فكرة تتكون في ذهني، ولكنها تلاشت عندما بدأت الفتاة في التكلم.

«لقد صنعت الصلبان بنفسي، وأحيانا آتي إلى هنا.... أنظر إليهم، ولكن فقط إن لم يرني أحد. يكون غيابك في الغالب قبل بزوغ الفجر، كما هو الوقت الآن. لا أحد يستطيع أن يعرف.ستكون....»

صمتت، وأنا انتظر، كي أعطيها الوقت التي تحتاجه. لا أحد يستطيع أن يعرف. أدركت تلك التعويذة. أعلم أنه لا أحد في العادة يشير إلى الغرباء، لكن إلى أقرب الناس إليه، أسرة، أصحاب، أحباب .

«إنها مجرد حيوانات». هذا كل شيء. فقط فراء وأحشاء، لكن لازلت لا أستطيع المساعدة... لا أستطيع تركهم مستلقين هناك بعد ذلك. الموت أهون علي من فعل ذلك

قالت الكلمات الأخيره بتركيز شديد، صوتها يرتعش ممزوجا بأحاسيس مكبوتة و لاحظت أن قبضاتها مشدودة، جزء مني يريدني أن أمد يدي وأضعها على كتفيها، و لكنني لم أفعل. لماذا تفعلون ذلك أيها الفتية؟ ماالذي يجعلكم تعذبون وتقتلون حيوانا بريئا؟

قبل أن تتاح للفتاة فرصة الرد، سرى الضوء في رأسي، تخيلت تعبير «أليكس» الانفعالي، أرى العروق وهي تنتفخ في صدغه وهو يميل فوقي، أنا لا أرتدي شيء سوى ربطة العنق الحريرية ذات اللون الأسود، يميل عليّ ويعاملني بسادية أثناء الممارسة، أعترض كثيرا وأصرخ كثيرا، إلى أن تتوقف

اعتراضـاتي وشـكواي، حتـى تحـترق رئتـاي ولا أسـتطع التنفـس، ينظـر إلى عينـي ومـن المؤكـد أنـه يـدرك الرعـب والهلـع التـي كنـت أشـعر بـه، يبتسـم بعدهـا يسـحب رابطـة العنـق قليـلًا، «القـوه» قلتهـا بصـوت عـالي، الإجابـة عـلى سـؤالي الخـاص، «الأمـر كلـه يتعلـق بالقـوة».

استدارت الفتاة حولي و نظرت إلى في تعبير جامد الشعور.

مـاذا تعرفـين عـن ذلـك؟ مـاذا تعرفـين عـن أي شيء ؟ في البدايـة، أنـا تضايقت لكـن غضبـي تـلاشى، و أدركـت كـم أنـا مرهقـة ومتعبـة ومسـتنزفة القـوة، انزلـق الفـأس مـن بـين يـداي و سـقط في المسـتنقع عـلى قدمـي مصـدرا صوتـا مكتومـا.

تسـير الفتـاة بـين القبـور، وتقـوم بعـدل الصلبـان وغرسـها أكـثر في مكانهـا إذا لـزم الأمـر، تسـتخدم أيديهـا لإزالـة الصنوبـر والأغصـان المتسـاقطة، تشـق طريقهـا عـلى امتـداد صـف الصلبـان الخشـبية إلى أن وصلـت في النهايـة عنـد القـبر، الـذي إلى جـوار مـكان الاسـتراحة النهـائي للسـنجاب. تقـف هنـاك وتديـر ظهرهـا لي.

سـألتها «كيـف لـكِ أن تعـرفي أيـن أعيـش؟» تجاهلتنـي ثـم أجابـت دون أن تسـتدير لي «ليـس مـن الصعـب معرفـة ذلـك، إنـه مـن السـهل معرفـة أي المنـازل فارغـة وأيهـما غـير ذلـك، وأنـتِ قلـت لنـا أيـن كانـت الكابينـة.»

ماذا كنت تفعلين في ساحتي الليلة الأخيرة؟ لو لم تكوني هناك لمساعدتي.

لم تهتـم بالـرد عـلى افتراضـاتي. ولا حتـى أن تـشرح. خيـم الصمـت بيننـا. ببـطء، عـاد إليّ غضبـي وحنقـي، « قـولي شـيئاً! قـولي لي لمـاذا كنـت هنـاك؟»

مازالـت لا تـرد، هـي غاضبـة الآن تقدمـت خطوتـين إلى الأمـام وأمسـكت بذراعهـا وأجبرتهـا عـلى الالتفـاف، عندمـا رأيـت وجههـا الرقيـق يتجعـد، ظننـت أنهـا كانـت تبـكي، ولكننـي لم أر أي دمـوع. قالـت بهـدوء «أنـا آسـفة، أرجـوكِ

سـامحيني» تغـير وجهـي وهـززت رأسي كتعبـير أننـي لا أفهـم مـا تقصـده، مـا المفـترض أن أسـامحها عليـه؟ مـاذا فعلـت؟

مـدت يدهـا وبخفـة لمسـت رأس الصليـب الخشـبي الـذي أمامهـا، اسـتدارت إليّ مـرة أخـرى، ومنحتنـي نظـرة طويلـة، تـسرع، اندفـاع شـديد بـدا في أذني، الأرض تميـد تحـت قدمـي، ومـن زاويـة عينـي، انتبهـت إلى جـزع شـجرة سـاقط تمايلـت فوقـه، أمسـكت بكلتـا الصليـب اليديـن ...القـبر الجديـد ...مـا الـذي دفنتيـه هنـا بالتحديـد؟ أنـا متاكـدة مـن إنـك تعرفـين. نعـم، أنـا أدرك.

أنـا أعلـم، وهـذا مـا يدفعنـي إلى الـصراخ .«سـميلا» حبيبتـي «سـميلا» الصغـيرة المحبوبـة. أنـا آسـفة جـدا.

(31)

الصراخ لا يكاد يخرج من حنجرتي، لا اتهامات أو رثاء، ليس هناك صوت على الإطلاق. داخليا أجد صعوبة في صياغة الملاحظات المناسبة، ولكن دون جدوى. أخيراً، بعض الكلمات تنزلق من شفتي.

«لقد سألتني ما كنت أفعله هنا...»

أومأت الفتاة بهدوء .تحاول أن تملأ هذا السكون فقط، تنتظرني أن أكمل .

«أخبرتك أنني أبحث عن قُطٍ»

أومأت مرة ثانية.

هل تحاولين أن تقولي لي ذلك.... أنك عثرتي على القط خارج الكابينة وأخذتيه؟

«نعم فعلا».

ذهني يبدو صافٍ ومعتم في نفس الوقت.. «وثم....»

مرة أخرى، ترفض الفتاة أن تنتهي من جملتي.

وهذة المرة أتركها، رأيتها تبسط يدها إلى أحدث صليب في الأرض، شاهدتها تلمس الجزء العلوي من العصا. ثم انتقلت عيني إلى الأرض حيث تقف، وأتخيل جثة القط الأبيض في الأسود المدفونة تحت قدميها، تخيلت ما قد عاناه القط وتحمله .

قبل أن أنتهي هنا. أريد أن أنسى ما حدث، أريد أن أغلق عيني، ولكنني لا أجرؤ خوفا من مشاهده الرؤى التي ستواجهني. جثث مذبوحة ترفرف في الريح مثل مراكب بأشرعة دموية، لا. صفعت و جهي بشدة، على الرغم من كل شيء، سقطت، نظرت إليّ الفتاة نظرة جريئة يملؤها التحدي، لا يمكن أن يكون هذا صحيحاً.

«أنا لا أصدقك!» لم تتحرك للحظة، ثم أدخلت يديها بصمت في جيب البنطلون وأخرجت شيئاً. و مدت يدها نحوي القابضة على شيء ما نحوي، أخذت يدي ووضعت جسما ورديا رقيقاً ذا لون وردي على راحتي، إنه طوق «تيريث»، غشى بصري، أشعر كما لو أنني أتقدم إلى الأمام على الرغم من أنني لازلت جالسة، كما لو كنت أسافر عبر ضباب غائم، هل يمكنني التحدث مرة أخرى.

قلت أن اسمه «تيريث»، إنه يخص فتاة تبلغ من العمر أربع سنوات، تحبة كثيراً، يبدو أنه من المهم أن تعرف هذه المراهقة الهزيلة، أن الحيوان الذي أسرته ووضعته عمداً في أيد خبيثة شريرة، له اسم و هوية، إنه يخص شخصا سوف ينكسر قلبه لو أدرك أنه لم يعد على قيد الحياة. ولكن يبدو أن هذا النوع من المعلومات لا يهم هنا، وهذا ما أدركته عندما نظرت إلى ملامح الفتاة والتي تشبه قناعا من صخر، من المحتمل أنه يوجد أشياء مختلفة تزعجها.

أضفت نحن مرتبطين جميعا بالدم. دمي. أنا لم أشرح ما يخص «تيريث»، والجرح الذي لعقه في يدى، دع هذه الفتاة تعتقد أنني مختلة عقليا، لو كان هذا ما تفكر فيه، أشاهد نظراتها إلى الأرض الفأس مازالت ملقاة هناك، الأن هي قريبة منها عني، بسرعة، اقحمت ساقها ووضعت قدمها على رأس الفأس، ثم التقطتها وأدرجت المقبض تحت حزامها، قالت

لي وزراعيها متقاطعتين .أنصتي إلى «جورما» هو الذي قال علينا الانتقام بطريقة أو بأخرى.

ضحكة كئيبة تهرب من حنجرتي، أستطيع أن أسمعها بنفسي، تبدو و كأنها ضحكة خبل وجنون ولكنني لا أستطيع أن أوقفها .

الانتقام؟ إن ما تقوله مناف للعقل.

هل هو مجنون؟ هل جميعكم مجانين؟ ما الذي فعلته لك؟ هل تستطيعين أن تقولين لي؟

حركت عيناها كما لو أنها تحذرني بألا أكون حمقاء، ونظرت بعدها بعيدا، تمضغ على شفتيها .

اعتقدت أن «جورما» سوف يهدأ عندما نعثر عليها مرة أخرى، حقا لا تقلقي حاولت أن أجعله ينساكِ و لكن هو ولكنه... عندما يصير في هذه الحالة من الغضب من المستحيل معرفة ما ...الأمور التي مثل ذلك لا حدود لها .أحيانا أعتقد حتى ربما يكون....

توقفت و أعطتني نظرة ماكرة سريعة وغير مريحة بشكل واضح، كما لو أنها قالت الكثير.

اعتقدت «أنه لوانتقم من قطك فربما يكون ذلك كافيا»

نظرت إليها، ثم هززت رأسي كنوع من الاستسلام أنا لا أفهم حقا، أنا لا أستطيع استيعاب ما تتكلمين عنه.

إنها تتأملني بارتياب كما لو أنني فوّت شيئا مهماً.

بعد بضعة ثوان بدا أنه فجر جديد وأنا في الحقيقة أبدو غير قادرة على استيعاب شيء، أخذت نفسا عميقا، وزفرت بقوة، خطت ناحية جذع الشجرة الساقط وجلست بجانبي، حافظت على مساحة صغيرة بيننا.

على الرغم من أننا في أغسطس إلا أنها كانت ترتدي حذاءا جلديا ثقيلا.

« القارب، إنه عن القارب» .

نظرت إلى لترى أن كنت متابعة أم لا، ولكنني هززت رأسي، لم أفهم بعد.

فقالت لي « لدينا قوارب، إنه من قواربنا» إنها تتكلم بثقة، مؤكدة كل كلمة. بينما تصورت قاربين في ذهني، مركب شراعي صغير وزورق تجديف أبيض قذر. أرى بقع الدم على السطح مثل فقاعة حمراء لنهاية واحدة وحتمية.

الفتاة الجالسة إلى جانبي ماتزال تتكلم، ربما لأنني لم آكل أو أنام بشكل صحيح لعدة أيام، ربما يكون بسبب الحمل وأثاره على جسدي و روحي. أو ربما بسبب أنني لمدة أربع و عشرين ساعة كنت أبحث بيأس عن شخصين ليس لهما أثر.

وبـدلا مـن أن أبحـث عنهـم، كنـت أتجـول أبعـد داخـل الضبـاب، أغـوص أعمـق وأعمـق في الكثبـان الرمليـة، قـد يكـون هـذا هـو السـبب في أننـي أجـد صعوبـة في فهـم تفسـير الفتـاة. وربمـا يكـون نوعـا مـن آليـات الدفـاع، طريقـة لمقاومـة فكـرة تنمـو وتتزايـد.

لا يمكـن أن... أسـمع فقـط أجـزاء مـما تقولـه. أخـر مـرة. عـلى اليسـار هنـاك. اختفـاء. عثور.

على الجانب الآخر من البحيرة .«جورما». لقد كنت أنت. الانتقام .

مـن بعيـد، أسـمع صوتًـا صاخبـاً، كان الصـوت شـديدا لدرجـة أننـي وضعـت يـدي عـلى أذني، ولكنـه لم يتوقـف، العـالم مـن حـولي يهتز. الصـوت مازال مسـتمرا حتـى أننـي اضطـررت أخـيرا إلى الـصراخ. شـخص مـا يسـحب يـدي بعيـدا و يحركهـم جانبـي بحـرص.

إلى جانبـي شـخص مـا يمسـك وجوههـم بالقـرب مـن وجهـي، ويتكلـم معـي، أنـا لا أسـتطيع نطـق كلمـة و لكـن الصـوت عـلى عكـس مـا أتوقـع كان لطيفـا، ورقيقـا، أخـيرا أدركـت أنهـا الفتـاة، إنهـا ترنـم بعـض الكلـمات المريحـة في أذني، وهـي تملـس ظهـري، و ماتـزال تفعـل إلى أن هـدأت.

إلى أن تـلاشى الصـوت، إن صراخـي تـرك حنجـرتي ممزقـة و جسـدي منهـك، بعـد ذلـك سـاد الصمـت بيننـا لفـترة، نجلـس بالقـرب مـن بعضنـا البعـض، ثـم إننـي اسـتدرت لأواجههـا وهـي أيضـا اسـتدارت لتواجهنـي وعندمـا تقابلـت أعيننـا بـدأت بالـكلام، في الوقـت الـذي انتهيـت فيـه بعـد أن خـرج كل شيء منـي.

وصلت الشمس إلى قمم الأشجار، والجو أصبح أكثر سخونة، خلعت عني المعطف ومسحت العرق من على جبيني، سحبت «جريتا» مقبض الفأس من حزامها وأعادته إليّ، قالت لي «أشعر بالأسف من أجلك» أتمنى أن لو كان هناك شيء يمكنني القيام به. قلت لها يوجد. اتركيه .الآن قبل فوات الأوان.

أعطتني ابتسامة باهتة

«سوف تكونين أما صالحة»

ثم سمعت رنينا في أحد جيوب المعطف المشمع ذو القبعة الذي أرتديه،.إلى مايبدو كما لو أنها المرة الألف على نفس المنوال.

أدرت يدي على نسيج القماش من الداخل والخارج أنزع الأزرار والسحَّابة بعنف، للحصول على الموبايل، ولكن هذه المرة يبدو أن الأمر مختلف. بسبب أنني أعرف. فعلا، كان عليّ أعرف طوال الوقت .

وضعت الهاتف على أذني هذه المرة، ما أسمعه ليس مجرد صمت على الجانب الأخر من الهاتف، صوت رجل واثق من نفسه.

مرحبا «جريتا»

إنه «أليكس»

هل افتقدتني؟

(32)

في ذلـك المسـاء عندمـا مشـينا سـويا إلى القـارب، كنـت ورائهـم، أتابعهـم، وعينـي كانتـا مثبتتـان عـلى أرجـل «سـميلا» الرقيقتـين البارزتـين، التـي تخـرج مـن تحـت ثوبهـا القطنـي، أرجـل تنبـع بالحيـاة، تحتـوي عـلى كثـير مـن الطاقـة لدرجـة أنـه كان عليهـا أن تقفـز، حيـث أن المـشي العـادي لم يكـن كافيـا. شيء مـا في تلـك السـاقين جعلنـي أفكـر في الفيلـم الـذي اختـاره لنـا «أليكـس» لمشـاهدته قبـل بضعـة أيـام، كان الفيلـم يحـكي قصـة شـاذ جنسـيا، كان يسـتخدم الأطفـال، دراما مظلمـة محبطـة لا ترحـم .عندمـا كـبرت الكاميـرا أرجـل الفتـاة الشـاحبة، والسـاقان التـي لا حيـاة فيهـما، تبـدو وكأنهـا خرجـت مـن الأحـراش. لم يعـد باسـتطاعتي كبـت تنهـداتي، ركضـت إلى الحـمام وتقيـأت، مـرة ثانيـة.

«أليكـس» كان مـازال مسـتغرقا في مشـاهدة الفيلـم، وبالـكاد نظـر عندمـا عـدت.

جلسـت بجانبـه وأنـا متصلبـة عـلى حافـة الأريكـة. لم أكـن قـد أخبرتـه عـن الطفـل. لكـن جـزء منـي كان قـد كـبر ومـن المفـترض أنـه سـيلاحظ أننـي أتقيـا باسـتمرار، ويفهـم وحـده ولكـن ذلـك لم يحـدث، لم يكتشـف إلا بعـد أن وصلنـا إلى مارهِـم، و حتـى قبـل ذلـك الحـين كنـت عـلى اسـتعداد لأن أخـبره، كان ذلـك قبـل مجـيء «سـميلا» بسـاعات قليلـة، كنـت مسـتلقية مسـتيقظة و قـررت أن أبقـى عـلى الطفـل. وأتـرك «أليكـس».

في صباح اليوم التالي، أخبرته، ولكنه لم يأخذ الموضوع بجدية تامة، هل كنت أحاول تجنب ثورة غضبه أمام «سميلا»، أو ببساطة تفاجأت برد فعل «أليكس» واحتجت بعض الوقت لتجميع نفسي؟

بعد العشاء تبعتهم إلى البحيرة، إلى خارج الرصيف استدار يواجهني، شمس المساء شكلت هالة شديدة الحمرة حول رأسه، ابتسم.

«جميل أن أراك قد عدلت عن قرارك»

كنت ممتلئة بشعور واضح مثل شمس، كان هناك رد واحد فقط. على ما أذكر، لم أكن مضطرة حتى إلى محاولة تغليف نفسي بقوة زائفة في مواجهته قبل أن أنطق الكلمات .

«لم أعدل عن قراري» .

وصلنا إلى القارب و خرجنا إلى الجزيرة، حيث اختفي بدون أثر، ذهب تحت الأرض، كنت أبحث عنه لعدة أيام، أحاول أن أتصل به، ولكن دون جدوى. وفجأة عاد «أليكس» إن تنفسه في أذني يبدو هادئا ومطمئنا، أضغط على الهاتف أكثر على أذني حتى لا أسقطه، أعرف أنه في انتظار أن أقول له شيئاً ما، ولكنني لا أستطيع قول كلمة واحدة. صمت واضح من الشوق واللهفه قالها أخيرا.

هل مازلتي في مارهم؟

همهمت بإيجاب، كنت على وشك أن أساله أين هو، و لكن بعد ذلك أدركت أن هناك شيئاً يجب أن أعرفه أولاً ..

«كيف حال «سميلا» إنها لم تتأذى، أليس كذلك؟ أنت لم تفعل.»

لم أستطع إكمال الجملة، لقد أصابني الخوف والشك منذ اختفائهما، الخوف لا يمكن تخيله أو تصديقه، لا يمكن حتى وصفه، حتى على الرغم من كل ذلك لا يوجد سبب حقيقي لهذا الحد الكبير من القلق، على الأقل

ليست مرتكزة على القليل من تفاعلهم الذي سبق وأن رأيته، ومع ذلك، كنت أخشى أن «أليكس» قد يضر «سميلا» وهذا، ربما ينفس عن إحباطه، يمثل عليها بميوله الانحرافية، لا أستطيع أن أقنع نفسبي بالتلفظ بهذه المخاوف والشكوك بصوت عال.

حتى إنني لا أستطيع تحمل التفكير نيابة عنهم، ولكن هذا السبب جعلني أمكث في مارهِم بعد اختفاؤهم، كنت أشعر بتلك المسؤولية الملقاة على عاتقي، حمل ثقيل لن يرحل عن كتفي إلا بعد أن أعرف أن «سميلا» بخير.

تذكرت الرجل المسن في البيت البني، والذي قال لي أنه كان قد رأى «أليكس وسميلا»، تذكرت الكلمات التي كان يصف بها «أليكس». غاضبا أو مذعورا من الصعب أن أقول لكِ كيف كان، على الرغم من أنني لم أكن أعرف هل من الممكن أن يكون كلامه في محمل الجدية؟.

كلماته الأخيرة هي التي دفعتني إلى الذهاب للشرطة، من أجل سلامة «سميلا» لم أر أبدا «أليكس» خائفا، حتى أنني لا يمكن أن أتخيله وهو مذعور أو مرعوب، ولكنني على معرفة بسريرته وأنا أعلم جيداً ما الأشياء التي يفعلها عندما يكون غاضبا.

أخذ الهاتف من على أذنيه و تكلم مع شخص قريب منه.

«أنتِ بخير، أليس كذلك؟ هل يمكنك أن تقولي أنكِ بخير؟ في الخلفية، سمعت صوت «سميلا» يرد باندهاش طفولي، رددت الكلمات «أنا بخير» أغلقت عيني، و صورة سيقان الفتاة العارية تحت الشجيرات يتلاشى، وتركتني أخيراً في سلام.

«مع من تتكلم يا بابا»

سميلا لديها أربع سنوات فقط، ولكن يمكن أن أسمع بوضوح حذر

معين في صوتها. بينما أستمع إلى شرح «أليكس»، شيء يخص صديق طفولة قديم ،الشعور بالذنب يعود من جديد، الشعور بالذنب على دوري في حياة هذه الطفلة، دخولي في عالمها، تخيلت .وجهها الصغير المتحدي عندما وصلنا إلى الجزيرة، و»أليكس» يحاول إقناعي للذهاب إلى الشاطيء معهم، النظرة في عينيها عندما قال «أليكس» بتهكم وسخرية لا بد أن فاتتها بالكامل أن هذه نزهة عائلية، حبيبتي.

كانت تريد والدها كله لنفسها، لا أن تشاركه مع امرأة غريبة عادية، تطلعت من أعلى كتفي و رأيت أن «جريتا» الصغيرة المكسوة بالأسود قد تركت الأرض المقطوعة الأشجار. وأصبحت وحدي مرة أخرى، في منتصف الغابة، في مقبرة بدائية للحيوانات، مع فأس هو رفيقي الوحيد وعلى الطرف الآخر تبدو «سميلا» غير راغبة في أن تترك أباها في سلام.

الآن بعد أن علمت أنه يتحدث إلى شخص ما على الهاتف. بابا سوف يتحدث لفترة قليلة أطول يمكنك الذهاب واستخدام تابلت بابا إذا كنت تريدين. لماذا لا تلعبين اللعبة التي تحبينها كثيرا؟ نعم، «الفتاة التي تستطع التنكر في ملابس مختلفة».

أخيرا أسمع صوت طقطقة، ربما يكون الباب قد قفل، وهناك صمت في الخلفية، لم أعد أسمع صوت «سميلا» من قريب، تحرس والدها بغيرة شديدة، لمست الفأس، وأخذت نفسا عميقا.

قل لي ماذا حدث في تلك الليلة في الجزيرة. و فعلا قال لي: «بدأت سميلا تتعب من الرحلة الاستكشافية عندما قدمنا على نوع من أماكن التخييم على الجانب الآخر من الجزيرة، كان هناك قارب مقيد و به بقع دم في القاع، رفضت «سميلا» أن تستقله لذا اضطررت إلى رفعها على متنه، شرح لي أنهم كانوا في طريقهم للعب لعبة، ومفاجأتي، ويجب عليها أن تلتزم الصمت وأن لا تصرخ أو تهتاج، وبعدها جرفوا بعيدا عن الجزيرة.

أنـا أرتجـف، عـلى الرغـم مـن شـدة الحـرارة تخيلـت قـارب التجديـف الأبيـض. اسـمع صـوت «جورمـا» العـدائي يـدوي في رأسي، لقـد أخـذت شـيئا يخصنـا، أليـس كذلـك؟ وبعدهـا صوتـه تغير. إنـه لم يعـد «جورمـا»، إنهـا الشـابه «جريتـا» أظـن أنـه سـيهدأ عندمـا نجـده مـرة ثانيـة. لا تقلقـي. فأكملـت.

ثم ماذا ؟

«حسـنا إذا....» بعـد ذلـك سـاروا بـين الأدغـال متجهـين نحـو أصـوات حركـة المـرور مـن الطريـق السريـع و عندمـا وصلـوا أخـيرا إلى هنـاك، كانـوا محظوظـين بمـا فيـه الكفايـة لأن واحـدة مـن حافـلات المدينـة تأخـرت خمسـة عـشر دقيقـة. في الواقـع كان توقيتـا مدهشـا نامـت «سـميلا «معظـم الطريـق إلى البيـت، اسـتقل سـيارة تاكـسي مـن محطـة الحافـلات، وكان هـذا كل شيء.

لم يكن هناك شيء ليضاف .

أمـرر أصابعـي المرتعشـة عـلى المعطـف الـذي علقتـه عـلى جـذع الشـجرة السـاقطة، إنهـم عـادوا إلى البيـت، لقـد كانـوا هنـاك منـذ تلـك الليلـة، في حـين أن الهاويـة تفتـح عـلى مصراعيهـا تحـت قدمـي، وتهـددني بابتلاعـي بالكامـل، كان «أليكـس وسـميلا» آمنـين وسـالمين.

كان يمـزح معـي طـول الوقـت، رأسي تهتـز ببـطء مـن جانـب إلى جانـب أخـر. كنـت أعلـم بطريقـة مـا. كنـت أعلـم، ولكـن العلـم بالـشيء ليـس كفهمـه، سـألته بصـوت ضعيـف «كيـف لـك أن تفعـل هـذا ؟»

كان ردة مثل جلدة بسوط قديم

أحقا لا تعرفي؟

هـززت رأسي في صمـت، عـلى الرغـم مـن أنـه لا يـراني، يبـدو أنـه خمـن إجابتـي.

أردت أن أرى كيف تتصرفين. أو إذا كنتِ ستغادرين على الفور أو ستبقى هنا وتنتظري وتحاولي العثور علينا.

جذع الشجرة جامد ومبلل من تحتي، كياني كله يهتز، يدي ترتعش، ضغطت الهاتف بشدة على أذني حتى لا يسقط مني، هاتفي .الشيء الذي وجدته على فراش «أليكس» بعد أن اختفوا هل انتهى به الأمر إلى هنا، أو ربما وضعه «أليكس» متعمدا عندما كان يرتب الفراش؟ متى قرر أن يختفي مع «سميلا»، وجعل من المستحيل على أن أصل إليه، يمكن أن يكون هذا حقيقة واقعية؟ نجحت في أن أقول له لقد أقفلت هاتفك لا يوجد الكثير من التحدي إذا كنتي اتصلتي بي. صحيح؟ عاصفة بدأت بداخلي، أكان هذا السبب في أنه قام بالاتصال بي، ولكن بدون أن يقول لي أي شيء ليضاعف من توتري.

سألته عن المكالمات المتكررة، السكون على الجانب الآخر، و لكن «أليكس» رفض أن يكون مدان، وبكل صرامة و حزم، أكد أنه لم يتصل ،عندما أصررت، انزعج و تضايق.

«من بحق اللعنة يهتم ؟ هذا ليس مهما ،المهم في الأمر أنك لم تهربي، لقد بقيتي و هذا يعني أنك نجحتي في الاختبار.»

دوخة تجتاح جسمى شيئا فشيئا، تجعل ساقي تعرجان، أنا لم يغم عليّ، و لكن مما فهمته هذا ما أشعر به في العادة قبل حدوث هذه الفوضى في كل من الداخل و الخارج، هذا الظلام المعتم يمتصني رويدا رويدا، هل كان كل هذا حقا؟ لعبة؟ اختبار؟

ألا تفهمي أنه كان من أجل مصلحتك؟ كل تلك الأشياء التافهة التي قلتيها.... أردت أن أمنحك الفرصة لأن ترجعي إلى صوابك.

الأمر بهذه السهولة، أريدكِ أن تدركِ أنكِ لاتستطيعين العيش بدوني.

تخيلت ربطة العنق من الحرير الأسود، أرى يد «أليكس» تسحب العقدة لتضيق وتضيق حول رقبتي، بينما أنا موثوقة الأيدي، أقوس ظهرى في محاولة للابتعاد، تكاد عيني أن تتحول إلى زجاج أملس، ورئتاي تحترق، في الحقيقة أنا مقتنعة أنه كان يخطط لخنقي، بكل صدق في ذلك الحين في اللحظة الأخيرة سمح لي أن أستريح من هذه المعاناة، تركني أتنفس مرة ثانية.

تدركين أنك لا تستطيعين العيش بدوني، كل شيء يسقط بعيدا، يترك وراءه الحقيقة فقط، صعبة و غير مريحة كالشجرة التي أجلس عليها بإخضاعي لهذا العذاب و البلاء .

انتزع «أليكس» عن قصد ما تبقى من قوامي الهزيل، إنه كان من أجل مصلحتك، نسيم الصباح يتخلل الأشجار، تداعب حنجرتي بصفعاتها الثلجية من بين كل الأشياء الذي ابتلاني بها ،هذا أسوأ اعتداء علي .

بطريقة أو بأخرى نهضت من على جزع الشجرة والتقطت الفأس، ولكنني تركت المعطف حيث هو، كل شيء برق أمام عيني وأنا في طريق عودتي مرة أخرى من خلال الغابة. لا أستطيع النظر لأكثر من قدم أو قدمين إلى الأمام، فروع الأشجار تخدش وجهي، ولكن الألم يبدو أنه يأتي من مكان ما بعيد، كما لو أنه ليس جزءًا مني، سمعت نفسي أسال، والطفل؟ أي طفل؟ «الطفل الذي أنا عليه...»

«لا يوجد طفل تعرفين ذلك جريتا».

كانت كلماته مشحونة بالمعاني. ما الذي يقوله، ما الذي يتوقعه، سوف نكون نحن الاثنان فقط حتى في المرة القادمة، قرر أن يلعب بحياتي، لأن ذلك سوف يحدث مرة ثانية، لا شك في ذلك ربما سوف يستخدم ربطة

العنـق مـرة أخـرى، وربمـا يكـون شـيئا مختلفـا تمامـا، الـشيء الوحيـد الـذي أعرفـه هـو أنـه سـوف يتقـدم خطـوة إلى حـد أبعـد ثـم خطـوة أخـرى، لـن يهـدأ حتـى أستسـلم ربمـا قبـل هـذا بكثـير .

«أليكـس» يتحـدث عـن جميـع الملابـس والعرائـس التـي تركهـا ورائـه في الكابينـة، والأشـياء التـي تحتـاج إلى الإصـلاح .

هـو متأكـد أننـي أدركـت أنـه ربمـا لا يسـتطيع أن يهـرب الآن، لـذا هـو يريـد منـي أن أحـزم أكـبر عـدد ممكـن مـن أغراضـه وأحضرهـم معـي إلى السـيارة. سـوف يـأتي إلى الشـقة بمجـرد أنـه....

أنا قلت: «لا»

« لا»؟

« لا»

أفكـر في البـئر الـذي رأيتـه عندمـا كنـت أحـدق أسـفل ميـاه بحـيرة الخبـث، لـو كان فعـلا موجـودا، كان بإمـكاني دفعـك فيـه. هـذا مـا علمتنـي إيـاه في هـذة الأيـام. إذ أتيحـت لي الفرصـة، لكنـت قـد فعلـت ذلـك. أي شـخص إمـا أن يستسـلم أو أن يحـارب، و أنـا ابنـة أمـي. فليسـاعدني اللـه.

أنـا أعـرف ذلـك الآن : أنـا سـأتركك «أليكـس»، لقـد اتخـذت قـراري، وأنـا متأكـدة مـن قـراري أكـثر مـن أي وقـت مـضى، اقـترب منـي مـرة ثانيـة، أقسـم أننـي سـأقتلك.

لم ينطق بكلمة، غالبا أكثر من ثلاثين ثانية مرت قبل أن يتكلم.

« كما قتلتي أباكِ؟»

«بالضبط».

أسمع تلميحا لشيء في صوته، وأرتجف.

هل حقا فعلت ذلك؟

تركـت الصمـت يتكلـم نيابـة عنـي. جعلتـه يكـون ردي الوحيـد. و بعدهـا أنهيـت المكالمـة.

أمسـكت الهاتـف بيـدي والفـأس بالأخـرى، شـققت طريقـي عـبر جـذوع الأشـجار فيـما يبـدو أن «أليكـس» لم يفهـم شيء عمـن أكـون. أنـا لاشيء البتـة.

(33)

عانيت من مشقة الطريق عبر الغابة. لا يوجد أسلوب أخر لوصف تقدمي، الفروع الجافة تخدش وجهي، رؤيتي أصبحت أكثر تشويشا بدلاً من أن تكون أكثر وضوحاً. يزداد التوهج أمام عيني، عندما خرجت أخيرا من بين الأشجار وعدت إلى طريق الغابة، بدأ جسدي بأكمله متأرجحا، كما لو أنني في وسط محيط شاسع ممتليء بالعواصف والرياح العاتية. حملتني ساقي إلى الأمام، وسمحت لها بأن تختار وجهتها، دون معرفة ما إذا كنت أسير في الاتجاه الصحيح أم لا، هناك شيء قادم نحوي على الطريق. أهو شيء أو شخص ما.

إن يدي مشدودة بشكل مؤلم، وعلى الرغم من أنني لا أستطيع رؤية الأشياء التي أحملها حقاً، فأنا أعلم أنها موجودة، فكلاهما يشبه امتداد جسدي. الهاتف الخلوي والفأس. في هذة اللحظة، أصبحت واحدة معهم، ممسكة بهم بإحكام، أخذت على نفسي عهدا بعدم السماح لهم بالرحيل ،بغض النظر عما يحدث.

الوحش القادم نحوي مظلم و كثيف الشعر، إنه يتحرك بسرعة، بشكل ساطع، توقفت واعتقدت أن هذا ليس حقيقياً. أن ترى شيئا ليس له وجود من الأساس، أو ربما هي عدم قدرة على استيعاب ما هو موجود بالفعل- ربما تكون الحالتان وجهان لعملة واحدة.

لماذا أنا غير قادرة على تفسير ما أراه بشكل صحيح؟ الوحش قريب مني الآن، يأتي إلى بطريقة مباشرة، أشعر بشيء ناعم و بارد على ظهر يدي، كمامة كلب، وتنحت الضبابية جانبا، و فجأة رأيته بوضوح، لم أكن أنظر نحو الخارج بل إلى الداخل، هي ليست مسألة ضعف ذاكرة أو تجارب مشوهة. ما أفتقده هو الإرادة للاعتراف بما حدث لأبي. من، ومعرفة ما الذي حدث؟.

قلت «أنا أسفة». وانهمرت عيني بالدموع.

يبدو لي أن الكلب قد أخذ خطوة للوراء وهو يلعق فمه الآن. ثم نبح بصوت عال لا ينم عن غضبه، لكنه مرتبك. ينادي للشخص القادم من بعيد.

إنه الرجل من البيت البني، قال لي «مرحباً» مرة ثانية.

شرح «أليكس» كيف غادر هو وسميلا عبر الغابة، أصدائها تتكرر في ذهني، أنقل نظري من المخلوق الأشعث عند قدمي إلى الرجل المسن. رنوت إلى وجهه، «يجب أن تكون قد شاهدتهم عندما كنت في الخارج تتنزه مع كلبك» أتمتم، مما دفعني إلى قول كلماتي. «هل رأيتهم حقا».

شيء ما في مظهري يبدو أنه يبقيه. نادى على الكلب. انتابتني نوبة من الغثيان تبعتها انقباضة قوية في بطني. كما لو أن هناك شخص يرشق سكينا في أحشائي، الألم يتضاعف ،أسمع صوت الرجل، ونبرة الشك واضحة في كلماته، قبل أن أتمكن من الإجابة، عاودني لك الألم العنيف، يطعنني، طعنا، حتى أنني سقطت على ركبتي، خطرت فكرة في ذهني، الطفل، لا أستطيع أن أفقد الطفل. ليس هذا أيضا. تحاملت على نفسي بأن جعلت جسدي يستقيم وأنا أسير إلى الأمام، و لكن الرجل في طريقه، ملامحه غامضة، تعبيره غير قابل للفهم أو القراءة، ولكن صوته بدا عليه القلق

للغايـة، شيء مـا هبـط عـلى كتفـي، ضغـط بشـدة، هـل هـذه يـده ؟هـل يحـاول منعـي؟ يحـاول أن يبقينـي هنـا؟ الذعـر يزحـف نحـو، يمـدني بقـوة جديـدة عـليّ، يجعلنـي غاضبـة، ترتفـع الصرخـات العاليـة عـبر الطريـق، تنتـشر حتـى تصـل إلى الغابـة المجـاورة، حلقـي لاذع، ويحـترق وأدرك أن الـذي يـصرخ هـو أنـا.

يـده تريـد أن توقفنـي في مـكاني، ملـت و سـحبت نفـسي مـن تحـت يـده، وأنـا أرفـع الفـأس. هـدأت الريـاح، و كل شيء كـما هـو، الصـوت الوحيـد الـذي أسـمعه هـو عـواء الكلـب البائـس، وقـف الرجـل جانبـا، واسـتدار عـلى كعبيـه ورحـل، ربمـا كان يركـض.

عندمـا هـم الرجـل و الكلـب في الرحيـل، أدركـت أن الرجـل لم يمسـكني بيـده في اسـتعراض للقـوة ولكـن دفاعـاً عـن النفـس. لم يكـن ينـوي الإمسـاك بي هنـاك، ولكـن لإبقـائي بعيـدة بطريقـة مـا، رجعـت إلى الكابينـة، عـلى طـول الطريـق حالتـي كانـت تـزداد سـوءًا بعـد سـوء، بـدأت تقلصـات بطنـي في الإنخفـاض، ولكـن الألم اسـتقر في جـزء صغـير مـن ظهـري. ألم موجـع مـع وخـز، صـدري مقبـوض تمامـا، لدرجـة أننـي أتنفـس بصعوبـة، ترنحـت عـلى السـيارة المتوقفـة خـارج الكابينـة، واتـكأت عليهـا، السـيارة غـير مغلقـة، لذلـك فتحـت البـاب وجلسـت عـلى مقعـد السـائق. رأسي بـدت و كأنهـا مشـتعلة، حتـى أننـي لم أر إلا ومضـات خاطفـة مـن الضـوء، في هـذة الحالـة، لـن أتمكـن مـن القيـادة أكـثر مـن مائـة قـدم. سـوف ينتهـي بي المطـاف في حفـرة. أو التحطـم في سـفح الجبـل. كل مـا أحتاجـه هـو أن أصـل إلى الطريـق السريـع، وأسـتقل أحـد الحافـلات التـي تمـر عـبر مارهِـم كـما فعـل «أليكـس و سـميلا»، فركـت جبهتـي بقـوة، مـا زلـت لا أسـتطيع فعـل ذلك.ببـطء، رجعـت لألقـي نظـرة عـلى الكابينة، أرتـب في ذهنـي كيـف سـأقوم بجـرد الحقائـب والملابـس والاحتياجـات الداخليـة، كل شيء يخصنـي، كل شيء سـوف أحتاجـه، مجـرد التفكـير في ذلـك كان يتطلـب جهـدا هائـلا.

الآن أنا مرهقة لدرجة أنني لا أستطيع تخيل الخروج من هذه السيارة، ليس لدي طاقة تساعدني لهذا، أدوخ مرة أخرى، العالم أمامي يتأرجح ويفقد المتزن. لن أستطيع معالجة هذا أبدا.يجب أن تبقى متعلقاتي هنا، لا يوجد خيار آخر، ولكن القط . يجب عليّ على الأقل أن أحضر «تيريث» معي.

أنا.... صورة لصليب صغير مصنوع من الخشب تقطع حبل أفكاري على نحو قاس، طوق وردي هزيل .

مرة ثانية أشعر بوقع تأثير اعترافات الفتاة ذات الملابس السوداء، تذكرت أن «تيريث» لا ينتظرني في الكابينة.

انه لن يعود ابداً، شخص ما يجب أن يخبر «سميلا»، هذه البنت التي تفوح منها رائحة التفاح و الفانيلا، البنت التي تحب الأميرات ودُمَى باربي، البنت التي تعشق والدها.

سقط وجهي رغما عني على عجلة القيادة، ضغطتُ دون أن أدرك على آلة التنبيه بها، وراح صوت صفير حاد ينطلق في الفضاء، هناك شيء مقبض بشكل كبير بشأن هذا الصوت، أن من يسمع صوت التنبيه سيعرف تماما أنه صوت تنبيه، ولكن أنا الشخص الوحيد الذي أسمعه خارج السياق. يفقد الصوت كل المعاني، يصبح بلا جدوى، تماما مثلي، أو بالأدق مثل حياتي.

عدت إلى ذلك المساء، إلى مشهد «سميلا وأليكس» وهما ممسكان أيدي بعضهما في طريقهما على الرصيف، الغيرة والشوق اللذان شعرت بهما في هذه اللحظة مازالا متواجدان معي، أيمكن أن أكون قد فعلت نفس الشيء مع والدي منذ سنوات؟، شخص يحبني ويسير بجانبي، لا بد أنني أمازح نفسي، هل أسمح لي أن أعمي بسبب هذا الحنين القديم من أجل القرب؟

المـيراث الـذي أحملـه، المـيراث الـذي سـوف يحملـه طفـلي؟، ماما، أخبرينـي إذا كان الأمـر يسـحق ذلـك، هـل سـتقومين بنفـس الاختيـار مـرة أخـرى؟

في تلـك اللحظـة، اتصلـت بي، حدقـت النظـر في الهاتـف الـذي كنـت قـد وضعتـه عـلى مقعـد الراكـب بجانبـي مـع الفـأس. كانـت ماما.

أخـر مـرة تكلمنـا فيهـا أنهيـت معهـا المكالمـة، لم أتلـق مكالمـة ثانيـة منـذ مـا يقـرب مـن يومـين، أيمكـن أننـي لم أتحـدث معهـا لمـدة عشريـن سـنة؟ ليـس حقيقيـا، ألتقـط الهاتـف الصغـير اللامـع بـدون تفكـير؟ و قلـت «لا أريـد أن أكـون وحـدي بعـد الآن».

(34)

أنـا مازلـت في «مارهِـم»،لا زلـت في الكابينـة، مسـتلقية عـلى السريـر بملابـسي، والغطـاء مسـحوب إلى ذقنـي، في الحقيقـة لقـد سـحبت لحـاف مـن الجانـب الآخـر مـن السريـر ووضعتـه فوقـي .

مـن جانبـه، الرجـل الـذي لـن ينـام بجانبـي مـرة آخـرى، إذا اقتربـت منـي مـرة أخـرى، أقسـم أننـي سـأقتلك، أنـا أرتجـف وأسـناني تصطـدم ببعضهـا، ولكـن بإيمـاءة قاطعـة، أنـا حقـا لا أقصـد ذلـك، لـدي هـذا اليقـين بداخـلي أثنـاء كل هـذه السـنوات، وأنـا أتصـدى لهـذا الفكـر، لقـد حاولـت إقنـاع نفـسي أننـي لسـت كذلـك. ولكـن دون جـدوي. الآن أنـا أعلـم.

جسـدي يرتعـد مـن الـبرد عـلي الرغـم مـن طبقتـي البطاطـين، آلم الصـداع الـشرس يجعـل ضـوء النهـار يـؤلم عينـي، عـلي أن أنهـض، وأسـدل السـتائر، لا أسـتطيع حشـد الطاقـة، ماما، أسرعـي، عـلى مـا أظـن أن أمـي كانـت تتفاعـل بهـدوء كلـما ابتعـدت عـن الهاتـف، سـألتني أيـن كنـتِ؟ بعـد أن شرحـت لهـا وأعطيتهـا اتجاهـات واضحـة، قالـت: لي «ابقـي مكانـك سـوف أحـضر وأخـذك»

«لا تفعلي ذلك. لقد انتظرت طويلا ولكن أنت.... لم تأتِ أبدا»

تمتـزج الأفـكار والذكريـات معـا، في حالتـي المهتاجـة الثائـرة وجـدت نفـسي جالسـة عـلى الأرض في غرفتـي، أرى ضباطـا بالـزي الرسـمي يأتـون و يذهبـون، وأيضـا «روث» تـأتي وتذهـب، ورأيـت البـاب الـذي كان يخـص غرفـة نـوم أبي وأمـي، البـاب الـذي ظـل مغلقـا لفـترة طويلـة .صمتـت أمـي ثانيـة أكـثر مـن اللازم، هنـاك شيء مختلـف في صوتهـا، كـما لـو أنـه لا يمـت إليهـا، هـذه المـرة أنـا قادمـة حـالا. أعـدك» وأنـا أعلـم أنهـا تعنـي مـا قالتـه.

السرعـة في اتخـاذ القـرار وتنفيـذه هـو موطـن قـوة أمـي، لم يكـن هنـاك لـدي شـك في هـذا. كان جفنـاي يرتعشـان، وعندهـا أدركـت أننـي يجـب أن أنـام قليـلا، مفاصـلي تؤلمنـي وهنـاك سـخونة في جسـدي، مازلـت في مارهِـم، مريضـة و بائسـة، «تيريـث» مـات. لقـد انتهـى البحـث عـن «أليكـس و سـميلا». لا يوجـد سـبب واحـد يجعلنـي مسـتيقظة وممتلئـة بالشـوق والحنـين، وصلـت إلى المعرفـة بـأن النـوم قـادم، سـمحت لنفـسي بـأن يتـم جـرفي مـرة ثانيـة، انزلقـت في مـكان ضبـابي تدفعنـي الريـاح إلى الداخـل و الخـارج، حلمـت أننـي أعطيـت أمـي اتجاهـات خاطئـة، وأنهـا تقـود هنـا و هنـاك دون الوصـول، دون أن تجـدني.

خبطـات البـاب أيقظتنـي، في بـاديء الأمـر ظننـت أنـه جـزء مـن الحلـم، لكننـي أدركـت أنهـا حقيقيـة، أنـا مسـتيقظة تمامـا، أمـي.

إنهـا هنـا، كل شيء سـيكون عـلى مـا يـرام. مـا أزال ضعيفـة، ولكـن عـلى الأقـل جسـدي يطاوعنـي عندمـا أتحامـل عليـه وأذهـب صـوب القاعـة الأماميـة، ليـس لـدي خيـار، ماما ليـس لديهـا مفتـاح و بالرغـم مـن حالتـي البائسـة، فقـد كنـت شـديدة الحـذر في التعامـل مـع قفـل البـاب عندمـا دخلـت. أتذكـر أننـي تلقيـت تهديـدا قريبـا، بينـما أنـا أمـشي يغلبنـي النعـاس، تعجبـت مـا نـوع التهديـد الـذي تلقيتـه؟ مـن أيـن؟ مِـن مَـن؟ لا أسـتطيع أن أتذكـر؟ هربـتْ

الأفكار مني. أنا عند الباب، وصلت إلى القفل، أتخيل الشخص الواقف في الخارج، يدي ترتعش لماذا ؟ لماذا أرتعش من الخوف.

لأنني مريضة، لأنني مصابة بالحمى. ماذا أيضا؟ فتحت قفل الباب بحذر.

«أمي» أكاد لا أصدق عيني، إنها ليست أمي.

إنها طبيبتي النفسية الشقراء، المرأة التي تركت مكتبها منذ سنوات مضت، المرأة التي رنت كلماتها المشؤومة في أذني خلال الأيام القليلة الماضية، لقد غيرت من قصة شعرها، كانت تلبس بشكل مختلف عما أعرفه، لكنني تذكرتها على الفور. وأدركت أنني لابد في حلم، لا يمكن لهذه المرأة أن تقف هنا، على الدرجات المؤدية لكابينة «أليكس» .ليس حقيقي في واقع الأمر، المجداف الذي تحمله يجعل الأمر بأكمله غريبا وأقرب إلى الخيال .

كنت في حالة ذهول، اعتقدت أنه يوجد سبب لبحثها عني، لابد أنها تحمل رسالة لي، أخشى أن أستيقظ قبل أن يأتي الوقت، وأن يقول لي نص الحلم الخاص بالطبيبة النفسية ما تحتاج أن تقوله لي.

«كنتِ محقة» بتمتمة غير واضحة، كل شيء أخبرتني به كان صحيحا، ولكن ماذا الآن ؟ ما المفترض أن أفعله؟ كانت ترنو إلى وجهي وهي تضيق عينيها.

إذن أنتِ كذلك؟ إنه أنتِ؟

ثم رفعت المجداف، ربما لم يكن هذا حلم، أعتقد أنه هذيان. ثم إن الطبيبة النفسية صرخت بقوة.. وكانت صرختها مدوية .

تراجعت.لأنني أعرف هذا الصوت، هذا الصراخ. في لحظة وضوح غير

متوقعـة، رجعـت بذهـن] إلى ليلـة وصولنـا إلى مارهِـم، السـيارة بالخـارج، الشـخص الـذي رحـل والشـخص الـذي بقـى، «سـميلا»، والمـرأة صاحبـة الصرخـة، «سـميلا» وأمهـا، «سـميلا» وزوجـة «أليكـس».

رجعـت خطـوة للـوراء، بينـما كان هنـاك شيء مظلـم يصـدر صفـيرا في الهواء، هـذا الـشيء ضرب كتفـي وجانـب رأسي، ارتميـت بقـوة في مواجهـة الحائـط، شـعرت بجسـدي يتعـثر عـلى الأرض بعدهـا أسـود كل شيء في عينـي.

(35)

لقد ابتدأت وانتهت مع أمي، لكي تفهميني وتفهمي قصتي، يجب عليكِ أولا أن تفهمي ذلك في البداية، كانت أمي كل شيء، وكنت أنا أيضا، كنت نور حياتها، هذا ما كانت تقوله دائما. كان صوتها ناعما، اعتادت أن تأخذني بين ذراعيها، تضمني بقرب إلى جسدها الدافيء تجعلني أفهم أنني سأظل دائما في أمان معها، يفوح من جسدها عطر «الخزامي» عندما كانت تداعب شعري، كانت تستيقظ معي وتحضر لي الإفطار، تغطيني في الليل، كل صباح وكل ليلة لا تسمح لعملها، أو لصديقاتها، أو لأي شيء أن يلهيها عني أو يأخذها مني، لا أتذكر لحظة واحدة لم تكن فيها متواجدة عندما كنت أحتاج إليها، كل شيء فعلته كان من أجلي، لا يوجد شخص أحبني كما أحبتني هي.

عندما اتصلت المستشفى لتقول أنها كانت في حادث سيارة، كنت في البيت بمفردي مع «سميلا»، «أليكس» كان قد ذهب إلى «مارهِم» لينهي مشروعا كبيرا، على الأقل هذا ما قاله لي.

قالت الممرضة أن الأمر خطير، في هذه اللحظة، وكأنما انفتحت الأرض تحت قدمي، وكأنما هناك فجوة في صدري، كانت تلك السنوات الأولى بعد أن انتقلت من المنزل وتركت حضن أمي الآمن، في الحقيقة كنت ضائعة.

اكتشفت أن العالم كان مكان مخيفا بشعا، تدربت على أن أكون معالجة

نفسية، معتقدة أن هذا سيساعدني، لا أعرف لماذا أشعر وكأنني قط محبوب في الصيف، مهمل في الخريف، و لكن بعد ولادة «سميلا»، تناثر كل شيء، كان لدي مهمة كبيرة ملقاة على عاتقي، الأمومة أصبحت مهنتي، ووالدتي أصبحت أكثر من ملاذي الآمن، كانت نموذج حقيقي لي أتبع خطاه، كانت نورا يرشدني وسط ظلمتي.

أمسكت بالهاتف، كنت خائفة حتى أن أسأل.

«ما مدى الخطورة»؟»

«تعالى بأسرع ما يمكنك».

«سميلا» لم ترد الذهاب لأي مكان بدون «تيريث» وعرائسها، لذا أخرجت لها حامل القط و حقيبتنا الكبيرة، تركتها تحزم ما تحب. كانت تلك الأمسية من شهر أغسطس مظلمة تماما، ونحن متجهين صوب مارهِم، كنت مرتبكة، أقود السيارة بسرعة هائلة طوال الطريق، أرى بصعوبة بسبب الدموع التي أغرقت وجهي، أثار أقدام أمي على وشك أن تغسل تماما من على وجه الأرض، كان مثالها الذي حاولت دون جدوي أن أحاكيه، ولكن بدون نجاح، على وشك التلاشي، كيف لي أن أكون قادرة على المضي قدما أو تحمل ما سألاقيه في الحياة بدونها؟ .

توقفت السيارة أمام كابينة تخص امرأة أخرى، أدركت هذا في الحال، على الرغم من أنني نظرت إلى الجانب الآخر، لم أستطع فعل هذا بعد الآن، لم أبلغ «أليكس» بميعاد وصولنا، لم أطلبه على الهاتف إلا بعد أن كنا واقفين في الخارج على الطريق، ربما كنت أريد بطريقة لا شعورية أن أفاجئه.

عندما خرج، صرخت بأقصى قدرة سمحت بها رئتي، صرخت كما لو كنت على حافة الجنون، أو كما لو كان هذا حدث. بدون أدنى شك هذا ما سيقوله «أليكس» بالتأكيد.

لم يكـن لي أن أتـصرف بهـذه الطريقـة. عـلى الإطـلاق، كالمـرأة التـي كان يتمناهـا الرجـل، الـذي يعـرف معنـى التنـازل يقبـل، ينظـر في الاتجـاه الآخـر.

لا أتذكـر بمـاذا صرخـت؛ ربمـا لم تكـن هنـاك كلـمات أو عبـارات حقيقيـة، ربمـا كانـت صرخـة أوليـة طويلـة، منبثقـة مـن خـوفي، مـن أن أمـي عـلى وشـك أن تأخـذ منـي المـرأة الأخـرى

-أنتِ؟ لم تكوني مهمة في الحقيقة.

حينذاك لا.

تسـلل الحقـد بداخـلي لاحقـا، داخـل المستشـفى لمـدة يومـين وليلتـين، ظللـت أنظـر إلى جانـب فـراش أمـي، ممسـكة بيديهـا، أتواصـل مـع القـوى العليـا، لـو تـم لهـا السـماح بالعيـش، سـأفعل....ماذا؟ ليـس لـدي شيء لأقدمـه في المقابـل.

تسـاءلت مـاذا سـتطلب منـي أمـي، مـا هـى التضحيـة الملائمـة والتـي تليـق بهـا، الـشيء الوحيـد الـذي يمكننـي التفكـير بـه هـو «سـميلا»، الـشيء الوحيـد الـذي كان يعنـي أي شيء، الـذي كان قـد أخذتـه بعـين الاعتبـار، كـشيء ذو معنـى، وهـو أننـي أعتنـي بابنتـي.

، كان هذا من أجل «سميلا» وكنت على الاستعداد للتضحية بكل شيء.

فكـرت مـرة أخـرى في تلـك اللحظـة عندمـا وصلنـا فيهـا إلى مارهِـم، عندمـا اندفعـت «سـميلا» مسرعـة مـن السـيارة لترتمـي في أحضـان «أليكـس»، كيـف غمـرت رأسـها في صـدره، عندمـا رفعهـا إلى أعـلى كـما لـو أنهـا كانـت تبحـث عـن ملجـأ، كـما لـو كان أليكـس هـو الشـخص الوحيـد الـذي يقـدر عـلى منحهـا مـا تحـب .

«أليكـس» والمـرأة ينتظـران داخـل الكابينـة، كبينتنـا، والحقـد يملـؤني بالكامـل، بـكل معنـى الكلمـة، يغـلي ويتصاعـد داخـلي، لم أكـن أعـرف مـا يجـب

القيام به مع كل هذا الحقد الذي يجتاحني، لم أدر أين أو إلى من سوف سأوجه كل تلك المشاعر. ثم توفت أمي.

هناك لحظات من العذاب القاسي عندما أعتقد أنها لم تتوف بسبب جروحها، بل الحقد الذي قتلها، الحقد والكراهية اللذان انتشرا في جسمي مثل كالسم، لابد وأنه تسرب من جسدي، لابد وأنه تسرب من جلدي إليها، حين أمسكت بيديها عندما رجعت إلى البيت من المستشفى، كان «أليكس و سميلا» هناك، تكلمنا قليلا مع بعضنا البعض، لا تسعفني ذاكرتي لاستعادة أي شيء ما تحدثنا فيه، كل شيء كان مبهما.

مكثت في غرفة النوم والستائر منسدلة، تركتني أمي ولم تعلمني كيف أواجه الحياة ف يغير وجودها، استلقيت ببساطة كما لو أنني مخدرة، «أليكس» تركني وحدي في مرحلة ما، غفوت وحلمت أنه أتى إليّ حاملا صينية عليها سندويتشات وكوبا من الشاي، بينما جلس على حافة السرير، ووضع يديه حولي، كنوع من المواساة ولكنني عندما استيقظت كانت الغرفة فارغة.

عندما وضحت رؤيتي، لاحظت شيئا على منضدة «أليكس»، كان هاتفه الجوال. لفترة طويلة كان هنا بلا حراك، جلست ورحت أبحث في قائمة المكالمات الأخيرة، وجدت ما كنت أفترضته أن يكون اسمها و رقمها، واتصلت بها، عندما فتحت الخط، أنهيت المكالمة. فعلت ذلك كثيرا في سرية بدون أن يلاحظ «أليكس»، اتصلت مرة ثانية، لم أقل كلمة واحدة، مجرد أن استمعت إلى صوتها على الطرف الأخر، أغلقت عيني و تخيلتها في ذهني، أحاول أن أتخيل كيف يمكن أن تكون، وما هي أهدافها، ونواياها، ولكن حدث شيء غير متوقع، لقد بدأت تصرخ، تسبني، أغلقت الهاتف وخلدت إلى النوم، عندما استيقظت كنت وحيدة في غرفة النوم، وهاتف

«أليكس» اختفى، عندها قررت أنني نلت ما فيه الكفاية. نهضت، وخلعت رداء الحمام، وارتديت ملابسي ثم ذهبت إلى غرفة ابنتي، كنا نجلس على أرضية غرفة نومها، عندما شعرت بعينه تتبعني، توترت يدي قليلا ،ولكنني استمريت في مداعبة شعر «سميلا»، لم أستدر، إن كان هناك أو حتى ما كان تعبيره، كان متكئا على طرف الباب شابكا كفيه .

حسنا، هل استجمعت نفسك ؟ثم قال: هل من الممكن الذهاب الآن؟

أعرف أنه لايتكلم عن أمي، لم يكن محبا أبداً لها. أومأت ببطء. وقلت له: «مررت بهذا من قبل».

تكلمت بهدوء و طاعة، بالطريقة التي كان يريدها، لم أكن أنظر إلى عينيه، واستمريت في الصدود عنه، ربما كان نوعا من الاحتجاج، لو كنت أنا هذا النوع من النساء. أطبقت فمي، جاء ثم عاد مرة ثانية، كان هذا ما أردت أن أقوله لنفسي.

لقد ترك مارهِم، و ها هو هنا، يجب أن يعني هذا شيئاً، لم أستطع التخلص من الشعور بأن شيئاً ما على وشك التراجع والانهيار.

«سميلا» كانت تجلس في أحضاني تلعب بـ«التابلت»، كانت منغمسة في لعبة الأميرة، حاضرة الذهن فيما تفعله، حتى أنها لم تشعر بوجود «أليكس»، بخلاف ذلك لكانت قفزت وارتمت في أحضانه، مما دفعني إلى عدم الشعور بالغيرة.

قلت لنفسي، من أجلها، يجب أن تفعلي كل شيء من أجل ابنتك، هذا لزاما عليكِ.

قلتُ بصوت عالٍ: «الأطفال» عندما يكون هناك أطفال في الكادر، يجب عليك أن ترعاهم، لا شيء أخر يَهُم.

لا أعرف ما الذي جعلني أشعر بالشك. أكانت حركة مفاجئة؟ ورائي؟

هـل أبـدل «أليكـس» مكانـه عنـد المدخـل؟ هـل كان يرسـل نظـرات تعنـي عـدم الرضـا ؟ ربمـا كان سـكوته هـو الـذي جعلنـي اسـتدير، «أليكـس» الـذي لم يكـن أبـداً صامتـا . نظرنـا إلى بعضنـا البعـض، ومـا رأيتـه في عينيـه جعلنـي أتـرك «سـميلا» بعنايـة وأنهـض، عندمـا يكـون هنـاك أطفـال في الـكادر.

وكأنمـا غمرتنـي موجـة مـن صقيـع، أخـذت خطوتـين إلي الأمـام، انحنيـت أمامـه متوسـلة إليـه «قـل لي إنـه ليـس صحيحـاً». قـل لي «أنهـا ليسـت حامـل»

لسـبب مـا، لاحظـت أن «أليكـس» كان يحمـل هاتفـه، قبـل بضعـة دقائـق، قبـل أن أشـعر بوجـوده ورائي في غرفـة «سـميلا»، كنـت قـد سـمعت بابـا المكتـب وهـو يفتـح، ألم يغلـق البـاب منـذ فـترة طويلـة؟ ما الـذي كان يقـوم بـه «أليكس» هنـاك؟ التحـدث في الهاتـف؟ مـع مـن كان يتكلـم ؟ كانـت الإجابـة واضحـة، ولكننـي رفضـت نطقهـا، ببـطء انتقلـت بنظـري إلى الوجـه الخـاص بالرجـل الـذي وعدتـه ذات مـرة أن أحبـه، في المـرض و الصحـة. كان يبتسـم لي، أحـد جفنيـه بـدأ في الإرتعـاش، غريـب. ممكـن أن تفـسر هـذه الحـركات الصغـيرة السريعـة بأنهـا ناتجـة عـن الخـوف والاضطـراب، لكننـي عرفـت ذلـك، كان هنـاك شيء آخـر مختلـف تمامـا .إنـه انفعـال.

سـألني بهـدوء «أريـد أن أعـرف» إلى أي مـدى كنـتِ عـلى اسـتعداد في الاسـتمرار، أمـن أجـل مصلحتـي، أم مـن أجـل مصلحـة العائلـة؟

عندمـا تزوجـت «أليكـس» أُجـبرت عـلى الانتقـال بعيـدا عـن أمـي، عندمـا أنجبـت «سـميلا» خفضـت سـاعات عمـلي إلى النصـف تدريجيـا، ثـم توقفـت عـن العمـل بالكامـل. لم أر أي مـن زمـلائي السـابقين. لم أقـم بصداقـات جديـدة. و لم أتحـداه أبـدا، لقـد تعلمـت ألا أفعـل ذلـك بعـد تجـارب عديـدة أثنـاء تلـك السـنوات مـع «أليكـس»، وذلـك كلفنـي كثـيرا، حيـاتي الاجتماعيـة، عمـلي، اسـتقلالي – والاستسـلام هـو مـا فعلتـه، استسـلام دون قيـد أو شرط.

ما الذي تبقى، لاشيء؛ حتى أمي لم تعد موجودة في حياتي. ومع ذلك سألني «أليكس» ذلك السؤال، موضحا أنه كان يتوقع أكثر من ذلك، بينما هو.. مرة أخرى.. مع بعض النساء، في مارهِم، في الكابينة، لا أعرف كيف حدث هذا، لكني فجأة، وجدت نفسي في طريقي تجاه الصالة والباب الأمامي، ثم يتبعني «أليكس». عندما توقفت لأخذ مفاتيح السيارة من خزانة الملابس، أمسك بيدي، وراح يطوحها يمينا وشمالا، ثم ضم جسدي إلى جسده، ضغط بصدره عليّ، أقفل عيناه على شفتي، كما لو أنه يريد أن يقبلني، ثم قال لي «من دوني أنتِ لاشيء» .

هذة الكلمات... كم مرة قالها في وجهي، لا أعرف العدد الحقيقي، قالها كثيرا بنفس الطريقة، ولكن كان هذه المرة مختلفا على حد ما.

ابتعدت وركضت خارج الباب. لم أطلب الإذن. لم أقل إلى أين أنا ذاهبة، أو متى أخطط للعودة، توقف عقلي تماما عن التفكير. توقف الوقت عن الدوران.

السيارة تقود نفسها، فقط عندما رأيت إشارة الخروج من مارهِم، عندها أدركت أن هذا هو المكان الذي كنت فيه.كنت أتجه إليه طوال الوقت. كانت هناك سيارة تقف خارج الكابينة، نفس السيارة التي كانت من قبل، وقفت وراءها، خرجت من السيارة، ووقفت لبرهة من الوقت خلف الأشجار، على مدار بضعة أيام فقط، كل شيء تم أخذه مني، ليس فقط أمي، وأيضا عائلتي، حياتي المنظمة، بارتعاش حدقت في جدران الألواح الخشبية المرئية من خلال السياج، معتقدة إنكِ كنتِ في الداخل، الشخص الذي رفض أن يسمح لي أن يكون لدي ركن صغير لأعيش فيه بسلام، الشخص الذي اقتحم حياتي وحطمها بالكامل، بدون أدنى تردد، الشعور بأن شيء ما على وشك المجيء عاود التراجع مرة أخرى.

في السيارة اتصلت بالمنزل «سميلا» أجابت، ماما، أين أنت؟ متى ستعودين إلى البيت؟

أستطيع ملاحظة نبرة صوتها و أنها بحاجة إلى، مشتاقة لي، لأمها. ما أُجبرت «سميلا» أن تتحمله طيلة الأيام القليلة الماضية. كل ما لم أتمكن من حمايتها منها.... هناك شيء كنت في حاجة لتعويضها عنه

لا أعرف كيف أو لماذا.أنا أعرف فقط أنني شعرت كما لو أنني لا أمشي على الأرض، كما لو أنني مثل عنقاء تنهض من الأنقاض، انفض الغبار عني، أقوى من أي وقت مضى، لقد ضاع الكثير، لكن ليس كل شيء. سأقاتل من أجل ما تبقى، أكافح من أجل ما تركته، من أجل ما كان لي.

أخبرت سميلا أنني أحبها، بأنها النور الذي يرسم حياتي. شرحت لها أن والدتها كان عليها أن تفرغ من شيء ما، وعندما ينتهي ذلك الشيء، سوف أعود مرة أخرى. ووعدتها هي و بابا أننا سوف نعيش حياة سعيدة . وبعدها طلبت التحدث إلى «أليكس». بمجرد أن سمعت صوته على الهاتف، أخبرته أين أتواجد.

«الإجابة على سؤالك» وأضفت، هذا ماكنت أنوي فعله مهما كلفني الأمر.

أن أذهب بقدر ما هو ضروري. لقد استمعت إلى نفسي أتحدث برباطة جأش لم أعهدها من قبل، وبعدها انتظرت، استغرق الأمر دقيقة قبل أن يقول «أليكس» أي شيء، سمعت طقطقة وكحة، كما لو كان يوازن الكلام بصمت، بينما كان يملس بأطراف أصابعه على الهاتف، رد و قال «الكابينة مؤمّنة» إذا حدث أي شيء، إذا حدث على سبيل المثال ....حريق

سنحصل على الكثير من المال، قد يكون هذا شيئاً يجب تذكره»

شعرت بصلابة في رقبتي واستدرت إلى الوراء للنظر إلى الكابينة، لقد

أدركـت فجـاءة، أن الفجـوة التـي أصبحـت في صـدري عندمـا ماتـت أمـي تـم فتحهـا مـرة أخـرى، وامتـلأت بالكراهيـة، وعرفـت أخـيرا أيـن أوجـه تلـك الكراهيـة. هـذا المـشروع الـذي ذهبـت إلى مارهِـم مـن أجلـه، لإنهائـه، قلـت «ربمـا أسـتطيع مسـاعدتك في ذلـك»

هل هذا ما تريده؟

«إذا فعلت» هل ستفعل هذا من أجلي؟من أجلنا جميعاً؟

أنهيـت المكالمـة و خرجـت مـن السـيارة مجـدداً، مشـيت إلى الكابينـة وحاولـت فتـح البـاب، كان مغلقـا، نظـرت أسـفل العتبـة و لكننـي لم أجـد المفتـاح، لا مجـال للتراجـع. لا أسـتطيع أن أفقـد شـجاعتي الآن. بـدون «أليكـس».

و سـميلا، بدونهـم أنـا ميتـة أنـا لا شيء، ولا أملـك شيء، عيـوني تلسـعني ربمـا بسـبب الدمـوع و لكننـي اسـتجمعت قـواي مـرة أخـرى، البـكاء ليـس هـو مـا أريـده، مـا أريـده بالفعـل هـو كـسر رقبتهـا.

لم أفكـر أبـداً أنـه كان لي، أنـا حقـا لم أفعـل. و لكـن الآن... لاشيء كـما كان، حتـى أنـا و بالأخـص أنـا ،مـن يعـرف مـاذا أفعـل، أفكـر في قتـل شـخص مـا، لا أعتقـد أننـي قـادرة عـلى ذلـك، ولكـن ربمـا كنـت مخطئـة، كان يوجـد وراء السـقيفة مجـداف قديـم، ذهبـت والتقطتـه ثـم طرقـت البـاب.

(36)

عندما أتيت، استلقيت على الأرض الصلبة، رأسي تؤلمني، ولكن بطريقة مختلفة عن ذي قبل، كان الألم أكثر حده، متمركزا في جهة واحدة، أريد بالفطرة الغريزية أن أحك فورة رأسي، و لكن لا أستطيع، أيدي مكتوفة موضوعة على صدري، حاولت مرة أخرى ،هذه الحركة ترسل موجة كبيرة من الألم إلى كتفي، كما لو كان يتم تقطيعي بواسطة عشرات السكاكين الحادة. إنها تؤلمني بشدة، وأنا لا حول لي و لا قوة، أسمع ضوضاء حفر بالقرب مني، ظل يتحرك من أمامي، يصدر صوتا خفيضا، الكادر يتشوش وقبل أن يصبح العالم أسود يرجع مرة أخرى، المرأة بالخارج، صرخاتها ،المجداف في يدها، مرة أخرى قمت بتحرير معصمي، ولكن هذه المرة بعناية أكبر.

أستطيع أن أشعر بأن الحبال توثقهم، رؤيتي مهتزة، وأوجه صعوبة بالغة في التحرك أو تبديل الحركة بمجهود هائل، مما يؤدي إلى المزيد من الآلم، أدرت رأسي حتى أتمكن من رؤية باقي الغرفة . أين أنا ؟ سرعان ما ربطت السطح الصلب بأقرب الأشياء على مرمى بصري، الجزء السفلي من الأريكة، طاولة القهوة، مازلنا في الكابينة، أنا مستلقية على السجادة في غرفة المعيشة، يجب أنها سحبتني هنا عندما مررت.

نعومه فروة رأسي جعلتني أعتقد أنها جرجرتني من شعري. وبسرعة،

قمت بتحريك قدمي، ولم أتفاجأ عندما وجدتهما مقيدتان.أغلقت عيني مجددا، أشعر بالألم يدق في رأسي وكتفي .

حالة من خمول وألم تجتاحني، استسلام ينتشر في أنحائي، حتى لو لم أكن مقيدة، لن أستطيع الحركة أيضا، على الأقل كنت سأحاول أن أنهض وأهرب، لا يوجد شيء أستطيع فعله، لاشيء سوى الانتظار، صوت الخزائن التي تفتح و تغلق في المطبخ يصل إلى أذني، ضوضاء همهمة، ثم خشخشة ما، و بعد ذلك صوت سائل ينسكب، عندها سمعت صوت خطوات ثابتة تقترب مني، تقول بصوت قاسي و شديد ،»اشربي هذا» أجبر عيناي أن تفتح، في البداية وجدت صعوبة في الرؤية و التركيز، و لاحظت كوبا زجاجيا يقدم إلى، اليد الممسكة بالكوب الزجاجي شاحبة ورقيقة، نفس اليد التي أمسكتني من معصمي، المرة القادمة التي تواجهين فيها موقف ساحق أو مفاجيء فإن الأسلوب النمطي سوف يكرر نفسه، الأمور سوف تزداد سوءا بالنسبة لكِ، و سوف تغامرين بفقدان السيطرة والتوازن،في أسوأ السيناريوهات، هذا النوع من الحالة الذهنية يمكن أن يكون له عواقب وخيمة لكِ أو للمقربين لكِ.

طبيبتي النفسية السابقة و ووالدة «سميلا»، إنهم نفس الشخص، الزوجة مجهولة الهوية التي لم تبد لي حقيقية أكثر من صورة كرتونية، إنها هنا طول الوقت، لا يبدو ذلك ممكنا، هذا جنون، حتى لو كنت أرغب في أخذ الكوب الزجاجي، فلن أستطع، زمجرت المرأة بعدم صبر، كما لو كان خطئي إنني مقيدة، وضعت الكوب جانبا، يبدو أنها أدركت أنني في حاجة للمساعدة كي أشرب، أمسكتني من تحت ذراعي، وسحبتني بقسوة لوضع الجلوس، صرخت من الألم في كتفي و لكنها لم تبالي.

أجلستني بجوار الأريكة، تدفعني بكوعها إلى أن أكتسب جسدي بعض

التـوازن كـما لـو أننـي جـوال مـن البطاطـس، أو أننـي شيء غـير حـي، وعندهـا حملـت الـكأس إلى شـفتي.

«هيـا اشربي هـذا». حنجـرتي ظمآنـة مـن شـدة العطـش، أطعتهـا وأخـذت جرعـة كبـيرة. أحسسـت بحرقـان في حلقـي، و عـلى الفـور أدركـت خطئـي، لمـاذا أعطتنـي شراب كحـولي؟ قمـت بتدويـر رأسي بعيـداً عـن الزجـاج وبصقـت بقـرف، محاولـة أن أتخلـص مـن آخـر قطـرة بداخـل فمـي .

مـاذا ...لمـاذا .....؟ لسـاني جـاف ومتـورم، ولا أسـتطيع السـيطرة عليـه،و لكـن الكلـمات المفككـة التـي أبـدو في تفسـيرها.

أنـا أعـرف كل شيء عنكـما، لقـد قـال لي «أليكـس». «أنـا أعـرف حتـي عـن الطفـل. الرضيـع. أنـت تتوقعـين طفلـة، يجـب أن تعلمـي أنـه شيء ببسـاطة لا يمكننـي قبولـه».

اقتربـت أكـثر وشـممت رائحـة شـامبو، حلـوة، رائحـة عطـرة زهريـة، إنهـا تشـبه تمامـا رائحـة «سـميلا».

حسنا .«اشربي الآن الباقي»

كلماتهـا تـتردد، وهـي تعطينـي الكـوب الزجاجـي، نظـرت لعينيهـا، لونهـما أزرق فاتـح، أذكـر أنهـا جلسـت إلى جانبـي عـلى كرسـيها ذو الذراعـين، تسـتمع بصـبر إلى أخبـاري المراوغـة فيـما يزعجنـي حقـا، كل سـؤال طرحتـه يتـم الإجابـة عليـه بسـؤال آخـر، لم تـسرد شيء عـن نفسـها ،الآن هـي تجلـس أمامـي، نفـس المـرأة، و مـع ذلـك فهـي مختلفـة عـن المـرأة التـي عرفتهـا مـن قبل،أنـت تتوقعين طفلـة، أنـا ببسـاطة لا أقبـل ذلـك، إنهـا تخطـط لـشيء آخـر، نحـن نحـدق في بعضنـا البعـض، الكراهيـة التـي تشـع منهـا كانـت واضحـة، هـل كانـت تمتلـك هـذه الكراهيـة في ذلـك الوقـت ؟ الكراهيـة المخفيـة خلـف قنـاع وجههـا زائـف.

«أنتِ....، بصوت أجش. أنتِ قلتي...»

كل شيء يعتمد على الاعتراف الشخصي، على الرغم من حالتي غير المتزنة أدركت أنه يجب عليّ بطريقة ما إن أذكرها بي لتراني، ليس كامرأة ارتكب زوجها الزنا، ولكن كمريضة سابقة.

شخص ما كانت لديها علاقة مهنية به، أو حتى مسؤلية، إذا كنت فقط أستطيع جعلها تدرك من أكون، لن تكون قادرة على إيذائي. أو إيذاء الطفل بداخلي. أتنفس، وأحاول البحث عن صوتي الضائع، «طبيب نفسي، أنتِ طبيبة نفسية».

لا يزال وجهها صامتاً. إنها حتى لا ترمش.

«هل تتذكرينني؟ أنا كنت-»

ردت، «أغلقي فمك وأشربي».

أدركت أنها تعلم من أنا، لقد تعرفت إلى، و لكن هذا لا يهم، إنها مجرد مصادفة غير سعيدة، و لن تؤثر إطلاقا على خططها، أتراجع، أشعر بأن جزء من جسدي يسقط على الأرض، لا أريد شيئا أكثر من محو من ذاكرتي، كل شيء قاله وفعله «أليكس» معي، كل ما حدث بيننا وأريد أن أفعل ذلك الآن، لا مجال للصبر لدي، أريد أن أقلعه من جلدي كمثل ضمادة قديمة، لا يهمني إذا كان خلعها مؤلم، أنا أبتلع بصعوبة.

ما تركه داخل جسمي- لو سمحت له بالنمو والعيش- سوف يذكرني به إلى الأبد.

ببطء شديد، أحرك رأسي من الشمال إلى اليمين، لا، لن أفعل ذلك.

أصابع صلبة تنزعني من ذقني و تجبرني على فتح فمي، قبل أن أفهم ما يحدث، كان هناك سائل يتدفق داخل حنجرتي، لا أستطيع التنفس، ولا

البلـع، لـكِ أحصـل عـلى الهـواء عينـاي ممتلئتـان، بالدمـوع مـن الألم والهلـع، أفـكاري تـدور في دوامـة لا نهائيـة.

لا أسـتطيع أن أتركهـا تـؤذي الحيـاة التـي تنمـو بداخـلي، دفعـت رأسي بقـوة حتـى أن ذقنـي ضرب حافـة الكـوب الزجاجـي، وتسـبب هـذا في وقـوع الكـوب مـن يديهـا، كل شيء حـدث في وقـت واحـد، حركتـي المباغتـة جعلـت كتفـي يؤلمنـي مـرة أخـرى، ومـا تبقـى داخـل الكـوب سـقط عـلى صـدري، بلـل قميـصي، جلـدي يمتـص الكحـول أثنـاء مـروره عليـه، في نفـس الوقـت يـد ضربـت خـدي بصفعـة مدويـة، جعلـت رأسي عـلى وشـك الانفجـار.

قالـت حسـنا، علينـا بتكـرار المحاولـة بطريقـة أخـرى، ثـم أمسـكتني ثانيـة أقـل أو أكـثر، ثـم رمتنـي فارتطـم ظهـري عـلى الأرض، هبـط جزعـي بخبطـة عنيفـة، سـهام الألم العنيفـة تخـترق رأسي و كتفـي، تـشرق رؤيتـي إلى عـشرات مـن المناشـير الزجاجيـة المتـلألأة، ثـم تظلـم الدنيـا ببـطء ،بطريقـة أو بأخـرى لا بـد لي مـن البقـاء واعيـة، لا يمكـن أن أستسـلم للإغـماء، هـذا كل مـا أفكـر فيـه. أشـعر أنهـا تبتعـد عنـي، متجهـة إلي البـاب الأمامـي.

وفجـأة، خطـرت في بـالي فكـرة جديـدة، الفـأس مـاذا لـو وجـدت الفـأس، كل شيء سـينتهي، بطريقـة مـا أحتـاج أن أنهـض وأدافـع عـن نفـسي، أقاتـل مـن أجـل حيـاتي، لا أسـتطيع أن أقـف، لا يمكـن أن أتدحـرج عـلى جانبـي، لـذا دعنـا ننهـي الأمـر، عـلى مـا أعتقـد أنهـا دفعـت البـاب بقـوة خلفهـا، لم أسـمع صـوت مفتـاح يـدور في القفـل، و لكـن هـذا لايهـم، أنـا لـن أسـتطيع النهـوض مـن هـذه الأرضيـة، والظـلام يزحـف ببـطء، ببـطء، نظـرت عـلى السـقف مـرة أخـرى، لكنـه غـاب أيضـا في الظـلام.

(37)

خطـوات بطيئـة وثقيلـة، شـخص مـا يتمتـم بـكلام يخـص البنزيـن، أنـا متاكـدة أنـه يوجـد صفيحـة مـن البنزيـن في السـقيفة، سـمعت صـوت أمـي، كانـت مندهشـة و حـذرة في البدايـة، وبعـد ذلـك قلقـة ومضطربـة فجـأة توقفت العبـارات، الدقائـق تمـر، مـرة ثانيـة افتقـدت الإحسـاس بالوقـت، أجفـاني ترفـرف، مفتوحـة، ملامـح مألوفـة تنظـر لي، تجلـس عـلى بعـد مسـافة منـي، سـاكنة .

ماما !وجدتني، لقد أتيتي!

كان هـذا مـا أريـد أن أصرخ بـه، ولكـن فمـي رفـض أن يطيـع ،بطريقـة مـا، تمكنـت مـن التحـرك بمـا يكفـي لجـذب انتبـاه أمـي، تبـكي، تميـل إلى الأمـام، القلـق يملؤهـا، قالـت

«جريتـا» أنـا هنـا الآن. هـل أنـتِ بخـير؟ هـل هـي مربوطـة بإحـكام ؟هـل هـذا هـو سـبب عـدم اندفاعهـا نحـوي؟ شـفتاي تشـكل كلـمات، و لكـن لا شيء يخـرج.

أمـي تتوسـل «مـن فضلـك» وتحـول رأسـها، «دعينـي أذهـب إلى ابنتـي وأرى كيـف هي»

إذن هـي ابنتـك؟ أصـوب نظـري في الاتجـاه التـي تنظـر إليـه أمـي لأراهـا،

إنهـا تتـكيء عـلى الحائـط ليـس أكـثر مـن بضعـة أقـدام مـن الكـرسي حيـث تجلـس أمـي ،شـعر طويـل أشـقر يسـقط عـلى وجههـا .

فسـتان صيفـي أزرق مزهـر، و سـترة مـن الصـوف المشـغول، عاديـة ومنتشرة، كانـت سـتبدو كأي امـرأة أخـرى، إذا لم يكـن معهـا هـذا الـشيء الطويـل في يديهـا، بمجـرد أن أدركـت ماهيـة هـذا الـشيء حتـى انهـارت معنويـاتي ولكنهـا عـادت لترتفـع في وجـود أمـي، مـرة أخـرى وجـدت الفـأس الـذي أحضرتـه للدفـاع عـن نفـسي ،لذلـك مـن السـهل معرفـة لمـاذا لم تجـرؤ والـدتي عـلى التحـرك بـدون إذن. «دعينـي أذهـب إليهـا»

مسـدت الطبيبـة النفسـية شـعرها بانفعـال شـديد، إلى أن تشـبك أصابعهـا في عقـدة، تحـاول انتـزاع يدهـا عـدة مـرات، عـلى أن حررتهـما في النهايـة .

تحركاتهـا غـير منتظمـة، يبـدو أنهـا مشوشـة وغـير مؤكـدة. لم تكـن هـي عندمـا كنـا نحـن الاثنـين معـا، فقـط لمـاذا أنـا؟

عندمـا حـضرت إلى الكابينـة كنـت وحـدي، كـما كنـت متوقعـة لوصـول أمـي ،أخذتهـا المفاجـأة.

هـل لديـكِ أطفـال؟ سـألتها أمـي بـدون الارتعـاش الخفيـف في صوتهـا، إذا كان لديـكِ أعـرف أنـكِ فهمـتِ.

صمتـت للحظـة، يبـدو أن الطبيبـة المعالجـة تفكـر مـع نفسـها، وأخـيرا، لوحـت بالفـأس في وجـه أمـي. حسـنا، لكـن تذكـري، لقـد حصلـت عـلى هـذا، لـو حاولـت فعـل أي شيء لـن أتـردد في اسـتخدامه، ماما كانـت راكعـة إلى جانبـي، حبيبتـى مـا هـذا التـي أقحمتـي نفسـك فيـه؟ بلطـف لمسـت وجهـي بيديهـا، تحـرك أصابعهـا البـاردة عـلى وجهـي ورقبتـي، أفكـر إنهـا يجـب أن تـرى العلامـة، علامـة ربـاط عنـق «أليكـس»، أجبـت عـلى سـؤالها، ثـم تذكـرت فـروع الشـجر التـي احتكـت بي في الغابـة، والجـرح أعـلى عينـي، المجـداف الـذي صفعنـي عـلى

جانب رأسي وكتفي، أفكر في المشروب الكحولي الذي سال على صدري، نعومة فروة رأسي، ويداي وساقاي الموثوقين، كدمة عمرها ثلاثة أيام، من المحتمل أن يكون شيء أخر مزعج عن مظهري في الوقت الحالي.

مالت أمي أكثر كما لو أنها تريد أن تقبلني، بدلا من ذلك، سمعتها تهمس في أذني.

«لم أكن أعلم أنها كانت هنا، لقد هاجمتني، أخذت حقيبتي وهاتفي في اللحظة الأولي...»

خطوات سريعة تقترب، تم طرد ماما، عندما كان تقودها للخارج، سمعتها تتوسل لها،«من أم إلى أخرى».

كل هذه الكدمات و الجروح.... ابنتي حقاً بحاجة لي الآن. ولديها حمى شديدة. على الأقل دعيني أعطيها بعض الماء. الكلام عن الماء يجعلني أشعر بألم في حلقي. رأسي تبدو و كأنها مشتعلة، أحتاج أن أشرب أي شيء، الآن فعلت ذلك حقا. ولكن صبر الطبيبة النفسية علي ما يبدو قد نفذ، مع عدم تأكدها بشأن اتخاذ قرار ما.

بفظاظة، رجعت أمي إلى الكرسي حيث كانت تجلس من قبل.

وقالت ببرود « لست ملزمة أن أفعل أي شيء» الشيء الوحيد الذي أحتاجه الآن هو أن أنهي هذا. مالت على أمي لتفعل شيء، ولكن لا أعرف ما هو، لست في حاجة إلى ربطي قالت ماما بهدوء.حتى لو تمكنت من فك «جريتا»، فهي ليست في وضعية تسمح لها بأن تذهب إلى أي مكان. و أنا لن أحاول الفرار.أنا لن أغادر هذه الكابينة بدون ابنتي.

توقفت الطبيبة النفسية للحظة، أكاد أرى من ظهرها أنها مترددة، ثم إنها استنكرت وتوقفت عما كانت تفعله، تمتمت «لم يكن عليكِ المجيء إلي

هنا» لست أخطط أن أترك أي شهود، رعشة ترج جسدي كله، بقلق أحاول أن أتحرك، أشعر بالرباط يأكل معصمي. ماالذي تنوين فعله بالضبط ؟ سؤال أمي لم يتم الرد عليه، تتمتع الطبيبة النفسية بلغة جسدية قاسية، تمسك الفأس بكلتا يديها، نظراتي مثبتة على وجه أمي، على شفتها العليا تكون القليل من العرق، لفترة طويلة لا أحد يتكلم، ثم إن أمي مدت يديها نحو الفأس، وقالت لها «إعطهِ لي» أعطني الفأس، حتى لا تفعلين شيئا تندمين عليه.

إنها نبرة الصوت المتسلطة المسيطرة عليها، والتي أعلمها علم اليقين. أشعر بوخز تحت ثنايا جلدي كلما سمعته، لا يا أمي لا تفعلي، لا تفعلي ذلك.

تستمر أمي بتملقها وملاطفتها «أنت لا تريدين فعل هذا»

خطت الطبيبة النفسية إلى الجانب واعترضت رؤيتي، لا أستطيع أن أرى وجه أمي بعد الآن.لا أستطيع سماع صوتها، «أشعر أن بداخلك امرأة ذكية وراشدة، أنتِ غاضبة أشد الغضب، الآن أنتِ تعرفين أنكِ لا تسطيعين إيذاء «جريتا» تعرفين أن هذا لن يكون جيدا».

الفزع يتزايد على شكل نحيب بداخلي، تتقلص عضلات وجه الطبيبة، ألا ترينها يا أمي؟ «ألا تفهمي؟ ابقي صامتة»، ولكن أمي لم تفعل ما قالته، نهضت وواجهت المرأة وجها لوجه، كلا منهم نفس الطول، «دعيني أخبرك عن ابنتي»

«أنا أحذرك لأنك لو تعرفين «جريتا» كما أعرف، لو تعرفين كيف تبدو لن تكوني قادرة على إيذائها».

شيء من كلام أمي أثر فيّ، لمسني، وطمأنني بعض الشيء.

ولكـن هـذا امتـد لدقائـق، و بعدهـا رفعـت الطبيبـة النفسـية صوتهـا، ودفعـت أمـي بكوعهـا عـلى الأرض، وصرخـت بصـوت عـال رن في أذني.

-«أنا أعرف. أنا أعرف بالضبط من تكون ابنتك. إنها عاهرة وسفاحة»

تـدور حولنـا، تتحـرك بسرعـه كبـيرة؛ حتـى إن شـعرها الأشـقر يشـق اهلـواء فيصـدر أصواتـا مثـل صفـير سـياط، ثبتـت نظراتهـا نحـوي. رفعـت الفـأس. واندفعـت إلى الأمـام.

(38)

كان لزامـا عـلى أن أغلـق عينـي، لأنـه للحظـة أصبـح العـالم كلـه أسـود، سـمعت صراخ، فتحـت عينـي، وعـلى بعـد عـدة أقـدام قليلـة، كانـت والـدتي ملقـاة عـلى الأرض، وإحـدى ذراعيهـا ممـدودة نحـوي، بيننـا طاولـة القهـوة، تقـف الطبيبـة النفسـية، يدهـا ترتفـع، ثـم تنـزل بالفـأس، والـذي شـق أهلـواء بقـوة، وضرب هدفـه، قسـمه إلى نصفـين، الطاولـة احتجـت بصريـر مـدو عندمـا انشـطرت إلى نصفـين، ضربتهـا مـرارا وتكـرارا بطريقـة غريزيـة، اسـتدرت لأحمـي وجهـي وجسـدي، عينـاي لا تـكاد تـرى، نظـرت أسـفل الأريكـة أسـتمع لذبـح الطاولـة المسـتمر وراء ظهـري .

شيء أصـاب رجـلي، بلاطـة جافـة هبطـت عـلى وجهـي المملـوء بالعـرق البـارد، لم أسـمع صـوت الفـأس يـدور في الهـواء، أو تحطـم الخشـب إلى أشـلاء، لبضـع لحظـات طويلـة لم أجـرؤ أن ألتفـت ورائي، خوفـا مـما سـوف أراه، ولكـن أخـيرا تدحرجـت بحـذر لأرى الحجـرة، الشـيء الـذي أصابنـي سـقط عـلى الأرض وتدحـرج، كانـت قـدم مـن أقـدام الطاولـة.

ماتبقـى مـن حطـام طاولـة القهـوة انتـشر في جميـع أنحـاء غرفـة المعيشـة، قطـع كبـيرة وصغـيرة.

ماما مازالـت مطروحـة عـلى السـجادة واضعـة يديهـا عـلى أذنيهـا، تـئن

بهـدوء، اختفـى التعبـير الفضـولي ونـبرة الصـوت. كـما لـو تـم تجرديهـا مـن دروعهـا الواقيـة والآن هـي ببسـاطة نفسـها.

ببساطة أمي.

ركعـت الطبيبـة النفسـية عـلى ركبتيهـا أمامهـا، وسـحبت يـدا أمـي بعيـدا عن أذنيهـا، «الآن جـاء دورك للاسـتماع، وأنـا أسرد لـكِ قليـل عـن ابنتـك المحبوبـة» ألا تعـرفي أنهـا أغـوت رجـلا متزوجـا، رب أسرة، زوجـي، والـد «سـميلا».

أمعنـت والـدتي النظـر إليّ، أعـرف أن عيناهـا مليئتـان بالأسـئلة الموجعـة، كـما لـو أنهـا سـتنطق بهـم بصـوت عـالٍ.

«لذلـك هـذه هـي المـرأة التـي....؟ إنـه زوجـك...؟ والطفـل الـذي تحملـه»، حيـث الألم و الإنهـاك سـيطروا عـليّ مـرة أخـرى، الطبيبـة النفسـية جلسـت مربعة الأرجـل عـلى السـجادة، تجمـع الأجـزاء التـي طـارت مـن الطاولـة المحطمـة، تتحـرك بطريقـة ميكانيكيـة، شـعرها مطـوٍ خلـف أذنيهـا، تـاركا وجههـا واضـح، أصبحـت رؤيتـي أكـثر حـدة، الآن أسـتطيع أن أراهـا بوضـوح .ألاحـظ الملامـح المتوتـرة، والبقـع السـوداء تحـت عينيهـا، هـل قـال لهـا نفـس الأشـياء؟.

«الجـزء الخـاص بزوجـك»... صـوت أمـي ضعيـف وتركـت الجملـة دون أن تكملهـا، عوضـا عـن ذلـك بـدأت مـن زاويـة مختلفـة.

و لكن السفاح....

أنـا لا أفهـم لمـاذا قلـتِ هـذا؟ مـاذا تعنـين؟ الطبيبـة النفسـية لا يبـدو عليهـا أدنى خـوف أو ارتبـاك، وعـلى الرغـم مـما حـدث للتـو، لا يبـدو أن المـرأة أعـادت النظـر في قرارهـا بعـدم ربـط أمـي، فجـأة أدركـت السـبب.

كانـت تعـرف أنهـا تمتلـك الورقـة الرابحـة بمجـرد أنهـا سـترد الضربـة النهائيـة، مـما يجعـل أمـي لا حـول لهـا ولا قـوة .

قبـل عـدة سـنوات، وقبـل كل هـذا، كانـت ابنتـك واحـدة مـع عمـلائي، لقـد

أتت فقط عدة مرات، لكنها أخبرتني.... حسناً، اسمحي لي أن أضع الموضوع على هذا النحو: أنا أعرف سرك الصغير القذر. «إن ابنتك دفعت بوالدها الذي هو زوجك من خارج النافذة، هي التي قتلته».

خيم السكون على الغرفة مثل غطاء معتم، لفترة طويلة، لم أتمالك نفسي، وكنت أنظر إلى أمي، و لكن في النهاية كان عليّ أن أفعل هذا، بالطبع هي مستلقية على جانبها محدقه النظر إلى سقف الغرفة، وشفتاها مشققة، لا أستطيع النظر إليها، بدت كما لو أنها تم تحطيمها إلى قطيعات صغيرة، وبدا أن شخص وضع الأجزاء في أماكنها الخاطئة.

لم أرَ هذا التعبير منذ سنوات، ليس منذ تلك الليلة، نظراتها تنزلق من السقف على الحوائط وتتركز على عيني.

أنتِ اخترتها؟ أعتقد أننا تعاهدنا ألا تخبري أحدا بما حدث.

لأول مرة في عمري أرى شيئا مثيرا للشفقة في عينيها.

«ماما .أرجوكِ. كنت في الثامنة من عمري»

ربما قلت ذلك بصوت عال، ربما فكرت فقط في الكلام، أنا لست متأكدة، ربما بسبب الألم و القشعريرة التي تضربني، غيوم أمي تتحول إلي الداخل، إنها تنزلق بعيدا عني، داخل نفسها. «نعم، بالطبع». على الأقل سمعت ما اعتقدت أنها كان تهمس به .

نعم بالطبع، استمرت الطبيبة النفسية في العمل بتركيز كبير، تتحرك بسرعة، وبعد فترة انتقلت إلى رف المجلات، إلى حزمة مربوطة من الصحف، مزقتهم بنفس الشراسة التي هاجمت بها طاولة القهوة، ثم وضعت بعض من الصفحات الممزقة أسفل قطع الخشب الكثيرة، والبعض الأخر على القمة. تحتضن الفأس ،بينما هي جالسة مربعة الأرجل، في وضعية استعداد وتأهب، أدركت أنها في طريقها إلى صنع حريق كبير.

دوامة صغيرة من الغثيان تزداد بداخلي، هذه هي خطتها، أن توقد نار هنا على الأرض، أن نندفع بمجرد أن تشتعل النيران وتحاصرنا، ربما أغلقت جميع النوافذ عندما كنت فاقدة الوعي، لم أكن قادرة على الخروج عندما بدأت النيران في الاشتعال، حتى لو تمكنت من النهوض والترنح إلى الباب؛ فلن تسمح لي المرأة بالهروب من النيران، سوف يكون بإمكانها فعل أي شيء لتتأكد من بقائي في الكابينة، حتى تجتاحها النيران تماما. بحلول ذلك الوقت، سوف ينتهي الأمر، بالطبع. كم من الوقت يستغرق ملء حجرة بالدخان؟ لاستنفاذ كمية الأوكسجين الموجودة، ليس أكثر من بضع دقائق.

أدرت رأسي إلى الجانب الآخر، فتحت فمي، و تركت القيء ينسكب، أشعر أنني أسقط، أغرق، لا أمل في الخلاص.

لو استطاعت أمي فقط الهروب. حقا ما كان عليها أن تكون هنا، ليس لها علاقة بأي من هذا.

أراها تسند نفسها ببطء على كوعها، وتتحرك لوضعية الجلوس على الرغم من أننا في نفس الغرفة، صوتها يبدو بعيدا، كما لو أنه يأتي من مسافة بعيدة .

«أنا أعلم جيدا كيف تشعرين».

أنا لست الشخص الذي تتحدث إليه، الطبيبة النفسية توقفت واستدارت لترى عبر أمي، شيء ما يشتعل على وجهها، شيء صغير من الحيرة والتردد، عاودت مرة أخرى ما كانت تفعله ،تتأمل الأرفف والطاولات، وتحاول البحث ربما عن ولاعة .نهضت وأخذتها ثم اتجهت إلى كومة من الخشب على الأرض.

قالت أمي « في أغلب الأحيان أفترض أن أغلب الناس يكذبون ويحاولون أن يخفوا شؤونهم، ولكن ليس زوجي، كان يستمتع برميها في وجهي،

مستخدما إياهم كسلاح ضدي عند جدالنا الكثير، الحقيقه البسيطة إنه كان يستمتع بإيذائي» .

تحدق أمي إلى الأمام، شعرها في حالة من الفوضى، وبلوزتها متجعدة، و لكنها لا تعطي أي انتباه لمظهرها، كلماتها تبدو عارية ومكشوفة، لكنها جادة بكل معنى الكلمة.

يدا الطبيبة النفسية مازالت تعمل، و لكن هل أنا على حق في الاعتقاد أنها أبطأت؟ كما لو أنها في انتظار شيء ما؟ ماما مستمرة، لا تزال لا تنظر إلى أي منا.

خلال سنواتنا معا، كان يخدعني باستمرار، كان هناك دائما امرأة جديدة، ولطالما حلمت بالأخذ بالثأر، تمزيق وجهه إربا، أمسك بشعر امرأة وأضرب جمجمتها على الأرض، يد الطبيبة النفسية ترتعش،تفقد السيطرة على الولاعة، لا تقوم بأي محاولة لإشعال الولاعة، شعرها الطويل معلقا على جبهة رأسها، يخفي عينيها، ثوان عديدة مرت ،صوت مكتوم «قال ما الذي أدركته؟».

إنني كنت أوجه أوهام الانتقام إلى نحو الاتجاه الخاطيء، إن هؤلاء النسوة، كان ليس لديهن ما يفعلنه، هو الذي اختار أن يحطم الحياة التي تقاسمناها، هو الذي دمر حياتنا، أضغط على أعيني لأقفلها، لدي الرغبة وعدم الرغبة في الاستماع، لو ماما لم تتوقف، لو قالت أي شيء، مرة ثانية إبهام الطبيبة يتحرك صعودا و هبوطا، تنقر الولاعة ثم تطفؤها فعلت ذلك مرارا وتكرارا .

« هذا ما يريده» .

قالت في النهاية، تقريباً بتحدٍ. «قال لي ذلك».

إن «أليكس» يعرف أنها هنا، يعلم بخطتها، ليس فقط على علم،

ولكـن ربمـا أمرهـا بـأن تفعـل ذلـك، طلـب منهـا أن تتخلـص منـي، الغرفـه تـدور، أشـعر بيديـه عـلى خـدي، طبطبتـه التـي أعطـاني إياهـا في الصبـاح عندمـا أخبرتـه أننـي راحلـة، لا، لا تفعـلي. وسـمعت صوتـه عـلى الهاتـف عندمـا اتصـل في النهايـة، أريـد أن أمنحـك فرصـة أن ترجعـي إلى رشـدك. أود أن أجعلـكِ تدركـين أنـكِ لا يمكنـك العيـش بـدوني. هـذا مـا كان يعنيـه حرفيـا.

أفهـم. وهـل هـو أب جيـد؟ هـل سـيكون قـادراً عـلى ذلـك عـلى تعويـض غيابـك بينـما «سـميلا» -أليـس هـذا اسـمها-، بينـما تكـبر «سـميلا»؟

صوت أمي كان هادئا بشكل غير طبيعي، و قالت «ماذا تعني «؟

رويـدا رويـدا، زحفـت أمـي إلى الأمـام عـلى مقربـة أكـثر مـن المـرأة الأخـرى، بطريقـة غـير إراديـة قبضـت يـدي، الحبـال تقاومنـي وتحـك في جلـدي، الفـأس، ماما، عليـكِ أن تأخـذي الفـأس بعيـدا عنهـا.

و لكـن أمـي توقفـت، ويبـدو أن سـبب تحركهـا عـبر الأرضيـة كي تتمكـن مـن النظـر في عـين المـرأة. أن تجبرهـا أن تحـول نظرهـا عـن الولاعـة، القتـل أو الحـرق. كلاهـما جرائـم خطـيرة للغاية.سـوف تنالـين حكـم بالسـجن لفـترة طويلـة، ربمـا حياتـك بأكملهـا ،أفترضـت أنـكِ فكـرتي في ذلـك، وهـو أيضـا ،لابـد وأنـه أخـذ ذلـك هـذا في الاعتبـار وهـو يقـول لـكِ أن تفعـلي هـذا .

مـرة ثانيـة خيّـم السـكون .لفـترة طويلـة. أشـعر باحتقـان كبـير في وجهـي، وعندمـا بحثـت ،وجـدت أن الطبيبـة النفسـية تنظـر إليّ، كانـت لاتـزال ممسـكة بالولاعـة بإحـكام، أشـارت بإصبعهـا، عيونهـا الزرقـاء أزعجتنـي، ولكنهـا وجهـت كلامهـا إلى أمـي، «لقـد وقفـتِ وشـاهدتِ ابنتـك تقتـل زوجـك. ثـم قمـتِ بحمايتهـا، جعلـتِ الجميـع يعتقـد أنهـا كانـت حادثـة» .

أخـذت أمـي نفسـا عميقـا، وأنـا أدرك أنهـا تسـتجمع قواهـا، محاولـة أن تجعـل صوتهـا أكـثر ثباتـا.

«هـل هـذا مـا قالتـه لـكِ «جريتـا»؟ هـل هـذا مـا قالتـه لـكِ عـلى أنـه حـدث؟»

رمـت الطبيبـة النفسـية شـعرها للـوراء، لا، ليـس بكلـمات كثـيرة لم تقـدر عـلى الاعـتراف، عندمـا وصـل الأمـر إلى ذلـك أطلقـت ضحكـة عديمـة الفـرح، لا سـعادة فيهـا.

إنهـا هربـت منـي، هـذا كل مـا قالتـه. إننـي أتذكـر ذلـك جيـدا .مـن الواضـح أنهـا كانـت تكـذب. أي شـخص سـيتذكر شيء كهـذا .

«ماما لم تجـب، فقـط أومـأت برأسـها، كـما لـو كانـت تفعلهـا بنفسـها. بعـد ذلـك نهضـت مـن عـلى الأرض تترنـح المسـافة المتبقيـة إلى الطبيبـة النفسـية، ووقفـت إلى جوارهـا.

« ليس صحيحاً. هذا ليس ما حدث».

توقفـت للحظـة، ثـم انحنـت إلى أسـفل مـرة أخـرى، تمايلـت أكـثر بالقـرب مـن المـرأة، حتـى إن أنفهـما كادتـا أن ترتطـم ببعضهـا البعـض، «اعتقـدت أنـكِ تعرفـين مـا حـدث بالفعـل. ولمـاذا كان عـلى الأمـور أن تظهـر بالطريقـة التـي كانـت بهـا».

أغلقـت عينـي، لا يـزال الوقـت متوقفـا، الصمـت هـو سـيد الغرفـة، هـل مـا تـزالان تنظـران إلى بعضهـن البعـض، إذا كان الأمـر كذلـك، فـماذا ترين في عيـون بعضهـن، لسـاني جـاف وأشـعر بتـورم في فمـي أيضـا، رأسي و كتفـي يخفقـان مثـل قلبـي المتوجـع، بعـد دقيقـة، سـمعت خطـوات تقـترب، أحسسـت بشـخص يجلـس القرفصـاء إلى جانبـي، أصابـع محترسـة تلمـس خـدي، وعندمـا فتحـت أعينـي و جـدت وجـه أمـي يحـوم مـن فوقـي.

إنهـا تبتسـم وقالـت بصـوت ضعيـف. «أنـتِ شيء مسـكين»، كل هـذه السـنين، و الآن هـذا.

بـدون تـردد مالـت للأسـفل لتفـك الحبـل مـن حـول معصمـي، توقعـت أن الطبيبـة النفسـية سـتوقفها، توقعـت أنهـا سـتأتي مندفعـة ومعهـا الفـأس، تصيـح بالتهديـد والوعيـد، ولكـن هـذا لم يحـدث. بعـد أن تمكنـت أمـي مـن فـك وثـاق يـدي، حولـت انتباههـا إلى كاحـلي، بينـما تسـحب أمـي الحبـل وتفـك العقـد ألقيـت نظـرة خاطفـة عـلى الطبيبـة النفسـية، كانـت تجلـس بـلا حركـة عـلى السـجادة أمـام كومـة الخشـب غيرالمشـتعلة، عيناهـا مثبتـة ناحيـة الولاعـة، بعـد أن فكـت وثاقـي نهضـت أمـي بتـأوه مكتـوم ووقفـت هنـاك، تنفسـت بصعوبـة قبـل أن تسـتدير مـرة أخـرى، المـرأه كانـت في منتصـف الغرفـة.

« أنـا ذاهبـة إلى المطبـخ لأجلـب لابنتـي كوبـا مـن المـاء، عندمـا أرجـع سـوف أخـبركِ القصـة إن أردتِ، قصـة عـن الأمهـات والبنـات ومـا الـذي يمكـن أن يحـدث لـلأزواج المخادعـين. و لكـن عليـكِ أن تضعـي ذلـك عـلى الأرض».

ثـم إنهـا خرجـت مـن الغرفـة، وتركتنـي وحـدي مـع الطبيبـة النفسـية، شـعرت أن جسـمي متصلـب، و لكـن المـرأة الأخـرى لم تتحـرك. حتـى أنهـا لم تلـقِ بنظرهـا نحـوي، مجـرد إنهـا جالسـة هنـاك ممسـكة بالولاعـة، تقلبهـا بـين الإبهـام و السـبابة .

اسـمع أمـي تتحـرك في المطبـخ، تفتـح صنبـور المـاء ثـم تقفلـه، عـادت حاملـة في يدهـا كوبـاً كبـيراً مـن المـاء، سـحبتني إلى وضـع الجلـوس، ثـم وضعـت ذراعهـا حـول ظهـري، و سـاعدتني أن أشرب، الإحسـاس بالمـاء البـارد الـذي يسـقط في حنجـرتي هـو شيء رائـع، يجعلنـي أشـعر بالـدوار، ولدقيقـة نسـيت كل شيء.

وضعـت أمـي الكـوب بعـد أن فـرغ عـلى طـرف الطاولـة، اسـتدارت إلى الطبيبـة النفسـية، تابعـت نظراتهـا، رأيـت أن الطبيبـة قـد تـرددت لوقـت قصـير قبـل أن تسـقط الولاعـة جانبـا، ثـم ذهبـت ماما والتقطتهـا .

والفأس أيضا، « لا أستطيع أن أتكلم و هذا الشيء في الغرفة» .

التقطت الطبيبة الفأس الملقى بجوارها بدون أن تنطق كلمة واحدة، نهضت، أرجحتها في يدها. للحظة، أنها استجابت فعلاً، و لكنها بعد ذلك غيرت رأيها .الفأس سيبقى. رفعت أقرب ركن من السجادة، ووضعت الفأس تحت ثتياتها، ثم جلست على الكرسي ووضعت يدها على جذعها دون أن تنظر إلى أي منا .

ثم قالت : «هيا..أرو قصتك» «وبعدها سوف نرى».

أخذت أمي نفسا عميقا اضطجعت على الأريكة خلفي وقالت بعض فترة طويلة، «حسنا سأخبركِ ماذا حدث بالفعل في وقت متأخر من ليلة سبتمبر منذ زمن بعيد».

لا أستطيع رؤية وجهها من هذه الزاوية، أدرك أن هذه هي الطريقة التي تريدها أمي.

(39)

عـلى عكـس «جريتـا»، أنـا أتذكـر كل التفاصيـل المتعلقـة بتلـك الليلـة، مثـل حقيقـة أننـي كنـت أتجمـد، ولكنـي لم أطلـب منـه أن يغلـق النافـذة. السـيجارة كانـت في يـده، وهجهـا يتزايـد كلـما سـحب نفسـا منهـا، أنـا حتـى أتذكـر كيـف كانـت ورقـة السـيجارة تتفـكك بـين يـده، وأتذكـر مـاذا كان يقـول، كل كلمـة.

مـا تبقـى مـن السـائل يتحـرك ذهابـا وإيابـا في الكـوب عندمـا كان يضربنـي، بالطبـع كانـت هـذه طريقتـه. أفضـل دفـاع. كان هـذا هـو شـعاره عندمـا كنـت أواجهـه، ماكنـت أراه وأسـمعه وأدركـه كان يتـم التعامـل معـه بنفـس الطريقـة، لم يعـترف أو حتـى ينكـر، أو حتـى يعتـذر أو يطلـب الغفـران. بـدلا مـن ذلـك كان يسـخر ويسـتهزأ، يطلـق هجـوم مضـاد عـلى ويجعلنـي أشـعر كـم أنـا شـخصية مثـيرة للاشـمئزاز كامـرأة. مـن القـرف أننـي جعلـت قضيبـه يهـن ويضعـف، قبيـح بمـا فيـه الكفايـة، متذمـر وكثـير الشـكوي .

«...أمك»

اعتـدت الظـن بأننـي قويـة، إنـه يحتاجنـي حتـى لـو لم يـدرك ذلـك، أقنعـت نفـسي أننـي كنـت نفـس الشـخص الـذي معـه كـما كنـت في العمـل، مـع أصدقائي في داخـل العـالم.

شـخص يرفـض أن يتعـرض للاسـتفزاز أو الإهانـة نسـبيا، هـذا عمـل جيـد،

عندما ضرب رجلا في عضوه الذكري مرة ثانية وسبه كثيرا، فقط أعرف أنه عندما يقول «.. أمك» أفقد كل شيء، كما لو أنه يمزق كل ثيابي ليكشف عُريي، كما لو أنه ينزع ضلوعي عن بعضها ويمسكها في قبضته، ويبعثرها، إلى أن وجد الشيء الهلامي الذي هو أنا. حتى أوقف القدر ذلك بيننا، أجبرني على النظر إليه، ثم إنه أجبرني أن أعترف بما أعرفه وما كان يزعمه طوال الوقت، لا يهم مدى صعوبة محاولة خداع نفسي وباقي العالم للتفكير أنني ذكية ومميزة. في أعماقي كنت لا شيء، كنت عديمة الملامح، كتلة صغيرة ترتعش، هذا كل شيء.

ظاهريا فعلت كل ما بوسعي للحفاظ على الواجهة الاجتماعية، ليس لأنني كنت أخشى أن يكتشف الناس الرجل الذي يعجبهم ويحترمونه، الرجل الذي تزوجته. لا بالطبع. كنت أخشى أن يكتشفوني، إنني ضعيفة تحت السطح يظهر أنه متين وقوي.

«روث» المرأة الوحيدة التي كانت تعرف، وكان مسموحا لها أن تعرف، كم كنت هشة قابلة للكسر، قابلتها من خلال عملي، لبعض الوقت، عملنا في نفس القسم، وعندما تمت هيكلة الوكالة التي أعمل بها، بقينا أصدقاء.

في ذلك الوقت، لم تكن «روث» مهمة فقط بالنسبة لي، بل أيضا عنصر أساسي بطبيعتها العقلانية والثابتة، وتفكيرها السليم. كانت بالنسبة لي شريان الحياة، أثق بها على نحو مطلق، و لكن عودة إلى هذه الليلة، عندما اعتقدت أن الجدال انتهى، وكنت على وشك أن أرتدي سترتي وأخرج للتمشية في الحي لأهدىء من نفسيتي، حدث شيء من شأنه أن يغير كل شيء .

قال لي: «أنا أعرف ما فعلتيه لجريتا. ضربك لطفلتنا؟ كيف يمكنك أن تفعلي هذا؟

كان صوته حادا، وكلماته قاسية وباردة كهواء يندفع من خارج

النافـذة، نظرنـا إلى بعضنـا البعـض في صمـت، ولكننـي أجـبرت نفـسي عـلى التراجـع، اضطـررت، «مـاذا قالـت «جريتـا» ؟

أخـذ سـحبه أخـرى مـن سـيجارته، رفـع ذقنـه ليطـير الدخـان عاليـا في الهـواء، وبعـد ذلـك ضحـك. «جريتـا»؟ لم تقـل أي شيء إنهـا مريضـة، هـذه اللعينـة مواليـة لـكِ

ولكن بعد ذلك كيف....؟ من الذي...؟

مـازال الوقـت كـما هـو، وفي نفـس الوقـت يبـدو أنـه يمـر بسرعـة كبـيرة، كان يحـدق النظـر في وجهـي لفـترة طويلـة، ثـم ارتفـع أحـد الحاجبـين .

«حسنا. من تعتقدين أن يكون؟»

«هناك شخص واحد يعرف، وأنها لن تفعل ذلك أبداً..»

«روث» لـن تخوننـي أبـدا. هـذا مـا قصدتـه. عـلى الرغـم مـن أننـي لم أكمـل الجملـة. تجاهـل، و مازالـت هـذه الابتسـامة السـاخرة عـلى وجهـه. أطفـأ السـيجارة وسـحقها بقدمـه، ثـم اضطجـع بشـكل أكـثر راحـة ومـدد سـاقيه عـلى النافـذة، أسـقط مـا تبقـى مـن مشروبـه في كوبـه، ولم يقـل كلمـة واحـدة، مكـث منتظـراً، فكـرت في «روث» التعبـير عـلى وجههـا عندمـا حاولـت أن أشرح لهـا مـا كنـت أفعلـه في مطبخهـا، عندمـا اسـتمعت إلى نـداءاتي.

روث، هـذا يجـب أن يبقـى بيننـا، حسـناً؟ أتعرفـين مـا سـوف يحـدث إذا تركـت العمـل. سـوف أخـرج عـن شـعوري و أتحـول إلى شيء غـير جيـد. سـأكون المـرأة التـي تـضرب طفلتهـا، ولا أحـد عـلى الإطـلاق سـوف....

صحيـح أن الأمـور بـدت أكـثر توتـرا مـن المعتـاد لنـا منـذ تلـك الليلـة ولكـن لم يكتشـف أحـد في العمـل هـذا، كنـت متأكـدة مـن ذلـك، كنـت قـد لاحظـت، لم تقـل «روث» أي شيء لهـم.

فلماذا أخبرت زوجي من بين كل الناس؟، قلقها على جريتا؟ لأنها تشعر بالقلق أنني قد أضربها مرة أخرى؟ لا، روث تعرفني أحسن من ذلك.

«لكن لماذا؟» لماذا قالت لك عن ذلك؟ ربما في تلك المرحلة، كان جزء مني على علم بالشخصية الصغيرة التي بدأت تتحرك وتقترب. إذا كان الأمر كذلك فإنني لن أشكو حقا.

لم أعد أتقبل أي تدخل خارجي، كل شيء غرق في الإجابة التي قدمها.

أوه «تعالى، أليس هذا واضحا ؟»

كان عقلي قد كون صورة كاملة حول ما حدث في شقة «روث» هذه الليلة، صورة متزاحمة التفاصيل، الحقيقه أنه عندما فتحت «روث» الباب كان هناك شيء مختلف في طريقة استقبالها لي، التوتر بدا على وجهها، عندما أخبرتها عن المرأة العارية في غرفة معيشتي، والطريقة التي نهضت بها على الفور من طاولة المطبخ ،أدارت لي ظهرها، و بدأت في تفريغ غسالة الأطباق، وقالت لي ربما كان عليك التفكير في ذلك منذ وقت سابق، سألتها ماذا تقصد .

«لديك زوج جذاب للغاية» ،كنت على دراية بما أنتِ مقدمة عليه عندما تزوجتيه.

ربما كان علي أن أبدي المزيد من الاهتمام لما قالته، كنت على عكس «روث»، ربما كان عليّ أن يكون لدي رد فعل قوي ومختلف، ولكن في هذه اللحظة جاءت «جريتا» إلى المطبخ، كانت تريد العودة للمنزل، كل شيء كان فوضوي بداخلي، وهناك إحساس بالإحباط واليأس .وبعدها قالت هذه الكلمة في وجهي، وجدت يدي تطير في الهواء و تهبط على خد ابنتي بسرعة كبيرة، كل شيء حدث بسرعة كبيرة تماماً، تماما كما فعلت هذه الليلة منذ ثلاثة أشهر مضت. لم أكن أمشي بل اندفعت إليه. أمد كف

يـدي، دفعتـه في اتجـاه صـدره، وجانـب جسـده بـكل مـا اسـتطعت مـن قـوة، رأيـت الدهشـة في عينيـه، كيـف كان وجهـه مذهـولا وهـو يهبـط عموديـا مـن خـلال النافـذة المفتوحـة، لم يكـن يتوقـع شيء كهـذا. أخذتـه عـلى حـين غـرة، «جريتـا» كانـت هنـاك، إلى جانبـي، وصلـت إلى النافـذة المفتوحـة، ولكـن بعـد فـوات الأوان، لقـد ابتلعـه الظـلام، ربمـا تلاقـت أعينهـم للمـرة الأخـيرة، الأب وابنتـه. ومـن المحتمـل أن هـذا لم يحـدث.

قضيـت يـوم وليلـة مسـتلقية عـلى السريـر وحـدي، البـاب مغلـق، معزولـة عـن ابنتـي، النـاس تكلمـوا معـي، و لكـن لا أجـد إجابـة شـافية لهـم.

في البدايـة، كل مـا كان لـدي عبـارة عـن صرخـات ودمـوع. كنـت قـد اختزنتهـا عـلى نحـو صـارم مـن قبـل .بعـد ذلـك عندمـا أفـرغ جسـدي كل مـا بداخلـه، خيـم السـكون عـليّ، اسـتغرق الوقـت منـي أربـع و عشريـن سـاعة، إلى أن تمكنـت مـن اسـتعادة قـواي لـكِ أنهـض مـن الفـراش مـرة أخـرى، اثنـان و عـشرون سـاعة قبـل أن أنظـر إلى عينـي ابنتـي ذات الثـمان سـنوات، كانـت تقترب منـي، أخذتهـا بـين أحضـاني، أهمـس داخـل أذنيهـا، إن كل شيء قـد انتهـى، وأننـا سـوف نتحـرك الآن، وأنهـا يمكنهـا الاعتـماد عـليّ، قلـت كل هـذا ولكننـي لم أطلـب منهـا السـماح و الغفـران.

بمجـرد أن ذهبـت إلى غرفتهـا ونظـرت في عينهـا وهـي جالسـة عـلى الأرض، أدركـت أن هـذا سـيكون مسـتحيلا، لـن تسـامحني أبـدا.

لمـدة ثلاثـة وعشريـن عامـاً. لم نتكلـم أبـدا فيـما حـدث، لم أكـن في حاجـة لأسـألها مـاذا أخـذت منهـا ،أو أي نـوع مـن الأشـخاص أصبحـت. لذلـك، إنهـا لـن تسـامحني حتـى الآن.

(40)

الدموع تنهمر من أعيني المقفلة و تتدفق على وجهي، ارتفاع في درجة حرارتي مصاحب بحمى، لقد رفضوا السماح لي أن أرى أبي بعد ذلك.

أنا لست متأكدة أنني أردت رؤيته، ولكنه لم يكن شيئا حتى أفكر فيه. ما قيل لي أنه يمكن أن يكون مجروحا بطريقة مرعبة، تخيلت جمجمته المتحطمة، عظام خده، وأنفه المهشمين، لذلك لا يوجد شيء سوى جسداً مشوها.

كان الأمر بشعا أكثر من اللازم للتفكير به، لذلك قررت في وقت مبكرا أن أفكر فيه بأقل قدر ممكن. وأفضل ألا يحصل على الإطلاق.

بدلا من ذلك، خلقت صور أخرى. بنفس الطريقة التي خلقت بها أيضا تفسيرات أخرى. ولكنها تهرب مني .

كلمات أمي أزالت الغشاوة عن عيني، كشفت ما كنت أقوم بكبته وإخفاؤه، كشفت الأمر الذي كان حبيس صدورنا في تلك الليلة، والانقسام الذي نما بيننا على مر السنوات. و لكن اعترافها لم يكن الوحيد الذي أربكني هناك شيء آخر، يد امتدت من الخلف لتمسك كتفي، أردت أن ألمسها ،ولكنني لم أستطع، ألقيت باللوم على التخدر الذي أصاب أطراف أصابعي، ولكنني لست متأكدة أن هذا هو التفسير الوحيد.

أنـا آسـفه جـدا جريتـا، لـضربي لـكِ في هـذا الوقت،وبعـد ذلـك منعـك مـن الدخـول، و تـركك بمفـردك. كان هـذا شـيئا فظيعـاً.

كان ذلـك شيء لا يغتفـر. و لكننـي أتمنـى أن تكـوني قـادرة عـلى ذلـك.... أنـا... آسفه جدا.

لا تـزال الدمـوع تنهمـر عـلى وجهـي ببـطء، بهـدوء ،كامـرأة كبـيرة، المشـاعر المتجمـدة تتـلاشى، وتنحـسر بعيـدا، دمـوع مـن الحـزن و الغضب،ولكـن أيضـا مـن العـار.

لقـد افتقـدت والـدي، حزنـت عليـه بشـدة، جسـدي بالكامـل يؤلمنـي، كانـت الحيـاة بعـد موتـه، أكـثر هـدوء، لا لنوبـات الغضـب، لا شـجارات ليليـة، ماما كانـت ألطـف و أكـثر بهجـة، أكـثر راحـة، وأنـا في شـدة الخجـل مـن الاعـتراف بذلـك. أمـي تضغـط عـلى كتفـي، ثـم تُرَبّـت عـليّ بحنـان، نهضـت، وسـألت الطبيبـة النفسـية أيـن الحـمام؟ عندمـا عـادت أدراجهـا كانـت قـد مـلأت الكـوب بالميـاه مـرة أخـرى، وفي يدهـا الأخـرى منشـفة رطبـة، ركعـت إلى أسـفل وقامـت بتنظيـف وجهـي بلطـف شـديد، تجفـف الدمـوع، وتمسـح الـدم بعيـدا، نظـرت إلى يدهـا، تلـك الأيـدي! الأيـدي التـي .... أغمضـت عينـي، ورأيـت يديـن تفتحـان راحتيهـما، ويقذفـان في الهـواء جسـد رجـل بقسـوة ليسـقط، نفـس الـشيء عندمـا ركـزت نظـري عـلى ميـاه بحـيرة الخبـث، باسـتثناء الرجـل الـذي رأيتـه لم يسـقط في البـئر، ولكـن مـن النافـذة، والأيـدي التـي رأيتهـا لم تكـن يـدي ولكـن كانـت يـد أمـي.

تقـول: « في الغالـب جـروح سـطحية، ولكـن أنـتِ مصابـة بالحمـى، ولديـك كدمـة في عنقـك وكتفـك، هـل هـذا يؤلمـك؟»

أجفـل و أكـشر عندمـا تلمـس بيدهـا المنطقـة التـي أصابهـا المجـداف ،«أنـتِ فعلـت الـشيء الصحيـح . بالطبـع الـشيء الصحيـح».

الصوت القادم من الغرفة الأخرى يبدو فظا وقاسيا. يدا أمي توقفتا عن الحركة، الطبيبة النفسية استدارت لتحدق في صفوف النوافذ المواجهة للرصيف، أشرت إلى أنني أريد أن أجلس مرة أخرى، ووالدتي ساعدتني، وبعدها جاءت مرة أخرى لتغسل وجهي ،لم تتوقف إلا بعد أن أبعدت يدها بلطف مرة ثانية، ذهبت إلى المطبخ، وعندما عادت أدراجها كان معها كوبا آخر من الماء، أعطيته للمرأة الشقراء، التي أخذته بدون أن تتكلم، ربّعت أمي يدها و تنهدت بصوت مسموع .

هذه ليست المرة الأولى، هذا الموقف مع «جريتا»، أليس كذلك؟

شربت الطبيبة النفسية الماء في جرعة واحدة.

«لا. لكنها المرة الأولى التي تصبح حاملا بحسب معرفتي. لذلك «أليكس» كان لديه عشيقات قبلي أو ربما في نفس الوقت من يدري»

بحثت داخل نفسي لرد فعل ما على هذة الحقيقة لكن لم أجد.

كان هذا عندما كانت أمي في المستشفي، عندما اكتشفت شيئا عن هذة العلاقة، سمعت عن الطفل لاحقا، بعد والدتي.... بعد أن ماتت.

ذهبت أمي إلى الأريكة و جلست على إحدى طرفيها.

« أنا آسفه» تقوم الطبيبة النفسية بتدوير الكوب في يدها، تحدق النظر كما لو أن الكوب يحتوي على إجابات.

لم يكن مثيرا للشفقة، مشاهدة الناس الآخرين يعانون، يصيبهم بالأذى، هذا هو نسمة الحياة بالنسبة لـ«أليكس»، إنه بارع في هذا، ويفعل هذا بكل طريقة ممكنة، بكلماته، بحركاته ،بيديه .

هذا هو زوجها التي تتكلم عنه، صديقي السابق.

كلماتها استحضرت الصور في ذهني، ترسل الرعشة من خلال جسدي،

إذن أنـا لسـت وحـدي في تجربـة تلـك النوبـات المتكـررة مـن الألم والإذلال والإهانـة..

مـا الـذي أخضعهـا لـه هـذه المـرأة التـي عاشـت معـه مـدة طويلـة؟ فكـرت في الصـوف المشـغول و السـترات التـي كانـت تعتـاد عـلى ارتدائهـا عندمـا كنـت أذهـب إلى مكتبهـا .مـن النـادر أن يكـون جسـدها عـارٍ، عـلى الرغـم مـن كوننـا في الصيـف، فهمـت.

بعـض الأفـكار تداهمنـي وتتسـابق في عقلي.ومـع ذلـك أنـتِ تزوجتيـه وعشـتِ معـه، وبقيـتِ معـه. لمـاذا؟.

في اللحظـة التاليـة تصـورت فتـاة ذات شـعر أشـقر، ولهـا غـمازة في ذقنهـا، وعرفـت لمـاذا كان هـذا ،عـلى نحـو أسـوأ في البدايـة، قبـل أن أفهـم الرمـوز وأتعلـم، في وقتنـا الحـاضر بالـكاد.....

الطبيبة النفسية، رفعت يدها وبعد ذلك وخفضتها ووضعتها على فمها

«يمسك بي....»

متـى أدركـتِ أنـك في حاجـة لأن تخضعـي لـه ؟ متـى بـدأتِ تعتقديـن أن هنـاك شيء غـير صحيـح بـكِ؟ وأنـكِ تتحملـين اللـوم عـلى الطريقـة التـي يعاملـك بهـا؟.

في البدايـة اعتقـدت أننـي أسـأت فهمهـا. بالطبـع لم تكـن أمـي هـي الأولى التـي تقـول مثـل هـذا الـكلام، اسـتدرت لأنظـر إليهـا، ولكنهـا لم تكـن تنظـر لي، يبـدو أنهـا كانـت تهنـدم ملابسـها بهـدوء، تصقـل تجاعيدهـا الوهميـة. اليـد الموضوعـة عـلى فمهـا تسـقط عـلى حضنهـا، تحـدق في والـدتي لفـترة طويلـة، بـدت السـحابة التـي عـلى عينهـا ووجههـا تلـين، قالـت:

« أنا أعلم بالضبط» إنها المرة الأولى التي قالها

توقفت، ووضعت يديها على حلقها، رأيت الخاتم الذهبي في يدها اليسرى، أرى كم هي مرتبكة، انحنت أمي إلى الأمام وأمالت رأسها إلى جانب واحد، كان صوتها رقيقا.

«ماذا قال؟»

أنتِ مريضة في عقلك، مرض سخيف، أنا لا أتذكر بالتحديد أين ومتى و ما الذي فعلته لإزعاجه في هذا الوقت، ولكنني أتذكر إحساسي عندما قال ذلك. الكلمات التي أطلقت عليّ أسكتتني، كنت أسير طوال اليوم وأنا في حالة من دهشة وذهول، كل شخص قابلته، المرأة التي تقف أمامي في متجر البقالة، الأب الذي التقط طفلة في نفس الوقت الذي كنت أفعله في الحضانة... اليوم قال زوجي أنني مريضة عقلية.

ما رأيك في ذلك؟

هذا ما أردت أن أسأله، لكن بالطبع، لم أفعل.

أرى وجه «أليكس» المبتسم أمامي، أسمع الكلمات التي تحدث بها.

أعتقد أنكِ مجنونة قليلا ليس بالضبط في العقل.

تسند نفسها على ذراع الكرسي، الطبيبة النفسية تحاول الوقوف على قدميها ببطء، في تلك الليلة .عندما وضعت رأسي على الوسادة ،فهمت أخيرا، لماذا كانت هذه الكلمات الاستثنائية تضايقني بشدة، لماذا كنت أصمت بدلا من أن أدافع عن نفسي، ما قاله....لم يكن هذا الاتهام قد انتشر من فراغ، ليست مجرد إهانة غبية، لم أكن أبدا.... لقد شعرت تماما...»

تقف هناك، تهدف إلى ركل كومة أخرى من الصحف وقطع من الخشب، تبعثرهم على السجادة، وبعدها خلعت سترتها البيضاء و مرت يديها الشاحبتين صعودا و هبوطا .

«من داخل أعماقي، كنت أعلم أنه على حق، ما قاله صحيح».

غيرت من وضعها، أبقت وزنها على رجل واحدة. النسيج الأزرق من ثوبها يلتصق بجسدها، ويكشف عن نتوء عظام الورك. على الرغم من الحرارة فإنها مغطاة بالشعر الأشقر، لا تضع مكياج، لا يمكن أن نكون مختلفتان أو متشابهتان، «كنت أعلم أنه لا يوجد أحد آخر سيقف معي. ومنذ ذلك الحين، بذل قصارى جهده أن يذكرني أنني بدونه لا شيء، وأنا .... حسناً، لقد فعلت مابوسعي.... لأتعاون».

الطبيبة النفسية استدارت إلى حيث تضيء الشمس المتدفقة من النافذة فوق ذراعها الأيسر وخدها.

وجه أمي عبارة عن قناع معبر عن قرار غاضب، حتى الآن، الطبيبة النفسية استدارت إليها، وبعدها نقلت نظراتها إلى حافة السجادة والبروز على مقبض الفأس .

نظرت إلى أمي مرة ثانية، وقالت بتردد «بالضبط» «حتى الآن».

أحسست ببعض الحيرة و الارتباك بها، و تساءلت: ماالذي يمكن أن يحدث بعد ذلك ؟أين يمكن أن نذهب؟ بعدها لم يكن لدي الوقت للتفكير أو الشعور لأنه في تلك اللحظة، كان هناك طرق على الباب .

(41)

شـخص مـا يشـهق. أمـي و الطبيبـة النفسـية يتبـادلان النظـرات السريعـة لبعضهـن، لا أحـد يتحـرك، طـرق أخـر عـلى البـاب، هـذه المـرة أقـوى وأكـثر إلحاحـا، كانـت أمـي في النهايـة هـي الشـخص الـذي تحـرك بتصلـب، وخرجـت إلى المدخـل.

عندمـا رجعـت كان يرافقهـا اثنـان مـن ضبـاط الشرطـة، واحـد منهـم كانـت الشرطيـة التـي تكلمـت معهـا ذلـك اليـوم، نظـرت في محيـط الغرفـة، مشـيرة إلى الصحـف الممزقـة وطاولـة القهـوة المتحطمـة .

تنظـر إليّ وأنـا ملقـاة عـلى الأرض، ثـم إلى أمـي، و للمـرأة الشـقراء ذات الفسـتان الأزرق، وبعـد ذلـك إليّ.

«ما الذي يحدث هنا؟»

عندمـا لم أرد عليهـا، اسـتدارت إلى زميلهـا، رجـل ذو كـرش كبـير، وضـع يديـه عـلى وركيـه وهـو يتقـدم إلى الأمـام.

تلقينـا مكالمـة مـن رجـل مسـن، شيء بشـأن فـأس. امـرأة هنـا في الحـي سـلوكها يبـدو عليـه الارتبـاك و الترويـع، هـل يمكـن أن تخبرونـا عـن أي شيء بخصـوص هـذا ؟

شيء عـن الفـأس. يجـب عـلى أن أقـوم بمجهـود لعـدم النظـر إلى النتـوء في السـجادة حيـث تختبـيء الفـأس.

رأيت الطبيبة النفسية تتقهقر، تأخذ خطوات صغيرة وتبدو بالكاد إنها تتحرك، تقف على مقربة شديدة من الفأس، هل تحاول أن تستخدم جسدها في إخفاء الانبعاج في السجادة؟، أو أنها تستعد للإمساك بالسلاح الكامن وتهاجمنا به إذا لزم الأمر؟

أجبرت نفسي على ألا أتحرك في اتجاهها، بدلا من ذلك ثبت نظراتي على الشرطية.

الرجل العجوز كان بالخارج يمشي مع كلبه عندما ركض نحو المرأة، وأضافت. «أنه أخبرنا أنها كانت مضطربة، ويبدو أنها متوترة للغاية وكانت تحمل فأس. كما ذكر زميلي للتو، لذا نحن نلقي نظرة حول الحي، إنه مكان جميل لكنه مهجورا، ونحن نطرق على الأبواب لمعرفة ما إذا كان أي شخص قد رأى أي شيء يدعو إلى الشك».

مرة ثانية نظرت حول الغرفة، ثم إلى كل واحد منا، ولكن لا أحد يجيب .أعين ماما تتنقل وتضيق، كلما فكرت خطر في بالي أنها لاتعرف أنني المرأة التي يتحدث عنها البوليس، إن الفأس في الأصل يخصني، إنها رأته فقط في يد المرأه الشقراء، ما الذي يدور في ذهنها الآن؟ هل ستتهم الطبيبة النفسية؟ هل تفكر في إخبار الشرطة ما الذي يجري هنا؟ جزء مني يريد أن يصرخ في وجهها ويقول لها افعلي هذا، لتنقذنا نحن الاثنين لو استطاعت، وجزء آخر مني لا يزال يدرك تماما أن الفأس في متناول ذراع الطبيبة النفسية ،إذا أرادت، ستشطر رأسي إلى نصفين قبل رد فعل الشرطة، لو الأمر أصبح مخيبا للآمال ومحبط بالدرجة الكافية، ماما فتحت فمها لتتكلم، ولكنها قفلته، ومرة أخرى تهز رأسها.

الشرطي مسح جبينه، وصاح بحنجرته عاليا، حسنا، أنتم مجموعة مفعمة بالحياة.

ثم قالت زميلته ما الذي حدث هنا بالضبط؟

ألقت نظرة حاسمة على الغرفة قبل أن تقف عيناها عليّ، اقتربت مني أكثر، مالت رأسها إلى جانب واحد، وبعدها حولت عينها إلى أسفل، ونظرت في وجهي، أحاول أن أغلق عيني وأستدير بعيدا، بدلا من ذلك، تشجعت، وقابلت نظرات أنا في انتظارها لتتعرف على، لتتذكر سلوكي اللاعقلاني في آخر مرة تلاقينا فيها.

ربما بسبب تواجد أشخاص كثيرين في الحجرة، أو ربما أنها لم تتعرف عليّ لأنني بدون مكياج، و في حالتي الحالية الشيء الوحيد الذي قالته من أين أصبتي بهذه الجروح في وجهك ؟وهذه الكدمة؟ تقدمت أمي إلى الأمام، حيث أنها كانت واقفة بيني وبينها.

كما ترين ابنتي ليست على مايرام، إنها تخلصت للتو من علاقة مؤذية، ومما زاد الطين بلاء، أنها تعاني من الحمى، تستطيعون أن تتحسسوا جبهتها بأنفسكم إذا أردتم .أنا كنت معها طول اليوم وكانت في حالة سيئة لا تسمح لها بالذهاب لأي مكان.

أقلت، طول اليوم؟

استقامت الشرطية بظهرها ،وصوبت نظراتها على أمي ،الهواء كثيف مع التوتر، يبدو أن أمي قد تعافت، بنظرة ثابتة واجهت عيون الشرطية، والتي قالت بعد لحظات «بما يبدو أنه نوع من الانسحاب»، وبعدها استدارت إلى زميلها، ورفعت أحد حاجبيها،حسنا من يدري؟

تقول في استهجان «لا يبدو أن أحدا أخر قد رأى المرأة التي تحمل الفأس غير الرجل المسن الذي كان يسير مع كلبه»

رفع يده ليرسم علامات استشهاد في الهواء حول كلمة سيدة الفأس.

تشير هذة الإيماءة المتكتلة، بالتوازي مع التعبير على وجهه السمين إلى أنه غير واثق من مدى مصداقية ادعاءات رجل مسن وحيد .

الشرطية ذات الشعر الداكن استدارت إليّ مرة ثانية، وفي هذه المرة أدركت أنها تعرفت عليّ، حدقت بي لفترة طويلة، ثم زمِت شفتيها.

«لو أن أحا قام بإيذائك عليكِ لأن تقومي بعمل محضر» وقالت أخيرا «هناك مساعدة أكيدة»

وهي تشير إلى الطاولة المحطمة خلفنا. ربما تعتقد أنها نتيجة للعلاقة العنيفة التي أشارت أمي إليها. وأضافت «عليكِ الاعتناء بنفسك، حسناً؟.»

وبدون انتظار الرد ،استدارت لمواجة أمي، التي بدورها أومأت بشكل لافت للنظر.

«سأتأكد من أنها ستحصل على أفضل رعاية ممكنة».

تتنفس الضابطة ارتياحا، العلاقات المؤذية جسديا تبدو وأنها أصبحت سمة أمنا هذه، كان لدينا شكوى في وقت سابق، أم قلقة لأن ابنتها قد هُددت بسكين من قبل صديقها .

لا أعتقد أنه لديكِ نفس التهديد؟

قبل أن تتمكن من تكملة الجملة، أخذ الشرطي الرجل خطوة إلى الأمام، وقال : إنه طفل، لفت نظرنا منذ فترة من الوقت، إنه زعيم لمجموعه من الشباب التي تبدو أنها متخصصة في إساءة معاملة الحيوانات.

إن تلميحاً من الإزعاج في عيون الشرطية يكشف أنها تعتقد أنه ليس من الضروري أن يعطي زميلها تفصيلات دقيقة، أشعر بتكوين على شكل عقدة قاسية في معدتي، سوء معاملة الحيوانات ،استخدام السكين ببراعة، الفتاة، «جريتا»، أريد أن أصرخ، هل هي بخير؟ لكن الكلمات تفشل أن تخرج، عل الرغم من الماء الذي شربته، يشعر حلقي مرة أخري بالجفاف.

وضعت أمي يدها على صدرها، وأخذت نفساً عميقا.

«يـا إلهـي، تلـك الفتـاة المسـكينة! وسـوء معاملـة الحيوانـات؟ مـاذا يوجـد عـلى الأرض؟ هنـاك خطـوط بيضـاء وسـوداء في ذهنـي. أسـتطيع أن أشـعر بـشيء صغـير رشـيق يتجعـد بجانبـي، ثـم تـذوب الصـورة ،الشـعور بالـدفء يتـلاشى ويتبخـر ليحـل محلـه شيء حـاد وبـارد، «تيريـث» مـن يعـرف؟.

قالهـا الشرطـي الرجـل، «ربمـا يكونـون سـاديين، أو ربمـا يشـعرون بالملـل فقـط».

قاطعتـه الشرطيـة أطفـال هـذه الأيـام -«عـلى أي حـال» نحـن لـن نقـف هنـا لنتأمـل ونخمـن، ولكـن إذا رأيتـم أو سـمعتم أي شيء قـد يسـاعدنا في هـذة القضيـة...

هـزت أمـي رأسـها، ووجههـا شـاحب «لا، الحمـد للـه إنهـا مجـرد مصادفـة أننـا هنـا في زيـارة قصـيرة، وبالنظـر إلى جميـع الأشـياء الفظيعـة التـي حدثـت حولنـا، لا أعتقـد أننـا سـنرجع مـرة أخـرى، الخبـث أي نـوع مـن الأسـماء ليطلـق عـلى بحـيرة؟

رفعـت الشرطيـة يدهـا في الهـواء ضاربـة كفـا عـلى كـف، إنـه ليـس الاسـم الرسـمي. لكنـي أعتقـد أنـه بعيـد المنـال، ليـس بالضبـط نـوع الاسـم الـذي يجـذب السـياح. إنـه منفـر وبغيـض بعـض الـشيء، إننـي جديـدة هنـا، وقبـل بضعـة أيـام فقـط سـمعت أن هـذا مـا يطلقـه عليهـا السـكان المحليـون عـلى البحـيرة .بهـذا الـكلام اسـتدارت ومشـت خطـوات قليلـة إلى الأمـام نحـو المدخـل الأمامـي، تسـاءلت هـل سـيغادرون؟

وعـلى نحـو مقلـق تحركـت مـن موضـع جلـوسي غـير قـادرة عـلى اتخـاذ القـرار، سـواء مـا إذا كنـت أخـشى أكـثر مـن وجـود الشرطـة هنـا أو رؤيتهـم يغـادرون.

مازلت أفكر في الشيء الأسود الكامن تحت السجادة. الفوضى الكبيرة في الغرفة يجب أن تشتت انتباه أفراد الشرطة عن ملاحظة الانتفاخ المتواجد في السجادة.

خرج الشرطي إلى الخارج، ولكن توقفت الشرطية ولم تتحرك حيث استدارت إلى الطبيبة النفسية وإلى زاوية السجادة الأمر الذي جعلنى أحبس أنفاسي، وأتابع نظرات الشرطية، رأيت زوجة «أليكس» ووالدة «سميلا» واقفة هناك، مرتدية فستانها الأزرق، تتكيء على الحائط كما لو أنها تتمنى أن ينشق ويبتلعها داخله، سألتها الشرطية وأنتِ من تكونين؟

ترددت الطبيبة النفسية و لم تتكلم. بدا لي أنها انزلقت إلى أسفل الجدار، وتخيلت أن يدها المرتعشة لمست أرضية الحجرة، قد يكون هذا حقيقياً، أو قد يكون من وحي خيالي، نعم من أنتِ؟ هذا هو السؤال الذي يخترق عقلي المدمر. بعدها سمعت إجابة صوتية مألوفة،

إنها أمي التي ردت، وقالت «صديقة، إنها صديقة».

ربما ترددت أمي لوقت أكثر من اللازم، و لكنها عندما تكلمت، لم يكن هناك أي أثر للشك أو الريبة في صوتها. ولكي تؤكد كلامها أومأت برأسها كتعبير عن الموافقة .نعم إنها صديقة .

ينظرن إلى بعضهن البعض، كان لدي شعور داخلي بأن أمي لن تحمي الطبيبة النفسية من قبضة الشرطة من أجلي، ولكن كان هناك شيء آخر، كلا الشرطيين الرجل والمرأة انصرفا إلى الخارج. و سمعت الباب يوصد وراءهم. عندها رأيت أمي والطبيبة ينظرن إلى بعضهن البعض في تأمل، حينها كسرت أمي هذا الصمت.

حسنا أعطني الفأس، سوف أضعها بعيدا، ولنجلس سويا ونتكلم، لكِ الحرية في أن تسأليني ما تشاءين، سوف أخبرك بكل ما تريدين معرفته.

كلا مـن أمـي والطبيبـة النفسـية تحركتـا ببـطء، رأيـت شـيئا أسـود تـم التقاطـه، وتبادلـت أيديهـم بـه، سـمعت وقـع أقـدام تغـادر الغرفـة، تـلاه أصـوات قعقعـة، وبعـد ذلـك عـاد وقـع الإقـدام مـرة أخـرى إلى الغرفـة، لا يوجـد المزيـد مـن الأصـوات باسـتثناء أصـوات تتكلـم بهـدوء وطمأنينـة، تـكاد رأسي أن تنفجـر. ثـم أغلقـت عيـوني، أنـا مرهقـة، مرهقـة جـدا.

(42)

غالبنـي النعـاس، وحلمـت بـأن أمـي و طبيبتـي النفسـية السـابقة يجلسـان إلى جانبـي عـلى طـرفي الأريكـة، يتحدثـان، وبـين الحـين والآخـر تميـل أمـي إلى الأمـام لتلمـس جبهتـي، لمتابعـة درجـة حـرارتي، أو لعـدل الوسـادة التـي وضعتهـا تحـت رأسي.

في أحلامـي سـمعت الطبيبـة النفسـية تقـول «إذن صديقتـك كانـت تحـب زوجـك؟ هـل لهـذا السـبب أخبرتـه راغبـة في إحـداث وقيعـة بينكـما؟»

«أو أنهـم بالفعـل كانـوا عـلى علاقـة غراميـة». سـمعت أمـي تقـول هـذه الجملـة، ثـم أدركـت أننـي مسـتيقظة. وأضافـت» مـن يـدري، ربمـا كانـت تشـعر أنهـا منبـوذة منـذ أن اسـتمر في معرفـة العديـد مـن النسـوة، عندمـا كانـت تتحـدث عـن «روث».

نـبرة صوتهـا كانـت تخلـو مـن المـرارة أو الحقـد ولكـن كانـت تبـدو كـما لـو أنهـا منهكـة القـوى، في بـاديء الأمـر وجـدت أن هـذا يدعـو إلى الاندهـاش، ولكـن بعـد ذلـك وجـدت أنـه مـن الغريـب أن أحصـل عـلى رد فعـل كهـذا، والسـبب يعـود إلى مـا هـو أسـاس إدراكٍ لمشـاعر والـدتي أو وجهـة نظرهـا لمـا حـدث. لم يسـبق لي أبـداً، أن جلسـت بجانبهـا عـلى الأريكـة لمناقشـة هـذه الأشـياء. لم يقـم أي منـا بمحاولـة جـادة لبـدء هـذا النـوع مـن المحادثـات. ربمـا حاولـت أمـي عندمـا كنـت في فـترة المراهقـة ولكننـي نحيـت كل جهودهـا جانبـا.

انتقلت بعيدا عن المنزل وابتعدت عنها أكثر، مع المحافظة على المسافة بيننا. إلى أن انتهى بنا المطاف هنا .كانوا يعتقدون أنني مازلت نائمة، وتركتهم، مازالوا مضطجعين، فتحت عيني قليلا، أرى زوج من السيقان النحيلة، إنها ليست لأمي، أشعه الشمس المتدفقة داخل الغرفة مكنتني من أن أرى بوضوح الشعر غير المحلوق على سمانتها، قدم واحدة تهزها صعودا وهبوطا، مرتدية صندل واسعا فضفاض، أري طلاء الأظافر، نوع من أنواع ألوان الباستيل الرديئة. كانت تجلس قريبة جدا مني، حتى إنني مددت يدي لألمسها، أربت عليها ،أم أخربشها.أنا في حيرة من أمري.

كان على أن أسأل، بعد ذلك ألم يتواجد أي شخص؟

الحقيقة أنها كان لديها بعض المشاكل لنطق الكلام، مما جعلني أدرك ماذا كانت تريد أن تعرف. وهذا مافهمته أمي أيضا.

بالطبع لقد تم الاعلان عن حادثة. الجيران في الشقق التي في الأعلى و في الأسفل سمعوا خوار رجل في وقت سابق، واعتقدوا أنه كان نفس الرجل الذي عاد متأخرا وأحدث ضوضاء على الدرج، وأيضا قال الناس القاطنين في نفس الشارع أنهم رأو الرجل يدخن في النافذة المفتوحة العديد من المرات. كانوا يتعجبون كيف له أن يجرؤ وهو قاطن في طابق عالٍ نسبيا.

تقرير تشريح الجثة يقول إنهم وجدوا كحول في دمه، أيضا قطع من الكوب الزجاجي الذي كان يحمله، تحركت فجاة ،ركلت أرجلي حتى لا تفوتهم رؤيتها، مما دفع أمي للتوقف في الحال، ووجهها يمعن النظر إلى من الأريكة.

قالت لي مرحبا، لقد غلبك النوم، لذا قررت أن لا أوقظك. فكرت أن بإمكانك أن تستفيدي من الراحة، كنت أريد أن أنقلك إلى الفراش و لكنك الآن أصبحتي كبيرة على ذلك.

نظرنا إلى بعضنا البعض لفترة طويلة، إلى أن احمر وجه أمي .

،إنـه حقـا تـورد وجههـا ولـو لفـترة وجيـزة وبعدهـا هرعـت إلى اسـتعادة السـيطرة عـلى الوضـع. ثـم سـألتني كيـف أنـتِ الآن؟

عـلى الرغـم مـن أننـي كنـت مسـتيقظة لعـدة دقائـق، إلا أننـي في لحظـة معينـة سـمعت سـؤالها، لم تعـد رأسي تنبـض بعنـف، مـازال الصـداع موجـودا ولكـن أقـل حـدة مـن ذي قبـل مـا زلـت أشـعر أن كتفـي متصلـب ومتـورم، ولكـن يجـب أن تكـون الحمـى قـد هـدأت .

يبـدو أن قيامـي بالقيلولـة عـاد عـلى بالنفـع، ولكـن كـم مـن الوقـت نمـت؟ هنـاك إحسـاس مألـوف ومـع ذلـك غريـب داخـل معـدتي.

أنـا جائعـة»، مشـيت بمسـاعدة زراع أمـي الملتـف حـولي في اتجـاه المطبـخ، تناولـت العديـد مـن شرائـح التوسـت، تسـاءلت مـا الـذي حـدث للفـأس، مـا الـذي فعلتـه أمـي بـه بالفـأس. ولكننـي لم أسـألها .

أرى دميـة «سـميلا» مازالـت ملقـاة عـلى وجههـا أسـفل الطاولـة، فسـتانها المنقـط انزلـق، فانكشـف زرار الدميـة اللامـع المصنـوع مـن البلاسـتيك. بحـركات بطيئـة وبشـكل متعمـد توجهـت إلى الدميـة لأهنـدم ملابسـها، وبعـد ذلـك وضعتهـا عـلى الكـرسي بجانبـي. هـذا المجهـود أدى إلى أن كتفـي المنهـك بـدأ يخفـق مـرة أخـرى مـن الألم .الجـزء الأسـفل مـن وجهـي، وأيضـا رقبتـي تؤلمنـي، أنـا مازلـت منهكـة القـوى بسـبب الحمـى وفـوضى الأيـام السـابقة. بقلـق وخـوف أمـرر أطـراف أصابعـي عـلى جلـدي المحيـط بسـيرة البطـن، تسـاءلت هـل مازلـت هنـاك؟ شـعرت بـشيء داخـل أعماقـي يرفـرف، شيء يناضـل، شيء يريـد أن يعيـش، سـواء كان شيء أو شـخص .كل شيء سـوف يكـون عـلى مـا يـرام. يجـب أن يكـون كذلـك. وبشـهية مفتوحـة بـدأت أمـلأ معـدتي الفارغـة،

بينما أمي تبحث بدقة في غرفة النوم والحمام، و تحزم كل مستلزماتي، إنها تعمل بكفاءة، تتحرك بثقة وهدوء .كما لو أنها لم تفعل شيئا في حياتها سوى إنقاذي من المشاكل السخيفة.

خمنت أن خطتها هي أن تنهي ما تقوم به بأسرع وقت ممكن. وبعد ذلك تقودني الى المستشفي، تساءلت عن ما ستقوله للأطباء. من الأفضل ألا أسأل. الأحسن لي أن التزم الهدوء و الصمت ،وأترك أمي تتحدث.

بقت الطبيبة النفسية بعيدا عن طريقنا، ولكنني عرفت أنها لم تغادر الكابينة، كان وجودها ملموسا، افترضت أنها لاتزال في غرفة المعيشة.

تدرس خطواتها المقبلة، تتأمل حياتها، تساءلت ماذا أعرف؟ الشيء الوحيد الذي أعرفه هو إن وثقت بها أمي، فأنا أيضا أثق بها.

بعد أن فرغت من الطعام حتى الشبع، مسحت أمي المنضدة، وحملت حقيبتي، متحركة نحو الباب، وهي تقول أن السيارة متوقفة بالخارج، بعدها ساعدتني في السير، تضع ذراع حول خصري وذراع حول رقبتها، أجسادنا متلاحمة مع بعضها. من الكتف و حتى الفخذ، منذ فترة بعيدة لم نقترب من بعضنا هكذا .

وصلنا بالفعل إلى الخطوات الأمامية إلى أن سمعت صوتا يأتي من القاعة، استدارت أمي و ركزت نظراتها إلى شيء ما وراءنا، «لدي سؤال أخير. هل كان يستحق هذا ؟»

ترددت أمي، نقلت نظراتها من الطبيبة النفسية إليّ، ظلت تحدق فيّ لفترة، لم أستدر إليها، لم أنظر إلي أعين أمي .وانتظرتها

«لا، ردت عليها أمي، لم يكن يستحق هذا»

قادتني إلى السيارة وساعدتني على الجلوس في المقعد المجاور للسائق،

مـن خـلال النافـذة رأيـت سـيارتي، أسـتمع جزئيـا إلى أمـي وهـي تقـول «أنهـا سـوف تعمـل عـلى أن يتـم قطرهـا مـن هنـا في أسرع وقـت ممكـن» لا داعـي لأن أقلـق، لـن أحتـاج إلى العـودة إلى هنـا . أبـداً .

مشـت حـول السـيارة وجلسـت في مقعـد السـائق، أغلقـت الأبـواب وربطـت حـزام الأمـان، ثـم جلسـت دون أن تشـغل محـرك السـيارة، لم تتحـرك، حتـى أنهـا لم تقـل أي شيء، ناديـت عليهـا «ماما» كانـت تنظـر باسـتقامة إلى الأمـام.

أخـيرا قالـت هـذا الرجـل .....«أليكـس» أكان يعاملـك بنفـس الطريقـة التـي كان يعامـل بهـا تلـك المـرأة؟ مـاذا يمكننـي أن أقـول ؟ هـل أخبرهـا عـن ربـاط العنـق مـن الحريـر الأسـود؟ كنـت أحـاول بـث الطمأنينـة بداخلهـا وإقناعهـا، وهـي تمضـغ شـفتيها. قلـت لهـا أننـي هجرتـه، وأخبرتـه أن لا يحـاول لمـسي أبـدا.

فَكرت أمي في هذا للحظات.

بعدهـا سـألتني عـن الطفـل، ومـا أخطـط بشـأنه؟ انتظـرت، وأجبرتهـا أن تلتفـت إليّ وتـرى الإجابـة داخـل نظـراتي، أومـأت ببـطء، بسـطت يدهـا، ووضعتها عـلى خـدي المصـاب، «إذا حـاول «أليكـس» الاتصـال بـكِ- أنـتِ أو الطفـل -آجـلا أو عاجـلا سـوف يكتشـف أننـي رحلـت بنـاء عـلى رغبـة زوجتـه، تسـاءلت كيـف سـيكون رد فعلـه؟

إننـي حتـى لا أريـد محاولـة تخيـل هـذا، بغـض النظـر عـن مـدى قـوة وعنـف رد فعلـه، عـلى الأرجـح أنـه سـيفكر مليـا قبـل أن يتصـل بي مـرة ثانيـة. توجـد بعـض المزايـا في أن تكـون لغـزا محـيرا، يوجـد الكثـير مـن المزايـا بعـدم إخبـار «أليكـس» بالحقيقـة الكاملـة عـن أبي، أفكـر فيـما قالـه لي في نهايـة آخـر محادثـة هاتفيـة بيننـا، وحـول مـا تركتـه يعتقـد تلـك الليلـة .إننـي الشـخص الـذي قـام بدفـع والـدي مـن الحيـاة إلى الأبـد، وهـذا مـا أنـا قـادرة عليـه فعـلا.

رفعت يدي ووضعتها فوق يد أمي الموجودة على خدي، متمنية أن تدرك ما أحاول قوله، أن تشعر بقوة وصلابة ابنتها، أنا ابنة أمي.

قلت لها «لو فعل ذلك، سأتعامل معه» تستمع أمي إلى، وتسمح للكلمات أن تسترسل مني، وبعدها أزالت يدها عن خدي، وابتسمت. هذه الابتسامة أعطتني الاحساس بأن كل شيء سوف يكون كما يجب أن يكون.

قالت لي انتظري هنا للحظة، إنني نسيت شيئا بالداخل، فكت حزام الأمان وسارت بتصميم و حزم حول السياج المحيط بالكابينة التي على وشك أن نغادرها، أملت رأسي إلى الخلف و أخذت عدة أنفاس عميقة و قلت في النهاية سوف نترك هذا المكان. فكرت في كم من الجيد و المفيد أن نعود إلى البيت مرة ثانية ،سأبدأ البحث عن شقة جديدة بأسرع وقت ممكن، مكان لم يتواجد به أبدا، من المحتمل أن أنتقل إلى مدينة أخرى، ولكن أول شيء سأفعله بمجرد أن أشعر أني أصبحت على ما يرام، سأصحح من أموري، سوف أتصل بـ«كاتينكا» وأسألها إذا كان ليس لديها مانع بأن نتقابل ونحتسي القهوة.

في تلك اللحظة، رأيتها تقترب بتردد وحيرة من الجانب الآخر من الطريق، بملابسها السوداء التي لا شكل لها، وشعرها الطويل الفضفاض غير المصفف، أتت إلى المكان ولكنها توقفت على بعد بضعة أقدام بعيدا، راحت تنظر إلي بصمت وكانت عيناها تتنقل من الجروح المتواجدة في وجهي إلى الكدمة الكبيرة، تكلمت أخيرا وقالت «إن أمي تكلمت مع الشرطة، عن امرأة ومعها فأس، إنني أردت .... أردت فقط معرفة ما إذا كنتِ بخير.»

رددت عليها وقلت «أنا على مايرام» ماذا عنكِ؟ أزاحت شعرها من على وجهها، ونظرت في الأرض.

لقد قال ضابط الشرط] أن أما قلقة حيث تلقت ابنتها تهديد بالسكين من صديقها، هل أبلغت والدتك عنه؟

الفتاة التي تلقب بجريتا تنظر في الأرض، على الطريق، في كل مكان، ماعدا أنا .

تمتمت في النهاية، «يالها من سخيفة حمقاء تجهل ما تتكلم عنه»

لدي شعور بانقباض في الصدر، إذن إنها في صف جورما؟ على الرغم من أنه حاول الهجوم عليها، أسألها إذا سمعت أي شيء مما قلته عندما تقابلنا في الغابة. ولكنني لمحت قدوم أمي حول السياج، عندما لمحت جريتا مشيت أسرع، بسرعة مددت يدي و سمعت كلام الشرطية يصدر من بين شفتاي، أن المساعدة متاحة، رأت الفتاة يدي ممدودة إليها ،لم تتحرك للحظة، وبعدها رفعت يديها ولمست أصابع يدي بأصابعها، كانت باردة مثل جليد، عندها سمعت صوت أمي المسيطر المتسلط يدوي في الهواء، «مرحبا» من أنتِ؟ و ماذا تفعلين هنا ؟ نزعت الفتاة يدها بعيدا ونظرت إلى عيني للمرة الأخيرة .بصعوبة بالغة وهمست لها اعتنِ بنفسك ،اتفقنا؟.

هربت، بدون إضافة أي كلمة حينها، فتحت أمي باب السيارة وثبتت حزام الأمان، وعندما سألتني عن الفتاة، ارتجفت. لحسن الحظ إنها لم تصر على سؤالها، عوضا عن ذلك قالت لي حبيبتي، إنني أفكر في شيء ما، قفلت باب السيارة ونظرت إلى المرأة، رأيت شخصية صغيرة هزيلة تختفي، ومن مسافة بعيدة أكاد أراها مثل خيط رفيع، وبعد ذلك غابت عن عيني.

أدارت أمي محرك السيارة ثم قالت لي أتمنى أن تعرفي أنني سأفعل أي شيء من أجلك، أي شيء على الإطلاق، جريتا، أومأت وقلت لها إنني أعرف يا أمي.

سـوف تحتاجـين الكثـير مـن المسـاعدة، ليـس مـن السـهل أن تكـوني حامـلا، ومـع ذلـك عندمـا يـأتي المولـود لـن يكـون الأمـر سـهلا، كأم عزبـاء، سـوف تحتاجـين إلى كثـير مـن الدعـم و المسـاعدة أريـدك أن تعـرفي أننـي.....»

ولكنهـا لم تكمـل مـا كانـت تريـد أن تقولـه، وتوقفـت لمسـت يدهـا الموضوعة عـلى ذراع ناقـل السرعـة وقلـت لهـا، شـكرا لـكِ يـا أمـي، التففـت إلي، وابتسـمت تلـك الابتسـامة المتميـزة بهـا ومنهـا انطلقنـا.

(43)

لم أتمكن من توجيه ضربة قوية بالمجداف، كانت الزاوية غير صحيحة، مما أدى إلى ضعف قوة الضربة، لقد أغمى عليكِ، و لكن هذا ليس بسبب ضربة المجداف ولكن في المقام الأول ناتجا عن حالتك السيئة التي كنتِ عليها، ربما كان عليّ استخدام الفأس، بينما كنت مستلقية على الأرض، قبل أن تصل أمك التي قلبت كل شيء رأسا على عقب، لقد تعرفت عليكِ بمجرد أن فتحتِ لي الباب، وأدركت أنكِ كنتِ عميلة سابقة في عيادتي، ولكن استغرقت بعض الوقت قبل أن أحدد هويتك، وبعدها تذكرت القصة الغريبة عن سقوط والدك من النافذة، القصة التي لم يكن لها نهاية مناسبة، كنت متأكدة عندما جلست بجانبي، وتكلمنا فيما يخص القضية، كنت متأكدة أنكِ كنت علي يقين أنكِ الشخص الذي دفعه. كل شيء يتعلق بكِ، لغة جسدك، نبرة صوتك، تعبيرات وجهك - يشير إلى الكثير.

لذلك عندما أردت أن تنهي جلساتنا دون أن تفرغي هموم قلبك، حاولت منعك هل تتذكرين؟ من الأرجح أنكِ لا تتذكرين، من الواضح أن كلامي لم يعنِ الكثير بالنسبة لكِ، لذلك تركتِ مكتبي ولم تعودي ثانية، وأنا بدوري انتقلت إلى مكان آخر، لم أفكر فيكِ منذ ذلك اليوم، ليس حتى الآن.

وقفت في المطبخ ونظرت من خارج النافذة على الرغم من أنني لم أستطع رؤيتك، و لكنني كنت أعرف أنكِ مازلتِ بالخارج، منذ لحظة سمعت باب سيارة يغلق بعنف.

في غضون دقائق بدأ المحرك في العمل، و أنا أقف هنا أستمع، بينما أنت ووالدتك تختفيان، هل سوف أندم أنني تركتك تذهبين ؟ أنني لم أستخدم أيدي العارية لأنتزع ما ينمو بداخلك؟ لقد تركتك تذهبين من أجل خاطر والدتك فقط، بعدما تقاسمت قصتها معي، لا أقدر أن أرفع يدي على ابنتها، ظننت أنني بالفعل في أسوأ الحالات، لكن الآن لدي شعور بأن شيئا أكبر من ذلك فيما يخص هذا الموقف، شيء مروع وقوي، التحدي الأكبر في حياتي، شيء سيحررني، أراها تعود مسرعة نحو الكابينة تسحق دواسة الباب بقدميها، ثم انفتح الباب الأمامي، لابد وأنكِ نسيتِ شيء ما، خرجت إلى القاعة لأقابلها، إنها لم تخلع حذاءها ،لم تتحرك للدخول، اكتفت بالوقوف هناك والتحديق في، ثم قالت في النهاية.

« لن يكون لدى جريتا المزيد لتفعله مع زوجك» أعدك .

أعرف أنها تقول أنه إذا لم يكن صحيحا، لقد رأيت بعيني قوتها وخوفها عليكِ، ربما لم تريها بنفسك، ربما لاتريدين الاعتراف بها، ولكن هذا أمرا واقع . أومأت بأنني قبلت رسالتها، أنا توقعت منها أن تستدير و ترحل، ولكنها مكثت مكانها على سجادة القاعة.

لقد سألتني إذا كان الأمر يستحق كل هذا؟ في باديء الأمر كنت متوترة ومرتبكة.

لقد أجبت على سؤالي، وبعدها فهمت هذه المرة، أنتِ لست هنا للاستماع، أشعر بنبضات قلبي تزداد، هل كان يستحق؟

في النهاية طلبت من جريتا أن تسامحني على تركها بمفردها طوال

هـذه الفـترة، مـا فعلتـه هـو حقيقـة أننـي قتلـت أبيهـا، شيء لم أطلـب منهـا أن تغفـره لي، ولـن أقـوم بإهانـة نفـسي أو إهانتهـا بالإقـدام عليـه .

نـداء التسـامح الحقيقـي اسـتلزم النـدم عـلى ماحـدث، كلماتهـا تـدور في الهـواء بيننـا، و أغفلـت عيناهـا عـليّ.

هل هذه الإجابة واضحة بما فيه الكفاية بالنسبة لكِ؟

جلـدي يوخـزني و يؤلمنـي، أشـعر كـما لـو أن كل وعـاء دمـوي في جسـدي مفتـوح، أومـأت وأحسسـت أن كلماتهـا أحيـت شـيئا مـا داخـلي، إن التحـدي الكبـير أمامـي ينتظـرني، لقـد كنـت أفكـر في كل شيء بعـد ظهـر اليـوم، منـذ أن انتهـت مـن روايـة قصتهـا، منـذ أن سـمعت نفـسي أقـول أشـياء عـن «أليكـس» لم أقلهـا مـن قبـل، معـبرة عـن نفـسي بطريقـة لم تطـرق عـلى بـالي مـن قبـل، والآن فهمـت. عندمـا كنـت معـه - أو بالأصـح بدونـه - كنـت لاشيء. بسـيطة ،عاديـة جـدا. وبالرغـم مـن ذلـك كانـت هـذه الحقيقـة طـوال هـذا الوقـت.

نظـرت بإعجـاب و إقـرار بالفضـل إلى المـرأة الواقفـة أمامـي، وأخـيرا، فهمـت معنـى هـذا اللقـاء الـذي يبـدو أنـه مـن قبيـل الصدفـة في مارهِـم.

«أنا آسفة من أجل والدتك»؟ هل كنت قريبة منها؟

أشـعر بوخـزة ألم في قلبـي، وأجبتهـا أننـي أفتقدهـا جـدا ،أومـأت برأسـها لوهلـة، وكانـت عـلى وشـك فتـح البـاب إلا أنهـا توقفـت، مالـت عـليّ بقـرب شـديد ،حتـى أن إحـدى خصـلات شـعرها لامسـت صدغـي، تأكـدي وهمسـت لي، تأكـدي مـن أن ابنتـك في مـكان آخـر واعتـبري أنهـا كـما لـو كانـت حادثـة، وبعدهـا ذهبـت.

بعـد دقيقـة سـمعت صـوت محـرك السـيارة، وزيـادة سرعتهـا، وأخـيرا تلاشـت في الـسراب، وقفـت في الصالـة متجمـدة في مـكاني، كل شيء ظننـت

أنـه فُقـد- كل مـا اعتقـدت أنـه تـلاشى واختفـى في الهاويـة ظهـر مـن جديـد، والفضـل يرجـع إلى أخـر نفـس لأمـي.

لذلـك أسـتطيع إعـادة اكتشـاف كل هـذا مـن جديـد. في طريقـي لاسـتعادة كل هـذا كينونتـي، ابنتـي ،مسـتقبلنا ..

ببـطء اسـتدرت واتجهـت إلى غرفـة المعيشـة، لـدي الكثـير أن أفكـر فيـه قبـل عـودتي إلى البيـت الكثـير لـكِ أخطـط لـه، جلسـت عـلى الأريكـة، عـلى الجانـب حيـث كانـت والـدتي تجلـس عليـه، إذا أغلقـت عينـي مازلـت أشـعر بوجـود قصتهـا.

إنهـا تمنحنـي العـزاء الـلازم، وأيضـا القـوة والصلابـة، إننـي عـلى يقـين أننـي أسـتطيع فعـل هـذا. تصـورت «سـميلا»، أسـتمع لضحكاتهـا المؤثـرة تـرن في أذني.

في يـوم مـا بعـد عـدة سـنوات مـن الآن، ربمـا نجلـس ونتحـدث، حديـث بـين أم وابنتهـا الناضجـة ،عندهـا سـوف أسرد لهـا عـن طريقـي في الحيـاة ،الـدروس التـي تعلمتهـا، لا أعـرف بالتحديـد مـا سـوف أقولـه، ولكنـي أعـرف مـن أيـن سـوف أبـدا، إننـي أعـرف أول جملـة سـأبدأ بهـا قصتـي: الأم الجيـدة لا تتشـكل حسـب الظـروف، ولكنهـا هـي التـي تسـيطر وتكـون قـادرة عـلى تشـكيل الظـروف بإرادتهـا.

شكر و تقدير

أتوجـه بالشـكر إلى النـاشر الـدؤوب، وإلى القـراء المتبصريـن، أصدقـائي الرائعـين وجميـع أفـراد عائلتـي المحبـة والداعمـة لي، أخـيرا و ليـس آخـرا أشـكرك عـلى قـراءة كتـابي .

عن المؤلف

كارولين إريكسون حاصلة على درجة الماجستير في علم النفس الاجتماعي، وعملت لأكثر من عشر سنوات في إدارة الموارد البشرية، قبل أن تقرر التفرغ للكتابة، حلم طفولتها، تركز أول روايتين لها على حالتي قتل وقعتا في السويد منذ وقت مضي، ورشحت قصتها (الشيطان ساعدني) إلى جائزة الكتاب السمعي المرئي عام 2014 .

عاشت كارولين في جميع أنحاء العالم ،التحقت بمدرسة ثانوية بمقاطعة كواتينكو في ولاية فرجينيا، أكملت دراستها الجامعية في جامعة أديلايد بإستراليا، والآن تعيش في ستوكهولم.

تنكر كونها متهورة ولكنها اعترفت أنها قامت بتجربة القفز من أعلى جبل وكان هذا في نيوزيلاند.

وتعد أعظم مغامرة لها الآن هي تربية طفليها، وتستمتع بحب شديد للسفر والترحال واستكشاف الأجزاء الأكثر رعبا في الحياة.

عناصرها النفسية المظلمة في كتابتها (المفقود) هو أول قصة مثيرة للتشويق النفسي للكاتبة كارولين إريكسون، وأول كتاب يترجم لها إلى الإنجليزية، وهي الآن تعمل بجهد على قصتها القادمة.

عن المترجم

تينا نونالـلي ترجمـت أكـثر مـن سـتين عمـلا أدبيـا، قصصيـا مـن النرويجيـة والسـويدية و الدانماركيـة. حصلـت عـلى العديـد مـن الجوائـز عـن أعمالهـا مـن بينهـا جائـزة (نـادي الترجمـة الشـهرية).وجائزة الخيـال الأجنبـي المسـتقل،وكرمتها الأكاديميــة الســويدية لمســاهماتها في تقديــم و إظهــار الثقافــة الســويدية إلى الخـارج.

تـم تعينهـا نائبـة في وسـام الاسـتحقاق الملـكي النرويجـي للجهـود التـي بذلتهـا نيابـة عـن الأدب النرويجـي في الولايـات المتحـدة.

رسخت نونالي حياتها بالكامل لترجمة الأعمال الأدبية.

صورة 2007 ستيفن ت .موراي

info@noonpublishing.net

02-338560372- 01127772007